محمد فريد سيالة

نحو غد مشرق

منشورات مكتبة الفرجاني
طرابلس الغرب ليبيا
الطبعة الأولى

محمد فريد سيالة

عيسى يوسف الموسى

نحو غد مشرق

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى
١٩٥٨

المطبعة الحكومية

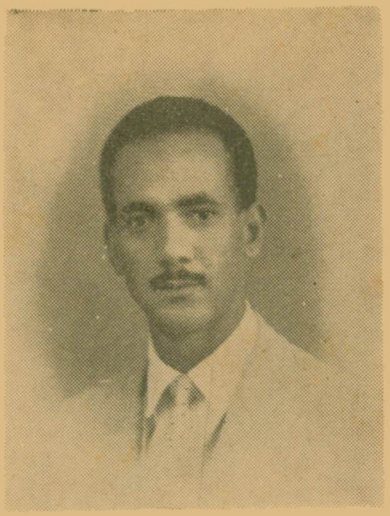

المؤلف

- ولد سنة ١٩٢٧ فى طرابلس الغرب
- تحصل على دبلوم التعليم الابتدائى سنة ١٩٤٨ وهو مدرس منذ ذلك التاريخ الى اليوم
- من افراد الطليعة بين ادباء الشباب
- اول المنادين بتحرير المرأة ومنحها حقوقها
- شارك من الاذاعة والصحف فى كثير من مجالات الادب منذ ١٩٤٧ خاصة ما يخص المرأة
- كتب القصة والمقال فى : جريدة طرابلس الغرب لواء الحرية ، اللواء ، الرائد ، فزان ، مجلة صوت المربى ، وطرابلس الغرب
- اشتغل بالصحافة ، فكان رئيس تحرير مجلة صوت المربى ، ومحررا لجريدة اللواء
- تولى سكرتيرية اللجنة الثقافية لرابطة المعلمين وهو الان رئيس اللجنة الثقافية ، وعضو الهيئة الادارية لنادى الاتحاد

الاهداء

الى الذى علمنى ما هى الحياة . . . .

الى الذى احمل له فى قلبى كل احترام وتقدير . . . .

الى من اشعر نحوه بكل تجلة واكرام . . . .

الى من كان ولا يزال معلمى وصديقى ، قبل ان يكون ابى . . . .

الى والدى العزيز . . . .

أهدى اولى محاولاتى ، وان كانت دونه مقاما ورفعة . . . .

محمد فريد سيالة

مقدمة

الى الشباب العامل المكافح المناضل ....

الى الشباب الواعى الناضج المؤمن بالحياة ....

الى الشباب المجاهد من كلا الجنسين، العامل على خلق حياة اسعد وغد مشرق ، ومجتمع افضل.. الى الشباب أقدم هذه الدراسة المتواضعة التى كرست لها وقتى وجهدى ، محاولا ان اجعل منها صورة ولو صغيرة ، لواقع حياتنا الاجتماعية .. هذا الواقع المؤلم المرير المفروض علينا فرضا ..

الى الشباب المنتفض الناقم الثائر ، أقدم هذه الدراسات المحدودة مؤملا ان تجد بينهم القبول والاستحسان والتشجيع ...

الى الشباب المؤمن بوجوده ، المناضل فى سبيل اثبات كيانه ، أقدم هذا الكتيب ، رغم بساطة مواضيعه وضيق أفق فكرته ودراسته ، .. دراسته المحدودة بحدود المجهود الفردى ، والتى تدور معظمها فى محيط المرأة ، وتعالج وضع المرأة المزرى فى هذا المجتمع وفى هذه البيئة التى لم تعترف، حتى الان ، بالمرأة كانسانة لها كيان ولها وجود ، عليها واجبات ومسئوليات ، بقدر ما لها من حقوق .. وقد اخترت الشباب لاقدم له هذه الدراسة ، لان غير الشباب الناضج ، لا يقدر مكانة المرأة وخطورة دورها فى الحياة ومدى اثرها فى تقدم المجتمعات والشعوب والامم ..

وبعد :

ان هذا الكتاب ، ما هو الا دراسة فردية بسيطه ضيقة محدودة، ... دراسة لبيئتنا ومجتمعنا ومحيطنا وظروفنا

التى نعيشها يوم فرض علينا ان نعيش هذه الحياة مجبرين غير مخيرين ... وبالاحرى انه دراسة ان لم تكن شاملة ، فهى قريبة من ذلك لكل ما يتعلق بالمرأة ، وتصوير لخط سيرها فى الحياة العامة ، والحقيقة ، انه لم يكن غرضى من نشر هذه الدراسة سوى المشاركة الجدية فى اصلاح بعض اوضاع هذا المجتمع الناشىء المتوثب ، ومحاولة لرسم خطوط عريضة (لو اتبعت) فانها ستساعدنا على جعل مجتمعنا يسير فى ركاب المدنية ، ويشارك بنصيبه فى الحضارة العالمية ، وارساء قواعد المجتمع العربى الجديد ..

لقد تناولت فى فصول هذا الكتاب ، كما سيرى القارىء كل أو جل ما يتعلق بالمرأة ، وذلك لاننى اشعر شعورا حقيقيا بانه لا تقدم لشعب ولا رقى لمجتمع ولا اصلاح لامة ، ما لم تصلح المرأة وترفع مكانتها ويعترف بحقوقها التى وهبتها اياها الطبيعة والحياة واعترف بها لها الدين والعقل والمنطق ، حتى تتمكن المرأة من المشاركة مشاركة فعالة فى خلق المجتمعات والسير بها نحو التقدم والرقى الانسانى ، بما تقدم من اعمال وتنجز من مهام لا يمكن لغيرها ان يقدمها او ينجزها ..

وما تناولت المرأة فى هذا الكتاب ، وفى غيره من المواضيع التى ما فتئت اشارك بها على الصحف ، واهتممت بها كل هذا الاهتمام، الا لايمان منى بان العلاج الناجع لمجتمع ما ، لا يمكن ان يكون الا اذا تناول جميع الاجزاء لا ان يلتفت الى جزء دون الجزء الاخر ، أو يهتم بقسم دون قسم ..

والمرأة فى نظرى تمثل القسم الاكبر والاهم فى كل مجتمع من المجتمعات العالمية ، واذن فلا يصح ولا يمكن ان نعجل بعلاج القسم الاصغر بينما القسم الاكبر باق بعلاته مرتعا للفساد ، وميدانا للتحكم والغطرسة والاستبداد ...

وبوحى من هذا الايمان ، حاولت ان اخص المرأة باكبر قسم

من صفحات هذا الكتاب ، اعالج فيه مشاكلها وابرز وضعها واصور حالتها ، علنى اكون بذلك قد اديت واجبا نحو امى واختى وزوجتى ومواطنتى وابنتى ، وعلنى اكـــون قد زرعت فى نفس المرأة بـذور الثورة والنقمة على اوضاعها ، فاكون قد ساعدتها على الثورة والتمرد والانتفاض ..

وقد حاولت ، كما سيرى القارىء ، فى فصول هذا الكتاب ان اتخذ الطريق الوسط بين الرجعية الممقوتة والمدنية المتهورة ، فلا اكون رجعيا انانيا اعيش فى ظلام القرون الوسطى تسوقنى التقاليد وتتحكم فى تصرفاتى العادات وتسيطر على اعمـــالى الرواسب .. ولا متهورا احيا فى اضواء المدنية الملوثة الزائفة ...

وهذه الطريق التى اتخذتها انما تمليها اوضاعنا المجتمعـــــية ، وتقاليدنا الوراثية وعاداتنا المتبعة ، اذ ان من عاداتنا وتقاليدنا مـــا يجب علينا ان نرعاه ونتعهـــده ومنها ما يتحتم علينـــا ان نحاربه ونستأصل شأفته ونقتلع جذوره ..

ولكن ، ورغم هذا فان دراسة بضع سنوات لمجتمع كمجتمعنـا الليبى مرت عليه حضارات مختلفة متباينة ، وتعاقبت عليه اجيـال واجيال متباعدة متفرقة ، لا يمكن ان تأتى بالفائدة المرجوة المؤملـة منها، ولا يصح ان تتخذ مقاسا حقيقيا تقاس به درجة ما بلغه المجتمع من تقدم ورقى ؛ او ما وصل اليه من تأخر وانحطاط ..

هذا قول لا اقوله تواضعا ، وانما هو صادر عن شعور حقيقى واحساس لا يخالطه شك ..

ولكن ، ورغم هذا الشعور بالعجز ، فان ما شجعنى على الكتابة وما جعلنى اجازف وارمى بنفسى وسط المعركة بدون سلاح او بسلاح مفلول على اقل تقدير، هو اننى اريد ان اقدم عملا واودى واجبا مفروضا

على نحو مجتمعى ومواطنى ، وعلنى اكون بذلك قد اوضحت (بعضا) من الطريق امام غيرى من الشباب الحائر بين التوقف والاندفاع ..

فالى الشباب المؤمن بالتطور ... الشباب المؤمن بالتقدم ... المؤمن بضرورة التجديد والتغيير والتبديل فى كل ما يجب ويمكن فيه التجديد والتغيير والتبديل ، اقدم هذا الكتاب ، اذ ربما اكون قد فعلت بعض الشىء . وشاركت ولو بقدر ضئيل فى معركة الكفاح والنضال الدائرة بيننا نحن الشباب وبين الحياة ...

محمد فريد سياله

صورة من المجتمع الليبى

ان كل مجتمع من مجتمعات العالم فى فجر نهوضه ومبدأ نشاته فى حاجة الى من يسهر عليه، من رجاله ، ومواطنيه ، ويتبع خطواته انلم يرسم هو نفسه هذه الخطوات ، حتى يصل المجتمع الى ما يطمح اليه من تقدم ورقى وازدهار ، ويبلغ شيئا مما يوءمله من الرفاهية والاستقرار ...

وكل المجتمعات الراقية المتقدمة التى نراها (اليوم) فى منتهى التقدم والرقى ، والتمدن والازدهار الاجتماعى ، لم تكن منذ بضع سنوات الا مرتعا للرجعية خصبا ، ومجالا للوهمية والاستغلال والتحكم والتعسف واسعا ، وهى انما وصلت الى هذه الدرجة من التمدن الذى نراها عليه اليوم فنحسدها او نغبطها ، بفضل كفاح بعض من رجالها العاملين المخلصين الذين اوقفوا انفسهم وجهودهم على تحريرها من الرق والعبودية ، وضحوا بكل ما يملكون فى سبيل قيادة شعوبهم ومجتمعاتهم واممهم نحو حياة حرة كريمة يتمتع فيها كل فرد بحريته ويشعر بوجوده ... ولا اعتقد اننا نسينا او يمكننا انننسى ابطال التاريخ الانسانى النضالى من امثال: محمد عبده ، وقاسم امين ، ولنكلن ، وغيرهم ممن كان لهم اعظم الاثر فى تغيير مجرى التاريخ الانسانى بدون منازع ، الشىء الذى جعل تلك الشعوب لا زالت ولن تفتأ تذكر اعمال اولئك الابطال فى كل مناسبة وغير مناسبة مقرونة بالاحترام والتقدير ...

فقد جاهد وناضل اولئك الابطال وامثالهم ممنيزخر بهم تاريخ الكفاح الانسانى فى سبيل تحرير وتطوير مجتمعاتهم وشعوبهم، سواء منهم من قدم مشروعا من شأنه ان يرفع مستوى معيشة شعبه الاجتماعية ، او قام بعمل له اثر فى حياة المجتمع ، او نشر فكرة

وسهر عليها حتى نمت وترعرعت ، او غرس بذرة رأى فى العقول وانبت جذورها فى الاذهان ، وترك الاعتناء بنموها وازدهارها لغيره ممن يؤمنون برأيه ، ويعتقدون مثل عقيدته .. فكل اولئك ناضلوا وكافحوا وجاهدوا لرقى مجتمعاتهم وازدهار حياة شعوبهم، ولم يكن دافعهم الى كل تلك التضحيات والاعمال الا شعورهم الانسانى الفياض بالواجب المفروض عليهم حيال امهم .

واذن فان رقى المجتمعات العالمية وتقدم الشعوب، لم يكن (اوتوماتيكيا) كما يخيل لبعض الناس ، ولم يكن نتيجة حتمية للتطور الطبيعى كما يظن البعض ، ولم يكن كذلك بواسطة معجزة من السماء كما يتوهم الاتكاليون ، لانه لو كان التطور والتقدم نتيجة حتمية لاستمرار الحياة ، وعملا تلقائيا يحدث من نفسه ، لما كان الله تعالى فى حاجة لان يبعث الرسل والانبياء لمحاولة تبصير الناس بمواقع الزلل ، والابتعاد بهم عن الاندفاع وراء الرغبات والميول التافهة الوضيعة

ان التقدم والرقى والازدهار لا يمكن ان يحدث كل ذلك الا نتيجة لنضال وكفاح وعمل مستمر ... ومن هنا نصل الى نتيجة اخرى ...

فلو اننا اجلنا النظر حول مجتمعات حوض البحر الابيض المتوسط ، محاولين دراسة مقدار تقدم ورقى كل من هذه المجتمعات وقارنا بعد ذلك بينها وبين مجتمعنا الليبى ، فاننا بلا شك سوف لن نجد ولا يمكننا ان نجد مهما حاولنا مجتمعا متأخرا عن ركب الحضارة والمدنية ، قاعدا عن اللحاق حتى بذيل قافلة الرقى الاجتماعى كما نجد هذا المجتمع المسكين ..

فهل يرجع هذا القعود والتأخر الذى نلمسه فى كل ناحية من نواحى حياتنا الاجتماعية ، الى عدم ايماننا بفائدة التقدم ؟ ..

ام راجع الى عدم مقدرتنا واستطاعتنا مسايرة الحضارة والمدنية ؟

لا اعتقد ذلك ابدا . وانما ارى ان السبب الرئيسى ، يرجع الى عدم وجود من يؤمن بضرورة العمل على تحرير حياتنا من رواسب الماضى وتخليصنا من اغلاله وقيوده ، وحتى هذا السبب الرئيسى لم يكن ناتجا تلقائيا دون ان تكون له مبررات واسباب ، بل انه يرجع فى ذاته ، هو وغيره من الاسباب التى كانت ولا تزال عوامل لتأخرنا وانحطاطنا الاجتماعى الملحوظ ، الى اصل واحد ، هو (الاستعمار) الاستعمار الذى توالى سنين عديدة على هذه الديار ، فنشأ عنه كل ما نلاحظه من تاخر وقعود ، وجهل ورجعية وانهزامية واتكالية وكل الوان التأخر الاجتماعى الاخرى ... بل ان الاستعمار هو ما حال دون المرأة ودون مشاركتها فى الحياة العامة مشاركة جدية مثمرة منتجة ، وخلق منها الة صماء للتوالد والتكاثر ، يوجهها الرجل اين يشاء ويقودها حيث يريد، يتخذها تارة متعة فى الفراش وتارة خادما فى المطبخ والبيت ...

فمن الاستعمار العثمانى البغيض، الذى لم يحطمنا ويقض علينا فحسب ، بل انه قضى على كل مقومات المجتمعات العربية الشرقية ، وجعلها الى يومنا هذا لا زالت تتجرع ويلاته وتقاسى اهوال رواسبه المتعفنة ، والذى كان سببا فى اقصائنا اقصاء كليا عن غيرنا من المتجمعات العربية المتحررة ، او الشبه متحررة فى ذلك الوقت ، وحاول بكل الوسائل الدنسة ان يوسع شقة البعد والخلاف بيننا وبين غيرنا من الشعوب، سعيا وراء استمراره فى التحكم فى مصيرنا فاخرنا عشرات السنين والاعوام لا عن الحضارة والمدنية فحسب، بل وكذلك عن ابسط قواعد الحياة، اذ لم ينشر بيننا شيئا كما نشر الجهل والخوف والجبن، ولم يعلمنا شيئا كما علمنا الخيانة والرشوة والسرقة وهى الاعمال التى كان يرتكبها اكبر موظفيه ومن الاستعمار العثمانى هذا ، الى الاستعمار الايطالى الغاشم الذى قضى على ثلاثة ارباع عدد رجالنا فى حرب عدوانية لم تتكافأ فيها الفرص والقوى ، طيلة اربعة وعشرين سنة من الزمان ، كانت نتيجتها التشرد والهروب والانزواء وراء الجدران خوفا من البطش والاستبداد ، فكان سببا فى سلبنا حتى ذلك النزر اليسير الذى حصلنا عليه من المعرفة رغم

الاضطهاد العثمانى ، فارجعنا الى الوراء لا عشرات السنين بل ميئاتها سعيا منه وراء احياء الامبراطورية المندثرة وجعل ليبيا جزءا من الوطن الايطالى ... وكذب ما يدعونه من ان ايطاليا كان لها فضل اظهار ليبيا بهذا المظهر التقدمى فى العمران والبناء ، فالواقع انها لم تكن تعمل ذلك لسواد عيون الشعب الليبى، وانما كانت تسعى لغرض دنىء الا وهو تحويل هذه الرقعة من الارض العربية الى جزء متمم للامبراطورية البائدة ...

ولكن شاء ربك ان يزول العهدان البغيضان ، العهد العثمانى الفاسدوالعهد الايطالىالغاشم ، فجاء عهد الاستقلال بعد جهاد وكفاح مريرين داما اكثر من ثلث قرن تجرع فيه الشعب الليبى المناضل كل الوان الذل والعبودية والاضطهاد ..

ومع الاستقلال ، بدأت تظهر الاراء والافكار الحديثة ، وتبرز من بين طيات الكبت والحرمان ، حتى اننا ننظر اليوم فنجد حياتنا غير تلك الحياة التى عاشها الآباء والاجداد زمن الاستبداد والعبودية . وننظر اليوم فنجد انفسنا ساعين جهدنا وفوق جهدنا لتغيير وتبديل اوضاعنا سائرين بخطوات واسعة نحو القضاء على كل ما يسمنا بميسم التأخر والانحطاط ، بعد ان تمكنا **(بعض الشىء)** من القضاء على تلك الرجعية التى كان المستعمر يكبلنا بسلاسلها ويغلنا باغلالها جيلا بعد جيل طيلة عديد من السنين والاعوام ، الرجعية التى كان يغذيها ويسهر عليها الغاصب المستبد ..

فهذا التقدم او شبه التقدم الذى يتخلل حياتنا اليوم ، لم يكن الا بعد ان طرد الاستعمار فتحررت العقول وبرزت الافكار تناضل وتكافح فى سبيل خلق مجتمع افضل وغد مشرق. فهؤلاء الذين يعملون لتكملة تحررنا لم يكن لهم وجود ، ولم يكن فى مكنتهم العمل الا منذ حين قصير وقصير جدا تكاد تعد سنواته على اصابع اليد الواحدة ..

واذن فسبب تأخرنا الاجتماعى ، لم يكن طبيعة فى نفوسنا ،

ولم يكن لعدم وجود من يؤمن بالتطور، وانما هو نتيجة حتمية للكبت والسيطرة الاستعمارية التى كانت تتحكم فى مصائرنا ...

ومن ابرز الاساليب الاستعمارية التى كان المستعمر الايطالى يتخذها حيالنا للحيلولة دوننا ودون الحضارة عمله المتواصل الجاد فى نشر الجهل بين سائر طبقات المجتمع ، وقد كان الاستعمار الايطالى يتخذ فى سبيل نشر الجهل كل الوسائل والطرق ، منها : اقصاء ابنائنا عن المدارس النظامية ، وادخال اللغة الايطالية كلغة رسمية قبل لغة البلاد فى المدارس القليلة التى سمح بانشائها ، وعدم السماح بمواصلة الدراسة فى الخارج ، حتى لا يستزيد شباب هذا المجتمع من العلم والمعرفة والاطلاع ، الشىء الذى من شأنه ان يكشف الاعيب المستعمر ويؤجج النفوس والعقول ضد اساليبه ..

وليس ذلك بغريب من دولة استعمارية فاشية .. اذ ان العلم والمعرفة ، لا يمكن ان يجتمعا والاستعمار على صعيد واحد ، فاذا حل الاستعمار فى بلد ما ، فلم يبق امام العلم والمعرفة الا الهروب والانزواء .. لان العلم والثقافة هما وحدهما طريق التقدم والرقى والازدهار الاجتماعى ، فلا يستطيع شعب ما، او مجتمع ما، ان يحصل على شىء من التمدن الا اذا غرف افراده نصيبهم من العلم والثقافة ، وأرووا ظمأهم من معينهما ، ذلك لان العلم هو المشعل الذى يضىء الطريق ويهتدى بنوره ، ويسير على ضوئه كل طالب للتقدم وراغب عن التأخر .. وبوحى من هذه الفلسفة الاستعمارية ، كانت ايطاليا تسعى جهدها للحيلولة دون افراد الشعب من ان يأخذوا نصيبهم من العلوم، بل واكثر من هذا، فقد كانت تعمل على وأد اللغة العربية ونزعها من افواه الناس لا بما اتخذته من طرق تعسفية فى التعليم فحسب، بل انها حاولت لتحقيق ذلك محاولة دنيئة اخرى يوم كانت تصدر صحفا او قل وريقات بيضاء تحمل مثل هذين الاسمين (مخلة العسكرى) و (الحقيقة) حتى تساعدها هاتان (الصحيفتان) على القضاء قضاء مبرما على ما بقى فى افواه الناس من كلمات عربية ، وبذلك تكون قد باعدت بيننا وبين كل ما يربطنا بغيرنا من الشعوب والامم والمجتمعات العربية .

ولجعل ما بيننا وبين قافلة التمدن والحضارة التى تسير فى ركابها تلك المجتمعات لايقدر بعشرات السنين فحسب بل انه يقدر بميئات الاعوام ..

ذكرت هذه الامثال مبينا بعضا ، او قليلا من كثير مما كانت ايطاليا الفاشية تتخذه حيالنا ، حتى تظهرنا بمظهر الشعب الجاهل المتأخر الغير اهل للحياة ، بله الاستقلال والحضارة والتمدن ..

اما اذا انتقلنا الى التحدث عن الرجعية التى كان الاستعمار اول من اوجدها فى ربوع هذا المجتمع، وهو الذى كان يسهر عليها ويتعهدها بالعناية والرعاية ، فان الحديث سوف يطول بنا قبل ان نفى الموضوع حقه من الدراسة والتعمق .. فهذه الرجعية التى نرى جراثيمها لا تزال تنتشر بين كثير من طبقات المجتمع رغما من التقدم الملموس فى ظروف حياتنا واوضاع مقوماتها ، وتبث سمومها فى كل مكان ... هذه الرجعية التى كانت ولا تزال سببا رئيسيا من اسباب تأخرنا الاجتماعى ، انها ما كانت لتكون وما كانت لتوجد بين ربوعنا لولا ان اوجدها الاستعمار واعتنى بها لحاجة فى نفسه ولتعينه على نشر ارائه بين سائر طبقات الشعب .. ومن مظاهر هذه الرجعية ما لا زلنا نلمس اثاره حتى يومنا هذا، خاصة فيما يتعلق بالمرأة وما يمس كيانها ، فلو اننا رجعنا بعقولنا الى الوراء قليل عدد من السنوات ، وبحثنا عن عدد البنات اللائى كن يدرسن فى المدارس النظامية (ان وجدت مدارس نظامية بالمعنى الصحيح اذ ذاك) لما وجدنا عددهن يزيد على العشرين او الثلاثين فتاة على اكثر تقدير ... وحتى هذا العدد القليل لم يكن يتكون الا من بنات الاسر التى **(كفرت عائلاتها وارادت تقليد النصارى)** كما كانوا يصفونها فى ذلك العهد ..

كانت الرجعية ربيبة الاستعمار ، تتربع على عرش واه شيده لها المستعمر ، وتتوج رأسها بتاج من الكذب والنفاق والتزمت صاغه لها سيدها وولى نعمتها الاستعمار ..

من الوهم ان نظن اننا قد قضينا على الرجعية وانها هى نفسها قد اعترفت بافول نجمها ، اذا ما رأينا هذا العدد من خريجات المدارس او طالباتها فالواقع ان الفتيات اللائى يدرسن الان لم يتمكن من تحقيق هذا الحلم بسهولة ويسر بل انهن جاهدن جهادا مريرا طيلة سنوات عدة حتى تمكن من ذلك ، وكم من قصص فى حياة كل فتاة نراها اليوم تذهب الى المدرسة او ترتدى (الكبوط) .. قصص مريرة كانت كلها كفاحا وجهادا وعملا على الحصول على هذا النزر اليسير من التحرر ان صح ان يسمى ما تتمتع به المرأة عندنا اليوم تحررا ...

لقد جاهدت الفتاة وعملت وكافحت ولا تزال تجاهد وتعمل وتكافح فى سبيل اللحاق بقافلة التمدن التى تسير باختها العربية الشرقية وسوف تحقق نجاحا كبيرا فى هذا الميدان اذا استمرت فى عملها الدائب المستمر ، رغم انوف الانهزاميين الذين ينادون فى القرن العشرين بضرورة حبس المرأة وراء الجدران حتى لا تلفحها حرارة الشمس المحرقة ولا تصل اليها ايدى الرجال الخشنة .. ظنا منهم ان المرأة انما خلقت للبيت وخلقت لاشباع رغبات الرجل والقيام بمهامه واداء الواجبات المفروضة عليها حياله ابا وزوجا وابنا، او بعبارة اصح انهم لا يزالون ينظرون الى المرأة نظرتهم الى حيوان لا يميز بين النافع والضار ولا يعرف الخير من الشر فما انفكوا بوحى من هذه النظرة الحقيرة يزرعون طريق المرأة بالشوك ويحيطونها بالعقبات والصعاب ظنا منهم ان ذلك سيحول دونها ودون اللحاق بغيرها من بنات حواء .. فرغما مما حققته المرأة فى العالم من جدارة واستحقاق ، ورغما مما قدمته من اعمال وانجزت من مهام ، فان بعضا من رجعيى هذا المجتمع لا زال يقف لها بالمرصاد ويصف كل اعمالها بالتهور والميوعة والاستهتار ...

ويكفى هنا ان نذكر تلك الوقفة الشنيعة المزرية التى وقفوها، وتلك الصيحات المخجلة التى اطلقوها يوم فكرت فى تكوين منظمة (نسائية) تخدم بها مجتمعنا ومواطنها ، وتخدم بها جيلنا المستقبل

وتشارك فى بناء صرح حياة جديدة .. ان صدى تلك الاقـــوال السخيفة ، وتلك الادعاءات الكاذبة ، ما فتىء حتى يومنا هذا يرن فى آذاننا ويطبع تاريخ نضالنا الاجتماعى بطابع الخجل والرجعية والتأخر والانحطاط ، فما ان علا صوت المرأة مقترحا مجرد اقتراح تكويـــن منظمة نسائية اجتماعية اسوة بما تعمله كل نساء العالم المتمدن ، حتى انبرى لها الرجعيون الانانيون ، منددين مسفهين هذه المحاولة واصفينها بانها وسيلة لا الى التقدم بل الى التهتك وفساد الاخلاق فرموا انصار هذه الفكرة من النساء والرجال بانهم دعاة (سفور) والسفور كما يرونه (حرام) و (عيب وكفر) ذلك لانه فى نظرهم طريق الـــى تدهور الاخلاق واختلاط الجنسين اللذين ما اجتـمع اثنان منهما الا وكان (الشيطان ثالثهما) فبدأوا يصيحون ويولولون مسفهين ناعتين بالكفر والمروق والتهتك كل من ايد الفكرة وكل من ناصر الرأى .. وليتهم اوضحوا لنا حجتهم يوم ذاك وبينوا منطقهم ومبرراتهم بطريقة يقبلها العقل ويستسيغها التفكير الانسانى الحر اذ ربما استطاعـوا بذلك ان يقنعونا بصواب فكرتهم ، ولكنهم لعجزهم ولعدم منطقيـة اقوالهم ، لم يجدوا ما يبررون به سخافاتهم وحماقاتهم ، الا ان يبقوا يدورون ويدورون فى حلقة مفرغة ، ويقولون ويعيدون القول دون ان يتمكنوا من الوصول الى حجج منطقية معقولة يقنعوننا بها ، فكانت اقوالهم اشبه ما تكون بعواء الكلاب المسعورة والذئاب الجائعة ، وهو ما جعل الفكرة تجد صدى بين المفكرين والتقدميين والتحرريين من الشباب نساء ورجالا ، حيث ان اقوالهم الجوفاء لم تستطع ان تقنع احدا من الناس من ذوى العقول السليمة والافهام المدركة والمدارك النيـــرة ..

وبفضل التحرر الاجتماعى الذى نشأ بين طبقات الشبـــاب الواعى الناضج منذ ان استقلت البلاد وتحررت العقول كان هنـاك بجانب المنددين بفكرة تكوين منظمة اجتماعية نسائية مجموعة من الشباب آمنت بضرورة مثل هذه الاعمال التى تتيح للمرأة المشاركة الجديـة فى النهوض بالمجتمع وخلق جيل جديد صالح ، فاحتدمت المعركـة واشتد حمى وسيطها بين العقلتين : عقلية متحررة منطلقة ، وعقلية بالية جامدة ، فكانت جريدة (طرابلس الغرب) تصدر كل يوم وهى

تحمل اكثر من موضوع حول الفكرة الناشئة بين معارض ومؤيد مؤمن بوجوب اشتراك المرأة فى الحياة العامة ومساهمتها فى ايجاد مجتمع افضل ، وكافر بخروج المرأة عن ميدان المطبخ والفراش ... ومن هذه المواضيع التى كانت تزخر بها جريدة طرابلس الغرب ، هذا الموضوع الذى القى ضوءا على الفكرة فاكسبها مناصرين ومويدين فقد جاء فى العدد ٢٥٣٨ من الجريدة المذكورة المقال التالى بامضاء (انسة) تقول فيه :

(.. واليوم احمل بعض اخبار مهمة تتعلق بهذه الفكرة الجميلة تحصلت عليها بعد تحريات دقيقة . فقد توصلت الى معرفة الاسم الذى سيطلق على هذا النادى وهو **(نادى المعلمات الطرابلسيات)** وان يكون مقره فى احدى مدارس البنات ، وان السيدات اللواتى يضعن اسس هذا النادى منهمكات فى وضع قانون اساسى له وهن يعملن على قدم وساق فى تحضيره ورفعه الى الجهات المختصة .

هذا ومن اهم الاهداف التى سيرمى اليها هذا النادى ، والتى استطعت معرفتها ، هى توثيق عرى الصداقة بين معلمات القطر، والاتصال بمختلف طبقات النساء فى طرابلس لغرض مساعدتهن وارشادهن الى الحياة المدنية الصحيحة ، ومساعدة الامهات فى تربية الابناء (كذا) والحصول على مساعدات مادية وادبية للفقيرات المحتاجات بعد الاتصال بالمؤسسات الحكومية للحصول على ذلك، والتعريف بالمرأة الطرابلسية تعريفا صحيحا والقاء المحاضرات العامة لغرض نشر التعليم وبث المعرفة .. وعقد دورات تعليمية فى كل ما تحتاج اليه المرأة لادارة شئون منزلها وعائلتها (كذا) وتكوين النواة الاساسية لتأسيس جمعية الهلال الاحمر الطرابلسية .. وتحققت انه ليس للنادى اية اهداف ترمى الى السفور ، بل النادى حريص كل الحرص على حفظ التقاليد ونصوص الشريعة الغراء كما يرغب فى بث الروح الاسلامية الصحيحة بين النساء ... (كذا) ...

بهذا القول الواضح الذى لا غبار عليه اوضحت الانسة اهداف النادى واغراضه ، ويكفى لاى انسان مفكر مدرك عاقل ان يلقى نظرة

ولو خاطفة على هذا الكلام حتى يتبين الدافع الذى دفع الى محاولة تكوين هذا النادى . ولكن ٠٠ ان الرجعية هى الرجعية، وان الجهل هو الجهل وان اعوان الاستعمار وذيوله هم اعوانه وذيوله مدى الحياة ففى الوقت الذى نقرأ **(ليس للنادى أية اهداف ترمى الى السفور)** وفى الوقت الذى نقرأ فيه **(بل النادى حريص كل الحرص على حفظ التقاليد ونصوص الشريعة الاسلامية الغراء)** فى نفس هذا الوقت وربما فى نفس الصفحة التى جاء فيها هذا الكلام ، نسمع من اقوام لم يخجلوا من انفسهم ولم يخجلوا من عقولهم يندون بهذه الفكرة ويستنكرونها ويصفونها بانها دعوة الى **(ما يسمونه السفور)**٠٠٠

ترى هل كان غرضهم من ذلك نزيها عفيفا ؟٠٠

هل كانوا يعنون حقا محافظتهم على الاسلام الذى هو برىء منهم ومن اعمالهم ؟٠٠٠

ترى لماذا كانت كل تلك الصيحات ، وكل ذلك البكاء والعويل على الاخلاق وكأنها قد اصبحت فى خبر كان ؟٠٠

اهى دعوة ، كما يزعمون لوجه الله ؟ ٠٠

أهو بكاء على الدين والاخلاق والفضيلة ؟٠٠

كلا والله ٠٠ والف كلا ٠٠ فان شيئا من ذلك لم يكن يهمهم وان شيئا من ذلك لم يكن يعنيهم ، وان صياحهم وعويلهم وبكاءهم ونواحهم ، لم يكن غيرة على اخلاق ولا رحمة بفضيلة ولا خوفا على دين ، وانما خوفا على ضياع السلطة من ايديهم ، وفقدانهم صولجان النهى والامر فى هذا المجتمع الذى استولوا عليه فى يوم من الايام وفى غفلة من الناس وبفضل خالقهم المستعمر الغاصب المستبد ٠٠

صاحوا وناحوا حتى تمكنوا من وأد الفكرة وطمسها ، لا خوفا على دين او فضيلة او اخلاق، ولكن جزعا وفزعا على ان تضيع السلطة من بين ايديهم ، فيفقدون مكانتهم المزعومة ويفقدون عرشهم الواهى المتداعى فيفقدون عزهم الماضى الذى كان منحهم اياه سيدهم المستعمر ٠٠

واننى لا زلت اذكر ذلك الرجل الذى قال لى يوم ذاك وفى ابان هذه المعركة (ما دام الزمام فى ايدينا نحن ، فلن يكون هناك

سفور) والحقيقة انما كان يريد ان يقول (ما دام الزمام فى ايدينا نحن، فلن يكون هناك تقدم) ٠

وهذا المنطق الذى يتحدث به احد دعاة الرجعية والتأخر ، لم يكن الا نفس المنطق الذى يتحدث به كل فرد من ذلك القطيع ، انهم لا يريدون التقدم للمجتمع ، ولا يطيقون الرقى للشعب ، وانما هم يحاولون المحافظة على سلطتهم التى بدأوا يشعرون بانها اخذت تتسرب من بين ايديهم وتنتقل الى غيرهم من الافراد ٠٠

ان الظاهرة ، او موجة السخط المفتعلة التى قوبلت بها فكرة انشاء ناد للمعلمات لم تكن فى حقيقتها الا صورة مصغرة لما تقابل به كل دعوة نحو التحرر والانطلاق ، سواء كانت فكرة انشاء نادى المعلمات حقيقة او كما اشيع فى ذلك الوقت من انها لم تكن الا مجرد عملية (جس نبض) قام بتمثيلها محررو جريدة (طرابلس الغرب) لمعرفة الاثر الذى تتركه مثل هذه الدعوات التقدمية التحريرية بين مختلف الطبقات الشعبية(١) ان مصدر الفكرة لايهمنا فى معرض هذا البحث، بقدرما يهمنا ما نتج عن انتشار الفكرة نفسها اذ ان موجه التأييد التى قوبلت بها هذه الدعوة ، وكذلك حملة المعارضة ، كانا بمثابة علامتى (الترمو متر) العليا والدنيا ، حيث انها اتاحت الفرصة امام الكثيرين والكثيرين جدا للتعبير عن افكارهم، تقدمية تحررية كانت او تأخرية رجعية ، وبذا تكون فكرة ظهور هذه الدعوة الى حيز الوجود قد ادت المطلوب منها ، سواء صدرت عن نفس مؤمنة بها ساعية الى تحقيقها او عن جماعة تحرير (طرابلس الغرب) ٠٠

ان ظهور تلك الدعوة الى عالم الواقع ، قد اتاح الفرصة امام الكثيرين ، ولقد : (كتب كثيرون حول انشاء النادى النسائى ، فمنهم من عارضها وحطمها ،ومنهم من ناصرها وحاول اظهارها حقيقة وواقعا

---

(١) لقد تحققت والكتاب تحت الطبع ، ان الفكرة كانت صادرة من نساء حقا ، وانه لولا معارضة طبقة (محترفة) فى يدها بعض السلطة ، لتحققت الفكرة من زمان٠٠

الى عالم الوجود ... واليوم لا اريد ان اكتب جديدا حول الموضوع، وانما اكتفى بالتعليق عما جاء فى مقال الآنسة اخيرا ليس غير...

فلو اننا امعنا النظر فى الدعوة التى ظهرت اخيرا وعملنا فيها الفكر والعقل ودرسناها بتمعن وتعقل ، مبتعدين عن الاهـــواء والاغراض ، تاركين التعصب الجنسى جانبا ، لوجدناها حالة طبيعية لا بد منها ونتيجة حتمية لا مفر عنها ، بل لالفيناها بادرة خـــير ورفاهية لمجتمعنا ، وتمهيدا للحاق بقافلة التمدن التى سبقتنا فيهـا امم العالم العربى بعشرات السنين .

ان من مقتضيات القرن العشرين ، ان تشارك المرأة قـــدر استطاعتها ، فى النهوض بمجتمعنا فى حدود ما يسمح به لها عقلها وخبرتها وتجاربها .. فالمرأة جزء لا يتجزأ من كيان الامة والمجتمع، فلا يجوز بل لا يمكن ان تكون بعيدة عن الحياة التى يحياها غيرها من افراد المجتمع الذى تعيش فيه ، وليس فى استطاعة احد ان ينكـــر اعمالها ويتناسى ما لها من قدرة قد تفوق قدرة الرجل فى الميادين الاجتماعية اذا اتيحت لها الفرص واخلى لها السبيل خاصة فيما يتعلق بالتربية وشئونها المختلفة ، حيث يعتمد عليها فى تنشئة الجيل الجديد وتهذيب اخلاقه وصقل طباعه وميوله ، حتى تخلق منه المواطـــن الصالح والعنصر الممتاز الذى ينفع وينتفع به.. ونظرا لاهمية المرأة هذه فقد اكتسبت مكانة من ارفع المكانات واسماها فى الحياة العصرية التى تعيشها اليوم .. واذا كانت المرأة قد شاركت بجليل الاعمال وقدمت اروع النتائج فى كثير من ميادين الحياة ، فكيف يمكننا ان ننكر عليها تكوين (موءسسة) اجتماعية ما دام رائدها الاصـــلاح الاجتماعى والاخذ بيد المرأة الليبية الى مصاف المرأة العالميـــة فى المجتمعات الراقية ؟..

لقد ثبت لنا بعد موضوع (الانسة) ان الغاية من انشاء هـــذه المنظمة لم تكن الفساد او ما يشبه الفساد ، كما زعم معارضوهـــا من الرجعيين التأخريين ، ولم يكن هدفها افشاء اخر تقاليد الغرب كما يحلو لدعاة التأخر ان يصفوها بل ان الهدف الاقصى الذى تهدف اليه

انما هو رفع مستوى المرأة اجتماعيا وثقافيا وعقليا ، بما يجعلها فى عداد المخلوقات الادمية ، لا مجرد دمية فى يد حفنة من الرجال يلعبون بها كما يشاؤون ٠٠ (١)

مما لا شك ولا جدال فيه ، اننا فى مبـــدأ نهضة علميـــة اجتماعية ٠
حديثة ، ومن هنا وجب علينا ان نعمل كلنا نساء ورجالا متحديـــن متكاتفين ، اذ انه لا يمكننا بحال ان نحقق اهدافنا ونصل غاياتنا مـا لم تعمل المرأة بجانب الرجل وتؤدى نصيبها من ضريبة التقدم تمامـا كما يؤديها الرجل ٠٠

قد يرمى كثيرون كلامى هذا بالفراغ والميوعة ، وقد يصفوننـى بالكفر والالحاد والفساد ، ولكن الحقيقة ان الحياة تتطور يوما بعـــد يوم ومن واجبنا ان نؤمن بتطور الحياة والا تركتنا الحياة حطاما وراء قافلتها تدوسنا الاقدام وتضحك من عقولنا الاجيال تلو الاجيال ٠٠

ان مشاركة المرأة فى الحياة العملية امر ضرورى من السخافة والحماقة عدم الاعتراف به ، فهذه الدول والامم والشعوب والمجتمعات التى نراها اليوم تتمتع بحريتها وسيادتها وكيانها ، لم تبلغ هـــذه الدرجة من الرقى والتقدم والازدهار الا بعد انااعترفت بالمرأة كانسانة لها مثل ما عليها ، فى استطاعتها انتنتج وفى استطاعتها ان تشارك وليس ما يحول دونها ودون كل ذلك ســوى اتاحة الفـــرص امامها ورغم هذه الاقوال فان الرجعية لم تؤمن اولا تشاء ان تؤمن بان المرأة مساوية للرجل فى الحقوق والواجبات ولا ترى فيها اكثـــر من خـــادم ومتعة وآلة للتفريج والتكاثر) ٠٠ وهكذا فرغم صيحات الشباب المؤمن المكافح المناضل ورغم تأييده لفكرة تكوين نادى المعلمات ، وجهاده فى اظهار هذه الفكرة من حيز التخمين والتفكـير الى عالم الحقيقـــة والواقع، رغم كل ذلك فقد كانت الغلبة فى تلك المعركة لمن لا يستحق الغلبة ٠٠ والسبب فى ذلك يرجع على ما أعتقد الى عاملين اثنـــين : الجهل الذى جعل عامة الناس يتلقون تلك الدعوة بكثير من الخـــوف وكثير من الجبن وكثير من تصديق ما يلقيه عليهم زعماء الرجعيـــة

(١) كتب هذا الكلام ابان المعركة ، ولكن الجريدة لم توافق على نشره

والانهزامية ، وعامل ثان وهو عدم شجاعة المرأة على مواصلة السير ومواصلة الكفاح ..

وهكذا ترى من جراء فشل تلك الدعوة ، التى لا يهمنا مصدرها بقدر ما يهمنا معناها ومغزاها ، ما لا زلنا نتجرع ويلاته الى يومنا هذا ، وهو الخوف الذى انتشر بين مجتمع النساء ، وجعلهن لا يفكرن مرة اخرى فى اعادة التجربة بعد الحملة المغرضة التى ووجهن بها اذ ذاك (١) وهنا فقط يظهر لنا ضرر محرري جريدة (طرابلس الغرب) فى تلك الفترة ، لو صدق وانهم كانوا حقيقة اصحاب الدعوة الموهومة ، حيث انهم بعملهم ذاك اساؤا الى المرأة واخروا حركة المرأة ، فى طرابلس خاصة ، سنوات وسنوات من حيث ارادوا دفعها الى الامام ..فلولم تحدث تلك الزوبعة التى اجبنت المرأة ،لا شك اننا كنا نرى اليوم الكثيرمن النوادى والمنظمات النسائية فى هذه الولاية تماما كمانسمع بمثيلاتها فى الضفةالشرقية من المملكة ...

واعود لاتحدث عن الرجعة من جديد ..

ان الرجعية او التأخرية والانهزاميةالتىزرع بذورهاالاستعمار فى ربوع مجتمعنا ،كانت ولا تزال هى العائق الذى يعوق المرأة عن العمل والانتاج ويحول دونها ودون المشاركة فى الحياة مشاركة فعالة مجدية.. فدعاة الانهزامية لا زالوا حتى يومنا هذا ينظرون الى المراة كما كان نظر اليها اجدادهم زمن الجاهلية ، وكانما الطبيعة أوجدتها لمجرد لا شيء ، غير القيام بمهام الرجل ، والسهر على راحته والعمل على اشباع جوعه ونهمه وارواء عطشه وظمئة : فهو سيدها وهى خادمة له ، وهو قائدها وهى المقود له رغم تلك المساواة التى منحها واقرها لها الاسلام .

وقد تجد حجتهم فى ذلك ان يجابهوك باقوى اسلحتهم اذ يقولون (ان الاسلام نفسه اعترف للرجل بفضله على المرأة بحيث قال: الرجال قوامون على الناس . فنحن اذن لم نتعد حدود الاسلام اذا

---

(١) كتب هذا الكلام قبل تكوين الجمعية النسائية

اعتبرنا انفسنا اسمى مكانة ومنزلة من المرأة) وقد فاتهم ان يعلموا ان (القوامة) التى اشار اليها الاسلام ، لم تكن قوامة مطلقة ولا تعنى ابدا ان يستبد الرجل بالمرأة ويتحكم فى مصيرها ، ولا تعنى ابدا ان يكون الرجل هو كل شىء والمرأة الى جانبه لا شىء ، ولكنها تعنى فى حقيقتها قوامة فى أمور دون أمور وفى شئون من الحياة دون شئون، اى انها قوامة محدودة بحدود انسانية المرأة التى اعترف لها بها الاسلام ، الذى لم يتخذ ، كما يتوهم الرجعيون من المرأة مطية يمتطيها الرجل متى شاء فيسوقها حيث يريد ، والا فما هى الميزة التى تميز المرأة فى الاسلام الذى حررها عن المرأة فى الجاهلية التى كانت تستعبدها ؟..

غير انه ورغم ان الرجعية لا زالت ترتع بيننا ولا زالت تتحكم فى بعض مصائرنا ، فان فرقا كبيرا فيما يتعلق بحياة المرأة فى هذا المجتمع زمن الاستعمار وبين ما تتمتع به منذ اعلن الاستقلال ، وذلك بطبيعة الحال يعود الى ان الاراء التى كانت تضطرب وتعمل ايام الاستبداد والاضطهاد ، دون ان تجد لها منفذا او متنفسا ، قد بدأت تبرز وتظهر من يوم ان شعر الافراد بالحرية فتحررت العقول وتحررت الافكار واطلقت الاقلام تجاهد وتناضل فى بسالة واستبسال ، للنهوض بالمجتمع ، وللسير به نحو الهدف الاسمى ، وبدأت الحناجر من يومها تصيح منادية بالاصلاح وبالقضاء على الفساد الاجتماعى الذى شمل كل مرفق من مرافق الحياة العامة والخاصة .. ومن يومها اعلنت حرب شعواء على القيود الوهمية التى لا تقيد المرأة فحسب ، بل وتقيد الرجل والمجتمع باسره وتحول دوننا جميعا ودون الانطلاق والتحرر ، وكانت رحى هذه الحرب ، او قل ميدان هذه المعركة الواسع ، ينحصر فى المطالبة بالاعتراف بانسانية المرأة وبحقها فى التمتع بكل متع الحياة التى يتمتع بها الرجل ، والمناداة بالمساواة بين المرأة والرجل دون تفرقة ودون تميز ...

وكانت ولا تزال فلسفة المنادين بمنح المرأة حقها من الحرية والمساواة تنحصر فى ايمانهم بان لا تقدم يمكن ان يحدث الا اذا تكافأت الفرص امام الجميع ، وتساوت الحقوق والواجبات .

مساواة مستقاة من قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ومن قوله عليه الصلاة والسلام (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ٠ ومن قول عمر بن الخطاب (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟٠)

وهؤلاء الذين كتبوا ونادوا بالتحرر والانطلاق ، انما كانت تدفعهم الى النضال والكفاح ، والى التضحية والجهاد ومواصلة العمل رغم ما يلقونه من تعنت ورغم ما يوصفون به من تهور واستهتار ، عقيدتهم الراسخة وايمانهم القوى بانه لا بد ان يأتى يوم تتحقق فيه امالهم وامانيهم ، سواء قرب هذا اليوم ام بعد ٠٠ (١)

وبوحى من هذه الفلسفة النيرة ، والعقيدة الراسخة ، تجرأت آراء جديدة على الانتشار ، وافكار جديدة على الذيوع ، كلها تسعى لتحقيق شيء واحد : خلق مجتمع جديد يسوده العمل الصالح الناتج عن تكافوء الفرص امام كل الافراد دون تمييز ، وايجاد حياةاجتماعية واعية يسودها الوئام والتفاهم والاخاء ، تساير بقية مجتمعات العالم الراقية المتمدنة ٠٠٠

والحقيقة التى يجب ان نعترف بها ، هى انه لولا عمل اولئك النفر من الشباب الموءمن بالحياة المنادين بالتحرر ، الساعين الى التجديد والتغيير والتبديل ، ولولا عمل تلك القلةمن الشباب الواعى المتواصل ليل نهار ،بعد ان شعرت بالهوة السحيقة التى تفصل بيننا وبين الحضارة الانسانية فى القرن العشرين ، وبحاجتنا الملحة للقضاء على ذيول الاستعمار وبقاياه واذنابه ، لما كانت حياتنا تختلف عما كانت عليه زمن العهد العثمانى البغيض او العهد الايطالى الغاشم ٠٠

من كل هذا نستنتجان فضل الشباب على تقدم حياتنا الاجتماعية من كل الوجوه لا يمكن ان ينكره الا مكابر مستبد غاشم لا يؤمن بمقدرة الشباب المناضل المكافح ٠٠ فالواقع لولا جهود الشباب ولولا عمل الشباب ولولا كفاح الشباب ، لما كنت تلمس هذا التقدم «النسبى» فى حياتنا الاجتماعية فى مدى سنوات قليلة وقليلة جدا فى دنيا المجتمعات والشعوب ٠٠

---

(١) ولاحت تباشير هذا اليوم ، يوم تكونت الجمعية النسائية

لقد آمن الشباب برسالته، وآمن بواجبه، وشعر بخطورة موقفة فأخذ على عاتقه مهمة تحرير النفوس من الاوهام ، والمجتمع من الاغلال والحياة من الرواسب ، من غير ان يهتم بما ينعت به من قبل دعاة التأخر والانهزامية ، الذين لم يخجلوا من ان ينعتوه مرة بالكفر ومرة بالفساد ومرة بالالحاد ، فقالوا شباب مائع ، وقالوا شباب مستهتر وقالوا (سفورى) كل ذلك لا لشيء وانما لانه امن بوجوده وامن برسالته وشعر بمسئوليته حيال نفسه وحيال مجتمعه وحيال الاجيال القادمة ..

هذه صورة بسيطة جدا يمكن للقارىء ان يرى من خلالها (ملامح) خطوط المجتمع الليبى الناشىء بمعناه الواسع العريض .. ومنها ايضا يمكنه ان يقدر مدى الجهد الذى بذله ولا زال يبذله الشباب الواعى الذى قدمت اليه هذا الكتاب ، فى سبيل خلق مجتمع افضل لغد مشرق ..

فالشباب الذى كافح ولا زال يكافح لخلق هذا المجتمع الافضل المنشود هو نفس الشباب الذى قدم فى يوم من الايام عريضة الى المجلس التشريعى لولاية طرابلس الغرب يطلب فيها اصدار قانون يمنع بعض العادات والتقاليد التى لم تعد تتمشى وحياتنا العصرية اليوم ولكن ان الجبهة التى تعارض الشباب والتى تقف له بالمرصاد وتعرقل كل عمل من اعماله ، لم تكن محدودة بحدود الرجعيين فحسب ، بل ان جذورها تمتد وتمتد فتشمل حتى اولئك النفر ممن كان المفروض فيهم انهم من ذوى الوعى الناضج والعقول الراجحة .. فقد رفضت كل الطلبات التى تقدم بها الشباب فى عريضة موقعة من اكثر من (٢٢٣) توقيعا جمعتها فى يومين اثنين بحجة ان القوانين لا تفرض فيما يتعلق بالعادات الموروثة والتقاليد، ولست ادرى بالضبط مصدر رفض تلك الطلبات هل هى الجهات التشريعية ام الجهات التنفيذية ولكن الذى ادريه انها رفضت بحجة واهية لا اساس لها من منطق ولا سند لها من عقل وتفكير .. ولست ادرى كذلك بم يعلل من رفض تلك الطلبات تدخل الحكومة المصرية فى الايام الاخيرة ودرسها للعادات المصرية المتبعة لمحاولة اصلاحها وتهذيبها ، هل يعد ذلك عملا غير قانونى فى نظر من رفض طلباتنا تلك ؟...

لست ادرى ولا غيرى يدرى ، والايام وحدها هى التى تدرى وهى التى ستجيبنا عن هذا التساؤل يوم تنفجر القنبلة وتعلن الثورة الجامحة على كل تقليد متعفن آسن ...

المرأة والمجتمع

ان سائر المجتمعات الانسانية فى العالم ، بل ان الكون باسره، انما يتكون فى مجموعه، من كلا الجنسين، الرجل والمرأة على حد سواء ان لم تكن نسبة الاناث فى بعض المجتمعات اعلى من نسبة الرجال كما هى الحال فى البلاد المتأخرة او التى اصيبت بخسارة فى عدد الرجال من جراء الحروب ..

واذن فالمرأة فى كل مجتمع ، تكون جزءا لا يتجزأ من كيانه..

ونتيجة لذلك فهى عامل مهم فى تقدم المجتمعات ، او تأخرها ، بحسب الظروف التى تتحكم فيها ، واساليب الحياة التى تفرض عليها ...

والاسلام وهو دين الحق والمساواة ، قد عرف للمرأة هذه المكانة الخطيرة ، وهذا المركز الهام، فمنحها حقوقا واعطاها مزايا وحررها من الرق والعبودية ورفع عنها نير الظلم والاستعباد ، قصد تحريرها وافساح المجال امامها للعمل المثمر المنتج الذى ينفع البشرية ويبسر لها سبل التقدم والرقى ...

وكل تلك الحقوق والمزايا التى حصلت عليها المرأة بفضل الاسلام ، لم تكن تحلم بها حتى مجرد الحلم زمن الجاهلية الاولى ايام كانت تباع وتشترى وتسبى شأنها شأن الاغنام والمواشى والانعام ، وحيث كانت محط انظار المغيرين والطامعين والغاصبين ، لا فرق بينها وبين المتاع ..

جاء الاسلام بتعاليمه السمحة ، فازال عن المرأة الكثير من الوان الذل والعبودية والاستبداد ، وسواها بالرجل فى كثير من مظاهر

الحياة ومقوماتها ، ومنحها حقوقا بقدر ما فرض عليها من واجبات ، فساوت الرجل الذى كان يستعبدها ويضطهدها فى كل مظاهر الحياة والانسانية التى اعترف لها بها الاسلام ، فلم يعد من يومها للرجل على المرأة من سلطان مطلق كما كان له زمن الجاهلية والعبودية ...

وبذلك اثبت الاسلام بما لا يدع مجالا للشك والريبة انه يعتبر المرأة جزءا من كيان الامة وعضوا من جهاز المجتمع، ولذا فهو لم يفرق بينها وبين الرجل فى كثير من الامور والواجبات الدنيوية والاخروية فكان فى فروضه يخاطبهما على اعتبار انهما ندان متساويان ، وكان يخاطبهما فى كل آيات القرآن الكريم خطابا واحدا يوجهه اليهما معا ...

ومعنى هذا ان مجرد التفكير فى الاستغناء عن المرأة او عن اعمالها ومساعداتها ، او غض النظر عن خطورة وجودها ومقدار اثرها بين المجموعة الانسانية انما هو ضلال واجحاف وجهل ..

واذا اردنا ان نستزيد معرفة على ما للمرأة من اثر فى حياة المجموعة البشرية منذ وجدت هذه المجموعة ، ومقدار ما لها من اياد فى تطورات الزمن يكفينا ان نلقى نظرة ولوعابرة خاطفة على صفحات التاريخ القديم والحديث حيث تواجهنا فى كل صفحة من صفحاته اثار المرأة ، وبذلك نلم الماما ولو يسيرة بما للمرأة من خطورة فى الحياة وبما لها من شأن فى تطور هذه الحياة ..

فكل فترة من فترات تاريخ البشرية ، نجدها تزخر بما كان للمرأة من ادوار فعالة فى اتجاه سير التاريخ ، من يوم ان كانت حواء سببا فى نزول آدم من الجنة الى يومنا هذا ..

ولا نريد فى هذه العجالة ان نعود كثيرا الى الوراء بل يكفى ان ننظر الى صدر الاسلام ، حيث نرى (هند) زوج (ابى لهب) وهى تقف ذلك الموقف فى وقعة (بدر) الذى كان له اثر واى اثر فى تغيير

مجرى تاريخ العروبة والاسلام ٠٠ وأنا أجزم انه لو لم تقف (هند) دلك الموقف لكانت وجهة التاريخ اليوم وجهة اخرى ٠٠ ثم نتابع سيرنا مع قافلة التاريخ ، حتى يقف بنا امام (عائشة) ابنة (ابى بكر الصديق) وزوج النبى عليه صلوات الله ، وام المؤمنين ، و (الحميراء) التى امرنا الرسول ان نأخذ نصف ديننا عنها ٠٠ نقف امام (عائشة) هذه وننظر فنجد احداثا واحداثا ما كانت لتكون لو لم تكن **عائشة امرأة بين جماعة الجنس الانثوى** وغير عائشة وهند كثيرات منهن (مدام كورى) وزوجة (لنكلن) محرر العبيد ، فالتاريخ حافل بمثل هذه النماذج من النساء اللائى اثبتن جدارة المرأة ومدى فعاليتها ومقدرتها على المشاركة فى صنع التاريخ والحضارات ٠٠٠

فاذا تأخرت المرأة او اجبرت على التأخر ، فان ضرر ذلك لا يعود عليها هى وحدها فحسب بل ان كل مظهر من مظاهر الاقلال من مكانة المراة او الانقاص من شانها وقيمتها ، لايعود عليها هى فحسب . بل ان ذلك معناه اقلال من شان المجتمع باسره والرجوع به الى الوراء عشرات السنين ٠٠ فالمجتمع لا يمكن ولا يصح ان يتكون من جنس واحد فقط ، بل ان ما المجتمع بمعناه الواسع العريض ، الا رجال ونساء واطفال وشباب ، وعلى هذا الاعتبار فالمرأة فى اى مجتمع تكون نصف كيانه وتمثل نصف افراده فاى ضيم او اجحاف يصيب المراة ، لايمكن للامة ان تكون بمنجاة عن ويلاته ونتائجه ، واى ظلم او غبن او استبداد تحمل اياه المرأة فى اى مجتمع من المجتمعات ، فللرجل نصيبه منه ٠٠

فالرجل والمرأة عنصران اوليان من عناصر عمران الكون وازدهار الحياة واستمرار الوجود ، وكل منهما فى ذاته عضو ناقص فى حاجة الى معونة الاخر ليقوم بالمهمة الطبيعية المنوطة به ولا يمكن لاحدهما ان يستغنى عن معاضدة الاخر له ومساندته اياه لاداء هذه المهمة الانسانية التى اناطتها به الطبيعة ، وبالتالى فلا يمكن لاى مجتمع ان ينهض ويزدهر او يتقدم اذا لم تتحد هاتان القوتان وتعملا جنبا الى جنب فى محاولة اسعاد المجتمع والشعب والامة ٠٠٠ واكثر من هذا كله ، ان اى مجتمع لا ينهض ولا يتقدم مالم تكن اعمال طرفيه السالب والموجب متساوية متناسبة مع ما على كل منهما من مهام وواجبات ٠٠

وانا نستطيع ان نقول جازمين ، انه لم يكن من سبب فى تأخر المجتمعات الانسانية الغابرة ، وانحطاط مستوى معيشتها وافرادها وتنكبها عن جادة التقدم، وقعودها عن الحضارة والتمدن ... لم يكن من سبب فى تلك النكبات التطورية التى اصابت المجتمعات والشعوب الغابرة ، الا سوء معاملتها للمرأة، حيث كانت مضطهدة مغلوبة على امرها مسلوبة الحول والقوة والارادة ، تسام اشد انواع الاستبداد والاضطهاد وتعامل معاملة العبيد والاغنام ..

ونحن اذا القينا نظرة عبر التاريخ باحثين عن مكانة المرأة الحقيقية فى تلك الفترات من تاريخ تطور البشرية ، فاننا سوف نجد معاملة المرأة معاملة أقل ما تنعت به انها قاسية غاشمة ، ولم تكن تلك المعاملة مقتصرة على فترة من التاريخ دون فترة ، ولا محصورة فى مجتمع من المجتمعات دون آخر ..

ان سوء المعاملة هذه الصادرة عن عدم فهم صحيح لحكمة ايجاد المرأة بجانب الرجل ، واعتبارها كما تافها ، عالة على الرجل والمجتمع والحياة والوجود ... هذه المعاملة الغاشمة ، سوف لن نجدها مقتصرة على امة دون امة ولا محصورة فى شعب دون شعب ، بل اننا لو القينا نظرة عبر التاريخ ، فاننا بلا شك سنجدها معاملة كانت شاملة عامة لكل نساء العالم .. وليس هذا فقط ، بل ان المتتبع والمهتم بقضية المرأة ليلمس الى يومنا هذا وفى القرن العشرين، قرن المدنية والتحرر (كما يزعمون) اثر تلك المعاملة الموروثة لازال موجودا حتى الان فى كثير من مجتمعات العالم .. فكثيرا من هذه المجتمعات التى تدعى المدنية والحضارة والتحرر ، لا زال افرادها ينظرون الى المرأة نظرة اجدادهم الاولين ، ولا يرون فيها اكثر من مخلوق ضعيف يؤمر فيطيع ، ويوجه فيتجه ويقاد فينقاد ، وكان لا مهمة لها فى الحياة تؤديها ، ولا رسالة لها نحو الاجيال تبلغها سوى القيام بمهام الرجل سيدها وربها وخالقها ، وعائلها ، فهى تروى ظمأه وتشبع غرائزه ، وتقوم بشئونه المنزلية ،وتمنحه جسمها وشبابها وجمالها وفتنتها وتغمره بعطفها وحنانها ، كل ذلك مقابل ما يسديه اليها من معروف فى اطعامها واعالتها والانفاق عليها ..

فهذه فرانسا بلد المدنية والنور ، والتى ثارت فى يوم من الايام قريب، فى سبيل الحرية ، لا زالت تنظر الى المرأة نظرتها الى (القاصر) فلا تخولها حق التصرف فى مالها ومتاعها الخاص ، الا باذن عائلها وسيدها الرجل رغم ما منحتها من حق التصرف فى جسدها والتدهور باخلاقها والخضوع المطلق لغرائزها ..

ولكن رغم سوء المعاملة التى تعامل بها المرأة فى الوقت الحاضر ، فان ذلك لا يمثل الا القليل والقليل جدا لو قورن بما كانت تقاسيه ايام زمان ، فهى اذا قورنت بالرجل فى تلك المجتمعات المندثرة ، واذا قورنت مكانتها بمكانته لم نجد ولا يمكن ان نجد شيئا تصح او تمكن معه المقارنة .. فمكانة المرأة فى تلك المجتمعات تكاد تكون معدومة على الاطلاق ، وانسانية المرأة شىء غير معترف به بتاتا فهى بجانب الرجل متاع رخيص ورخيص جدا لحد انها لم تكن موجودة البتة ، حيث ان الرجل كان يراها مخلوقا طفيليا لا حق لها فى الحياة الحرة الكريمة ولاحظ لها من المتاع المباح الذى خص به نفسه دونها واباح لنفسه حق التمتع به وحده ، ولا نصيب لها فى مزاولة ما منحتها الطبيعة وما اعترفت لها به من حقوق الا بقدر الاستفادة منها ... فالرجل كان يراها وكأنما خلقت عالة عليه هو اولا ثم عالة على المجتمع الذى تعيش فيه ، فلم يكن فى تلك الفترة من فترات تاريخ جهادها وفى تلك الفترة الطويلة من العصور المظلمة المليئة بالاجحاف والجور ، لم يكن للمرأة مكان فى الاسرة ولا مركز فى المجتمع ، بل كان فى اعتقادهم ان الله تعالى لم يخلقها الا لتلد البنين ، والويل لها اذا ولدت الاناث، ولتؤدى للرجل الذى هو كل شىء واول شىء واخر شىء ، واجبات ما خلقت الا لتأديتها ..

واذا اردت ان اصف مركز المرأة الاجتماعى فى تلك العصور والازمان ، والتى يمثلها العصر الجاهلى اصدق تمثيل ، فيكفى ان انقل هنا مقتطفات مما جاء فى كتاب (المرأة فى مختلف العصور) للاستاذ احمد خاكى ، حيث يقول :

(كانت المرأة فى بيئة الرعاع قليلة الشأن وكانت من بين المتاع الذى يمتلكه الرجل . كانت كالشاة تماما يغير عليها المغيرون لبيعها واستعبادها كما يغيرون للاستيلاء على الابل وكان زوجها اذا اراد السفر عمد الى شجرة وعقد بين غصنين منها فان عاد وكان الغصنان كما تركهما زعم ان امرأته لم تخنه ، واذا رآهما انفصلا ظنها خانته ..

(ومعنى ذلك ان الخرافة وسوء الظن والازدراء كانت تميز بين الرجل والمراة ، ولم يكن للمراة كما اسلفنا مكان فى بيئة تؤمن بالرجل ولا تؤمن بالمرأة ، لذلك اهمل حقها فى الميراث ، ولذلك كانت تعتبر سببا يصيبه المغيرون من أية ناحية من النواحى ، ولذلك انحطت منزلتها الى حيث الرقيق ، ولذلك كان الرجل يئد بناته ويستحيى ابناءه فكان كل وجه من وجوه الحياة يقف حائلا دون المرأة ، يحول دونها ودون الحياة المجردة بله الحياة السعيدة).

ويقول احمد خاكى فى موضع اخر : (وكان الجاهليون يرثون النساء اكراها، بان يجىء الوارث ويلقى يده على زوج مورثه - ان لم يكن منها - ويقول (ورثتها كما ورثت ماله) ويكون له بعد ذلك كل الحقوق عليها ان شاء يتزوجها بلا صداق، وان شاء زوجها واستوفى صداقها لنفسه ، وان شاء حرمها الزواج ليرثها اذا ماتت) .

ويقول ايضا : ويمتنع الرجل اذا كره زوجته عن تسريحها ويسىء عشرتها حتى تفتدى نفسها بمهرها) .

ويستطرد المؤلف قائلا : (كان منهم من يتنازل عن زوجته لغيره ، بعوض او بغير عوض ، رضيت ام لم ترض ، فهى اذن حال كانت فيها حقوق المرأة لا شىء وحقوق الرجل كل شىء ..)

ويقول ايضا : (ذلك ان المرأة كانت ، كما رأيت متاعا لا اكثر ولا اقل ، كانت تورث كما تورث الارض والانعام ، وحينما يغير المغيرون وحينما كانت تنشب الحرب بين قبيلة وقبيلة ، كان مما

تواضع عليه اولئك ان نساء الفريق المغلوب حلال للفريق الغالب ، يستبيحون حرماتهم كما يستبيحون ابلهم ، واغنامهم وانعامهم وزادهم وشعارهم ، ولذلك وقعت فى ذل الاسر كثيرات من النساء وجدن انفسهن بين عشية وضحاها ، اماء تباع وتشترى ..)

بهذا الكلام وصف صاحب (المرأة فى مختلف العصور) حالة المرأة العربية قبل ان تبزغ شمس الاسلام التى بددت السحب وازالت او قضت على ذلك الاضطهاد الذى كانت تقاسيه المرأة من أمهاتنا وجداتنا .. وهو لا شك وصف ينطبق على الواقع ، ويترجم الحقيقة المزرية التى كانت تعيشها المراة العربية .. الحقيقة التى يؤيدها ما بين ايدينا من الكتب وما نقرأ فى صفحات التاريخ القديم والحديث .. وهو فوق ذلك ليس وصفا لحال المرأة العربية فى العصر الجاهلى فحسب ، بل انه فى الحقيقة وصف لحال المرأة الشرقية بوجه العموم ..

فنحن لا نذكر ان المرأة الشرقية غير العربية ، الهندية مثلا او الصينية ، كانت باحسن وضعا من المرأة العربية فى تلك الحقبة الزمنية ..

ومما يؤيد لنا صحة كل ما ذهب اليه الاستاذ احمد خاكى فى كتابه المرأة فى مختلف العصور ، ما بين ايدينا من آيات قرآنية تبرز بوضوح مكانة المرأة المزرية فى بيئة الرعاع ، ويكفى للتدليل على صحة اقوال صاحب (المرأة فى مختلف العصور) ان نقرأ هذه الاية التى هى دليل وحدها على مدى اضطهاد المرأة فى ذلك الزمن وهى قوله تعالى **(واذا المؤودة سئلت باى ذنب قتلت)** .

ولنا ان نتساءل لم كانت البنت توأد ، اذا لم يكن القوم ينظرون اليها نظرة احقر بكثير مما اورده احمد خاكى فى كتابه المشار اليه؟؟

والليس معنى ذلك انهم كانوا يعتقدون انها لم تخلق لتكون فى

مرتبة الرجل احقر رجل ، ويرونها وزرا وثقلا يكلفهم الكثير في اعالته والانفاق عليه ، بدليل ان القرآن خاطبهم بقوله (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نزرقهم واياكم) ؟

اذن فالمرأة في الجاهلية ، عربية كانت او شرقية ، لم يكن لها مركز ولا مكانة لانه غير معترف بانسانيتها التي تساوى انسانية الرجل ، بل ان مركز المرأة ومكانتها في تلك الحقبة المظلمة من حقب تاريخ البشرية ، كانا مركزا ومكانة يندى لذكرهما الجبين ويستحي التاريخ من اعادتهما الى الاذهان اذ انه لايسم تاريخ البشرية بشيء كما يسمه بميسم العار والجبروت والاستبداد ... حيث كان الرجل منهم يعامل كلبه بوصفه (حارسا امينا لا يخون ولا يطمع في سبيه احد) معاملة اشرف وارفع من معاملته لزوجته وعشيرته ،وكان يعطف على ناقته الحلوب ، التي تمده باللبن والغذاء، اكثر واضعاف عطفه على ام اولاده وسبب خلود اسمه ولقبه ..

واذا كان هذا حال المرأة العربية والشرقية على وجه العموم في العصر الجاهلي ، فان حال المرأة الغربية لم يكن باحسن حظا ولا اكثر رفعة ولا اسمى مكانة من اختها الشرقية ، قبل عصر النهضة الحديثة في العالم الغربي ، فهو مركز صفه بما شئت وانعته بما تريد من التأخر والانحطاط ، الا ان تصفه او تنعته بالتقدم والرقي والاعتراف بانسانية المرأة .. ولست هنا ، وانا في مجال البحث عن مقومات المجتمع الافضل ، بمتعرض لنتائج النهضة الغربية الحديثة ، في الحرية الغير مقيدة التي حصلت عليها المرأة في الغرب ، ولا لاثرها في الاخلاق والسلوك، حيث ان ذلك ليس موضوع بحث هذا الكتاب .. ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نقول ، ان المرأة الغربية كانت في حال تستحق معها الرثاء، اى رثاء ، ولولا ضيق المجال ، ولولا ان غاية هذا الكتاب دراسة وضع المرأة العربية الشرقية ، لقدمت هنا الوانا من سوء معاملة المرأة في المجتمع الغربي، ونماذج حية عن مدى ما كانت تعانيه من ظلم وتعسف واضطهاد .. فهي لم تبلغ ما بلغته وما نراها عليه اليوم من تقدم ورقي وتحرر ،

الا بعد ان تجرعت كؤوس العذاب المرير في سبيل تخليصها ، والا بعد ان ضاقت كل اصناف العبودية والتحكم ، الشيء الذى نتج عنه هذ الاندفاع يوم حصلت على حريتها الفردية ، والابعد ان كافحت وناضلت لرفع نير الظلم والبغى والاستبداد ..

واعود الى المجتمع الجاهلى ، فاقول ان المرأة فى ذلك العصر لم تكن انسانة ، او لم ينظر اليها على اعتبار انها انسانة اطلاقا، رغم تغنيهم بها فى اشعارهم واشادتهم بجمالها وفتنتها فى تفاخرهم وتناسبهم .. فذلك كله لا يعنى ابدا علو كعبها وشرف مكانتها بينهم بعد ما قدمنا من وصف لحالها فى مجتمعهم ، بقدر ما يعنى انهم لم يخصوها بالذكر المتكرر فى اغانيهم واشعارهم ، الا انهم كانوا ينظرون اليها نظرة غريزية محضة ، يحرك ذكرها والتغنى بجمالها وفتنتها الغرائز والميول ، فلو لم يكونوا ينظرون اليها هذه النظرة الغريزية المجردة ، لما اباحوا لانفسهم حق استعبادها واتخاذها وسيلة للاشباع ..

ولو كانوا حقا معترفين بمكانتها ومركزها ، ولم يكونوا ينظرون اليها نظرة شك وريبة ، لما تواضعوا فيما بينهم على ان ينسبوا كل مولود الى امه ولا ينسبونه الى ابيه ، فهذا تصرف معناه الشك والريبة وعدم الثقة .. ثقة الرجل فى زوجته ، وعدم تأكده من ان المولود انما هو ولده وليس ولدا لرجل اخر خانته زوجته معه ..

ومن هذا يتضح لنا ان الثقة بين الرجل والمرأة لم تكن متوفرة وتكاد تكون معدومة ، فالرجل لا يؤمن بطهر المرأة وعفافها ، ويشك فى اعمالها وتصرفاتها ..

تلك حال المرأة ، بصورة مختصرة ، زمن الجاهلية، وعصر وأد البنات والخوف منها ، ثم جاء الاسلام بتعاليمه السمحة السامية، وتشريعاته الانسانية الواضحة ، فسوى اول ما سوى بين المرأة والرجل وجعل لكل منهما نصيبا من المسؤولية ونصيبا من الحقوق بقدر ما فرض على كل منهما من الواجبات وبقدر ما اعترف لكل منهما

بالوجود ... فأزاح بذلك ما بين المرأة والرجل من فروق اوجدتها ظروف تعسفية ، ولم يفرق بينهما الا بقدر ما ميز كلا منهما عن الاخر .. بل الاسلام السمح منح المرأة حقوقا مثل الواجبات التى فرضها عليها نحو مجتمعها وجنسها وعشيرتها بعد ان اعترف بانسانيتها فقال : (للذكر مثل حظ الانثيين) وبعدان كانت مضطهدة اما واختا وزوجة ، وبعد ان كان الشك وعدم الثقة هما طابعا حياتها الزوجية ، امر الاسلام بمعاشرتها معاشرة حسنة فقال (فامساك بمعروف او تسريح باحسان) وبعد ان كان الرجل يتخذ من النساء ما يشاء جاء الاسلام فأباح التعدد ولكنه قيده بالعدل والمساواة فقال (وان خفتم الا تعدلوا فواحدة) ونبه الى ان العدل بين الزوجات غير ممكن (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) واحل الطلاق لخلق التوازن بين القوتين ومنعا للاستبداد ، غير انه جعله (ابغض الحلال الى الله) ..

وكل هذه المميزات ما كانت للمرأة فى جاهليتها ، وكل هذه تعاليم جاء بها الاسلام دين الحق والفطرة ، واوجدتها الشريعة الاسلامية السمحاء ، وبذلك حصلت المرأةعلى مركز اجتماعيما كانت تحلم به حتى مجرد الحلم ، وهو مركز لم يكن ولا يمكن ان يكون اقل من مركز الرجل لان الاسلام لا يميز بين المرأة والرجل ولا يفضل واحدا على واحد الا بالتقوى والعمل الصالح ..

ولولا ما منح الدين الاسلامى المرأة من حرية فردية ، وما خولها من حرية اجتماعية ، لما نبغ من بين نساء المسلمين مثل (سكينة بنت الحسين) فى الادب والشعر والنثر ، ولا مثل (عائشة أم) المؤمنين فى السياسة والحرب والدهاء ، بالاضافة الى العلم والمعرفة والاطلاع الشىء الذى جعلها كعبة القاصدين فى رواية الاحاديث ، ولولا هذه الحرية التى اعترف بها واقرها الاسلام للمرأة اسوة بالرجل ، لما استطاعت (عائشة) وهى المرأة ان تؤلف جيش وقعة (الجمل) وتقوده الى ساحة الحرب والنضال والكفاح ، ولولا ذلك المركز الذى حصلت عليه المرأة بفضل الاسلام

لما لبى نداء امرأة أحد من الرجال يوم دعتهم للحرب والجهاد ، بله لما انطاع لامرتها احد على الاطلاق .

واستمر كفاح المرأة العربية عبر السنين والاعوام ، متذبذبا بين الشدة والضعف حسب الظروف والعقول والاحوال ، الى ان كان عهد النهضة العربية الحديثة في العصر الحديث ، حيث استكملت المرأة جميع اسبا بمساواتها بالرجل ، واجبرته على ان يعاملها معاملة الند للند ، لا معاملة السيد للعبد.. وبذلك كسبت المراة او قل حصلت كل ماكانت تطمح اليه من مركز ومكانة ،ايمانا منها بانها ليست بحال أقل من الرجل قدرة ولا هو اكثر منها تحملا للمشاق والمتاعب ، وايمانا منها ايضا بانها تمثل نصف الامة وتسعى لتكوين جيل جديد ينفع نفسه ومواطنيه ..

ولا اعتقد ان هذا على المرأة بكثير ، فأليست هى نصف الرجل وعقله الموجه وجزؤه الثانى الذى لا يستطيع العمل والخلق والانتاج الا اذا احس به الى جواره يدفعه للعمل ويدفعه للانتاج ؟..

وبالتالى فهى نصف الامة ونصف المجتمع ونصف المجموعة الانسانية اطلاقا ، عليها مثل ما على الرجل ، ولها مثل ما للرجل فى الحقوق والواجبات ، ومن هنا فهى ملزمة غير مخيرة ، على القيام بما تفرضه عليها الحياة التى تشارك فيها ، وملزمة باداء نصيبها كاملا من عبء الخلق والخدمة والاداء ..

واذا كانت المرأة كما اسماها (الاستاذ خالد محمد خالد) فى كتابه (من هنا نبدأ .. ـ الرئة ـ ..) فعلينا ان نمعن النظر فى هذه التسمية ، فاذا صحت واذا ثبتت ، ولا اظنها الا صحيحة ثابتة ، فمعنى ذلك انها جزء لا يمكن الاستغناء عنه بحال، اذ معلوم ان الانسان لا يستطيع ان يعيش عيشة حقيقية بدون رئة ، او انه قد يتمكن من الحياة ولكنها حياة يعيشها عيشة نكدة كلها آلام واوجاع وشكوى لان احدى رئتيه معطلة عن العمل ...

تماما كما هو الحال فى بعض المجتمعات الشرقية التى لم تؤمن بعد بوجود المراة ، ولم تؤمن بعد بانها (رئة)او احدى رئتى المجتمع

فما دامت هذه الرئة معطلة عن العمل فاما ان يموت المجتمع ، واما ان يعيش عيشة المعلولين المصدورين ..

وقد شعرت المرأة بمركزها هذا واحست بخطورة بعدها عن الحياة ، فاخذت تجاهد وتكافح وتناضل فى سبيل اثبات اهليتها للحياة وقانونية وجودها ، فسارت فى أغلب المجتمعات العربية الحديثة فى مقدمة الركب وفى اول القافلة الجادة الدائبة ، غايتها اللحاق بغيرها من نساء العالم المتمدن المتحضر ..

اقتحمت دور العلم والمعرفة ، وأخذت نصيبا كبيرا منهما مكنها من ان تترأس الاجتماعات وتلقى المحاضرات ، وتتولى مهام قانونية خطيرة ، ومراكز سياسية أخطر ، فكانت سفيرة ورئيسة وفد ووزيرة وقاضية ومحامية ووكيلة نيابة وباحثة علم ..

ولم تكتف المرأة العربية او الشرقية بهذا ، فنهضت تطالب بحقوقها السياسية ، أى فى ان تكون عضوة فى البرلمان تمثل المراة والرجل وتطالب بحقوقهما وتشارك فى التشريع تتضع حدا لهذه المهازل التى لا زالت تمثل على مسرح حياتها بواسطة الرجل.

وها هى ذى الاخبار تأتينا من الشقيقة مصر تقول : (ردت ضمانات اربع نسوة تقدمن بها لترشيح انفسهن فى انتخابات سنة ١٩٥١ (١)..

ورغم انها فشلت هذه المرة وردت ضماناتها ، فلابد انها ستنجح مرة اخرى (٢) كما نجحت فى غير هذا من ميادين الحياة لانها قطعا سوف لن تقف وسوف لن تستسلم ، مادامت مؤمنة بحقها المقدس ، ومادامت مصممة على نيل هذا الحق ..

ومطالبة المصرية بحقوقها السياسية ، لم يكن نتيجة طفرة بل كان نتيجة وعى وادراك ، فهى لم تطلب هذا الحق الا بعد ان شعرت بنفسها قد اكتملت كل مقومات الحياة ، واصبحت ترى فى نفسها الكفاءة كل الكفاءة بان تمثل أخواتها تحت قبة البرلمان

---

١) كان ذلك سنة ١٩٥١ ايام الملك فاروق

---

٢) وقد نجحت فعلا حيث اعترف لها دستور الثورة الخديد بحق الترشيح

وترفع اصواتهن عالية مسموعة ، وتضع التشريعات التى تحفظ للمرأة كيانها وتحفظ لها انسانيتها ، فلا تبقى لعبة بين يدى الرجال كل ذلك بعد ان عرفت طريقها الى الرقى واخذت مجلسها فى حلقات الادب والاجتماع والسياسية وو.. وغيرها كثير .. وهى لم تحصل على كل ذلك او شيئا من ذلك الا بعد ان شعرت بوجودها وعرفت كيف تشعر غيرها بهذا الوجود ، وبعد ان احست بانسانيتها وعرفت كيف تجعل غيرها يحس بهذه الانسانية السامية ، وبعد ان عرفت كيف تربى ابناءها وكيف تشرف على شئون بيتها وكيف تسعد زوجها بمالا يتنافى وما تطالب به من حقوق وما عزمت العقد على القيام به من الشئون العامة .

وكل هذا ان دل على شىء فانما على مدى الرقى الاجتماعى والعلمى الذى بلغته المرأة العربية فى مدى سنوات من الكفاح والجهاد المريرين ، ويدل كذلك على ما حصلت عليه من تقدم ، فمحت عن نفسها تلك الصفة التى كان يصفها بها المغرضون من الرجال ذوى العقول الضيقة والافكار المحدودة بحدود المعتقدات السخيفة البالية ، وهى ان المرأة (كما يرونها) مخلوق ناقص عقل ودين لا يصلح لاكثر من الحبس وراء الجدران وخلف الاسوار ، يقتات بفتات الموائد مما يتفضل به عليه الرجل ..

.. وشاركت المراة فى انتخابات سنة ١٩٥٧ للبرلمان المصرى فى عهد الثورة المباركة، الثورة المصرية التى اعترفت للمرأة بحقها فى الحياة وحقها فى العمل وحقها فى الحماية من بطش الرجل .. رشحت المرأة المصرية الحديثة فى هذه الانتخابات وفازت .. فازت كما توقعنا لها سنة ١٩٥٣ عند تسويد هذا الكتاب .. ولو انه فوز نسبى لكفاح المرأة حيث لم تفز بمقاعد برلمان الثورة سوى امرأتين فقط ، الا ان هذا الفوز رغم ضآلته يدل على مدى نضوج العقلية المصرية فى ظرف خمس سنوات ، فبعد ان ردت الضمانات فى سنة ١٩٥١ نجد الدستور الشعبى الجديد يمنح المرأة حق التصويت وحق الترشيح ، ونجد انتخابات سنة ١٩٥٧ تسفر عن فوز المصرية ودخولها لاول مرة البرلمان الجديد بصفتها عضوة منتخبة من الرجال والنساء على السواء ، لا كما دخلته السيدة (ذرية شفيق) فى احدى السنوات مجاهدة مكافحة معرضة صدرها وصدر رفيقاتها للرصاص..

اننا لا نشك ابدا فى ان المرأة المصرية الحديثة التى عرفت الان لاول مرة فى تاريخها طريقها الى البرلمان وحققت حلما كثيرا ما داعب الزعيمات من هن منذ ايام المرحومة (هدى شعراوى) ٠٠ لا نشك فى انه سوف يأتى يوم قريب نرى فيه المرأة تحتل العدد الكثير من مقاعد برلمانات الدول العربية الحديثة ٠٠

المجتمع الليبى والمرأة

واذا انتهينا من القاء هذه النظرة الخاطفة على وضع المرأة فى المجتمع العربى والشرقى ومن تقديم هذه الصورة الغير واضحة كل الوضوح على احوالها الاجتماعية ومراحل انتقالها من وضع الى وضع منذ العصر الجاهلى الى يومنا هذا ، اى الى فجر النهضة العربية الحديثة بعد الثورة المصرية ٠٠ اذا انتهينا من هذا بقدر الاستطاعة فانه يمكننا ان ننتقل ببحثنا الى دراسة وضع المرأة فى المجتمع الليبى الناشىء ، علنا نستطيع بذلك ان نكون فكرة عن حال المرأة التى تعيش معنا وتعاشرنا فى حياتنا الخاصة والعامة ٠٠ هذه المراة التى نكاد نجهلها كل الجهل نظرا لبعدها عنا وانزوائها وراء الجدران وخلف الاسوار السميكة المصنوعة من العادات والتقاليد والسخافات ٠٠٠

ان من ينظر الى وضع المراة الطرابلسية ، بل الليبية بوجه عام ، والى مركزها ان ثمة لها مركز اجتماعى ومكانتها ان وجدت لها مكانة فى مجتمع انفصالى لا يزال ينظر الى المراة نظرة كلها احتقار وازدراء ٠٠ ان من يفعل ذلك من المنصفين ليحز فى قبله ما يراها عليه من سوء الحال وانحطاط المكانة ، نتيجة للنظرة المزرية التى ينظر بها اليها ، وليحز فى نفسه ما يراها عليه من ذل وعبودية واسترقاق وخضوع واستكانة ٠٠

فبينما نرى ما وصلت اليه المراة فى البلاد الشرقية من تقدم ورقى فى شتى ميادين العمل والحياة ، وما حصلت عليه من حقوق وتميزت به من مزايا ونلحظ ما وصلت اليه من مركز ومكانة حتى حصلت على حقوقها النيابية ودخلت البرلمان فى كثير من دول العالم

العربي والشرقي .. بينما نرى ونسمع كل ذلك،ونغبط او نحسد تلك البلاد على ما وصلت اليه المرأة فيها ، ننظر وننظر فنجد اخواتنا وامهاتنا وبناتنا وزوجاتنا لا زلن حبيسات جدران يعمرن الاركان تعشش في رؤوسهن الخرافات والاوهام ،مكبلات ومغلولات مغلوبات على امرهن ، تتحكم فيهن التقاليد والعادات والحماقات والسخافات .

ننظر فنجد امهاتنا واخواتنـــا وبناتها وزوجاتنا مخلوقات قاسرات لا صوت لهن مسموع ، ولا رأى لهن مقبول ، بل انهن لا يمثلن رأيا ولا يفقهن قولا ، يسقن كالاغنام ، ويبعن كالمتاع الرخيص حقهن في الحياة مغصوب ونصيبهن من الحرية مهضوم ..

ننظر فنجدهن اسيرات جهل ، حبيسات رجعيـــة ، سجينات رواسب متعفنة ، سماؤهن ملبدة بالغيوم المنذرة بالعواصف الهوجاء ارضهن مفروشة بالشوك والقتاد ، عقولهن محشـــوة بالخرافات والاوهام ..

ننظر فنجدهن لا يمثلن مظهرا واحدا من مظاهـــر الحياة ولا يحسسن باحساس واحد من احاسيس الوجود ، ليس في مقدورهن التعبير عن آرائهن ان كانت لهن آراء ، وليس في استطاعتهن البوح بافكارهن ان كانت لهن افكار ، حتى الكتابة والاشارة ممنوعة عليهن يرمين بالتهتك والميوعة والفجور بمجرد التفكير في التعبير ...

المرأة عندنا وهذه حقيقة اقولها ، مخلوقة اشبـــه ما تكـون في كل الظروف التي تحيط بها بتلك المرأة التي كان زوجها يعقد بين غصني شجرة اذا اراد السفر ليتاكد من طهرها وعفافها .

المرأة عندنا كما يصورها واقعها المؤلم المرير المحزن، مخلوقة لا قلب ولا احساس ولا شعور ولا وجود ولا حياة لها فهي تماما ، كأنما كانت ولا تزال احدى بنات الوأد نجت باعجوبة القدر والصدفة من (الدفن حية) ..

المرأة عندنا ينظر اليها وكأنها لم تخلق للحياة ولا للسعادة او كأن الحياة والسعادة ليست من نصيبها في هذا المجتمـــع الانفصالي الذي يعيش عليلا برئة واحدة .. فهي عالة على الجميع ، سواء كان ذلك في بيت الابوة او في ما يسمونه (عش الزوجية) فهي في الاول حبيسة للبيت ، خادم للمنزل ساهرة على خدمة الوالدين والاخوة ، لا تبرح هذا السجن الا يوم تخطب او يوم تنقل منه الى القبر. وكل

هذا حسن مقبول لم تشك منه ولم تظهر ضيقا او ضجرا ، اذا كان معه شيء من الحرية وشيء من التقدير وشيء من الاحترام ، ولو في التعبير حتى بطريق الهمس او الغمز عن الامال والرغبات ، ولكنها لا تتمتع بشيء من ذلك ، وشيئا من ذلك لم يكن له وجود في حياتها لانها غير معتبرة انسانة لها مشاعر واحاسيس مثل ما لاخيها الذكر، فهي تعيش على هامش الحياة ان صح انها تعيش لا تدري ولا تعلم شيئا عما يحيط بها سواء كبر هذا الشيء ام صغر : لا تدري اهي مخطوبة ام انها لا زالت بين يدي الخاطبات ؟.

اخطيبها شاب كما كانت تحلم به وكما كانت تتخيله وهو يظغطها بذراعيه القويتين ام انه رجل كهل لم يبق له على القبر الا ايام معدودات وليس من فرق بين والدها وبينه في السنوات والاعوام

هل خطيبها هذا متعلم يمكنها ان تفهمه ويفهمها ام انه لا فرق بينه وبين امها ؟ . هل هو متزوج قبلها ، وكم زوجة دخلت البيت الذي يريد ان ينقلها اليه ، ام انه اعزب لم يختلط بامراة من قبل ؟..

انها تعيش في بيت الابوة ولا تعرف شيئا من ذلك لانه ليس من اختصاصها ان تعرف مثل هذه الامور ، وهناك اب مجرب ومحنك وام خبيرة مطلعة ...

لا تدري شيئا من ذلك لان ولي امرها و (مجبرها) قد اختار، وهو سيدها الذي انزل عليه الوحي وازيل عن ناظريه الحجاب فاطلع على الغيب ، وعرف ما تكنه القلوب وما تخفيه الافئدة ، وهو العالم بكل شيء المؤرخ لكل اسرة وكل فرد .. وهو اختار ، وليس لاختياره رد ، ولا لقدرته وارادته معترض ..

واذا كان هذا هو حالها في بيت الابوة العتيد فان حظها في بيت الزوجية ليس باحسن حالا ..

فزوجها ما تزوجها الا لانه في حاجة لمن تطبخ له طعامه ، وتغسل ملابسه ، وتنظف بيته ، وترتب فراشه ، ثم لتمنحه جسمها وشبابها وجسدها وجمالها يفعل بها ما يشاء ويشبع بها غرائزه ويروى ظمأه المجنون اولا . وثانيا ليحصل منها على ولد ذكر يخلد اسمه ولقبه ، ويرث ثروته و ماله والويل لها ثم الويل ، اذا لم تلد الذكور ، او اذا لم تلد بتاتا ، فهي يجب ان تلد له ما يشاء كما يشاء

اما الويل الاكبر فنصيبها يوم يروى منها عطشه ولهفته ويشبع غريزته وشهوته ، فان ذلك معناه الاستغناء عنها او البحث عن غيرها ، سواء طلقت ام لم تطلق ، فهى فى هذه الحال لم تعد (قد المقام) وليست من النسوة اللائى يملان عيون الرجل ..

فهى مكروهة فى الحياتين ، منبوذة فى البيتين ، اسود وجه ابيها يوم بشر بها ، واضطهدت امها يوم ولدتها ، ونكب زوجها يوم لم تلد له الذكور ، او يوم لم يجدها شبيهة (بفاتن حمامة) كما كان يتخيلها ، فتلقاها ابوها بالكراهية والمقت ، وتلقتها امها بالاشمئزاز والبغض ، وتلقاها زوجها بالازدراء والاحتقار ، وتلقتها حماتها لقاء الشياطين والمردة .. خلقت عالة على الجميع وحملا على الاب والاخ والزوج .

اما الحب ، فهذا شىء لم يخطر لها على بال الا من خلال الكتب والمجلات ، لانه اولا شىء محرم غير مباح ، ولانها ثانيا ليست فى حاجة الى ان تحب ؟.. وما حاجتها الى الحب ؟..

ان الحب يعنى اختيار الزوج وهل لها هى فى هذا الحق ؟.. انها تزوج ، ولا تتزوج وليس من حق الذى يزوج ان يختار ، بل عليه ان يرضى بما اختير له ...

ان الاختيار ميزة تميز ذوى العقول الراجحة ، وهل هى الا ناقصة عقل ودين ؟..

وان الحب من ميزات الانسان على الحيوان ، وهل هى الا حيوان مطيع يقاد فينقاد ؟..

وان الحب والاختيار لا ينتجان الا عن الاختلاط وهل يثق بها أحد حتى يسمح لها بالاختلاط مع الرجال .. والاختلاط لا يكون الا نتيجة حرية ، وهل هى تتمتع ولو بقسط ضئيل من الحرية ام انها حبيسة سجينة ؟...

انها بلا دين بلا عقل بلا ادراك ،.. انها حيوان مطيع يقاد فينقاد .. انها غير موثوق فى اخلاقها ولا فى تصرفاتها .. انها لا تتمتع بحرية ... انها حبيسة سجينة ، وهل من حق من كانت هذه صفاته ومميزاته ان يحب وان يصرح بحبه ؟ ..

انها مخلوقة ضعيفة ، مزدراة من الجميع ·· والجميع متوجس منها خيفة وآخذ منها حذرا خشية من العار والفضيحة ·· ولذا فالعيون ترقبها اين سارت ، والاذان تتسمعها حيث كانت ، والضمائر تتبعها اين حلت كل ذلك لتحصى عليها الهفوات والغلطات حتى ولو كانت هفوات بسيطة من نوع اقل بكثير من تلك التى يرتكبها الرجل ، لكأنها خلقت من طينة غير طينته ، وركبت فيها طباع غير طباعه ، فرغم انه يستبيح لنفسه كل شىء ، يحرم عليها هى اى شىء ·· بينما يمثل دور الشيطان ، يطالبها هى بتمثيل دور الملاك ، لكأنه لم يكن هو الذى خلق منها شيطانا ، وخلق منها ابليسا ···

ان العقول التى تسير المرأة وتوجهها وتسيطر عليها ، لم تكن الا تلك العقول النخرة المتعفنة النتنة ·· انها عقول الرجعيين الذين البسو كل جديد ثوب الميوعة والاستهتار ووصموا كل لون من الوان التمدن والتحرر وصمة الفسق والفجور ·· انهم اولئك النفر من المغفلين المتعجرفين الانتهازيين ، الذين يصطادون فى الماء العكر · انهم اولئك النفر او تلك الفئة من القطيع الذى خلفه الاستعماروراءه ليعمل على تحطيم الشعوب وتأخرها ، انهم اولئك النفر الذين يرمون كل جديد بانه بدعة ، وكل بدعة بانها حرام ···

واخيرا انهم اولئك الذين خلقوا من مجتمعنا الصغير مجتمعا منقسما على نفسه رغم قلة عدده وقلة امكانياته ، ورغم العمل على اتحادنا وتازرنا فى سبيل خدمته والنهوض به والسير به الى الامام·

اولئك الذين خلقوا فى مجتمعنا هذا جبهتين متخاصمتين : جبهة يتزعمونها هم انفسهم تدعو الى التمسك بكل قديم عتيق ، والمحافظة على التراث البالى ولو كان باليا ، ونبذ كل جديد ولو كان ملائما للاوضاع والظروف ، وجبهة تنادى بالتجديد فى كل ما يمكن فيه التجديد ، يقودها شباب مؤمن بوجوده مؤمن بامكانياته ، مؤمن بمسئولياته متحملا هذه المسئوليات وما ينتج عنها يعمل على ادخال الاشتراكية الاسلامية بمعناها الواسع العريض فى كل ميدان من ميادين الحياة العامة والخاصة ، ويحاول من وراء ذلك ايجاد قيم جديدة ومعايير جديدة لخلق حياة اسعد فى مجتمع افضل ··مجتمع افضل يرتكز على العقل والادراك والمقدرة والمسئولية

الفردية قبل ان تكون دعامته الاقوال الجوفاء والخرافات البالية والتقاليد العتيقة المتعفنة .. مجتمع يحاول فيه كل فرد ان يسير حرا فى حدود حريته الفردية مادامت لا تتعارض وحرية الاخرين ، ويعمل داخل هذه الحرية المخولة له من لدن الطبيعة الانسانية ، والدين الاسلامى .. دين الفطرة والحق واليقين ..

وها هو ذا الصراع بين الجبهتين شديد عنيف مرير، وهاهو ذا الصراع كل يوم يزداد شدة ويزداد عنفا ، لان نهايته قاربت ان تلوح بعد ان بدأت الطريق تتوضح لكل ذى عينين ثاقبتين ناظرتين ، وبعد ان لاح فى الافق الفجر الوليد السعيد ، وبدأت تشع من خلفه شمس الحقيقة على الواقع وتمد خيوطها الذهبية تزيل بها بقايا الظلام ، وتطرد مخلفات الخوف والجبن ، فتبعث فى القلوب الامل والرجاء واليقين ..

فبعد ان كانت دعوة التجديد محصورة بين نفر من الشباب قليل ، بدأت هذه الدعوة تظهر بصورة واضحة تجلب اليها كل مؤمن بحياته وقدرته ، وتحتل مكانها وتعتلى عرشها المكين المتين ، فى هذا المجتمع الذى جثم عليه الذل وتملكته العبودية عديد الاعوام والسنين.

وها نحن كما نرى فى مفترق الطرق فاما الى الحرية والعزة والكرامة الشخصية ، المبينة على الوعى والفهم والادراك واما الى الهاوية التى يسوقنا اليها الخوف والجبن والاتكالية الممقوتة ..

وهانحن ننتظر ذلك اليوم ... اليوم الذى ينفجر فيه البخار المظغوط المكبوت ، فيهدم كل سد واه من الكذب والافتراء ، ويحطم كل حائل هزيل من الخرافات والسخافات ...

فعلماء النفس قالوا : (ان كل كبت وكل تحكم فى الارادات والرغبات ، لا بد ان يتبعه انفجار يحطم السدود والقيود) ..

وها نحن ننتظر ذلك اليوم الذى تتحطم فيه كل هذه المهازل ، وتزال فيه كل هذه العقبات التى تحول دون الانسان ودون الحياة الحرة الكريمة ، ويتساوى فيه الافراد والجماعات ، الرجال والنساء فى الحقوق والواجبات .. فى مجتمع لا يتحكم فيه شىء سوى ارادة الانسان وعقل الانسان وتفكير الانسان ، يعيش كل فرد فيه حرا

طليقا من كل قيد ، وحرا طليقا من كل كبت ، وحرا طليقا من كل تحكم ، يتمتع بكامل حريته الانسانية التى حصل عليها بحكم كونه فردا فى المجموعة الانسانية ..

فالشباب الذى اخذ على عاتقه مهمة الكفاح والجهاد والنضال حتى يغـــير ما بنفوس القـوم ، لغـير الله ما يحيـط بهم من ذل وعبودية واسترقاق ، سوف لن يكف عن جهاده وكفاحه ونضالـــه حتى يحقق رغبته ويصل غايته ويخلق مجتمعا جديدا ، غير آبه ولا مقيم وزنا للاقاويل والعراقيل ...

والمرأة التى شاء الاقوام ان يكتموا انفاسها كل هذه السنين والاعوام وان يعيقوا كل حركة من حركاتها التحررية ، وان يقفـوا امامها بالمرصـــاد ينعتـــونها بالفجور تارة ، وبالفســاد تارة ، وبالاستهتار تارة .. هذه المرأة التى بدأت تؤمن بوجودها وتؤمـــن بكيانها ، وتؤمن بمستقبلها ومسئوليتها ، سوف لن تهدأ ثائرتهـــا وسوف لن تستكين للظلم والبغى والاستبداد ، حتى تبلغ غايتهـــا وتحقق رسالة وجودها وتؤدى واجبها فى الحياة ، مجاهدة مكافحة على احتلال مكانتها ومركزها فى الهيئة الانسانية التى تنتمى اليها مهما قيل عنها ومهما وصفوها بالنذالة والانحطاط ..

اننا لا نشك حتى مجرد الشك ، فى ان المستقبل للشباب .. الشباب الواعى الناضج الذى يضع القيم والمعايير .. الشباب الذى يحاول بكل امكانياته ان يغير معالم الحياة ، ان يدفع بها من حالـة الركود والخمود والجمود ، الى دنيا الحركة والانتاج والخلق ..

لا نشك فى ان المستقبل للشباب ، خاصة بعد ان بدأنا نلاحظ كثيرا من الظواهر التى تبرهن على صحة ما نقول ..

فالشباب هنا فى طرابلس لم تزده المعارضة، ولم تزده النكبات ولم تزده المحن ، الا تكتلا وتراصا .. فكانت النكبات التى اصيب بها الشباب ولا تزال سبب تكتله واتحاده وجمع شمله لمواجهـــة الهجمات المغرضة ...

والفتاة فى العاصمة الشرقية من البلاد لم تزدها الرجعيـــة

الا تعلقا بالحرية وتعشقا للانطلاق وحبا للخلاص من نير الظلـــم والاضطهاد ، فانطلقت تعبر عن رأيها صراحة دون ما خوف عـــلى صفحات المجلات والجرائد موقعة باسمها الصريح ...

والمراة فى طرابلس لم يزدها الغبن والاجحاف ، الا تشبثا بالحق الممنوح المباح ، ولم يزدها التمسك بالعادات ، وتقديس التقاليد ، الا عشقا للخلاص وحبا للتحرر والانطلاق ، فبدأت تتخلص من ابغض الاشياء الى العقول والنفوس وتستبدل به (الحافا) خفيفا على الاجسام والارواح فى طريقها للتخلص من هذا وذاك ..

والمرأة فى بنغازى استطاعت ان تحطم تقليدا سخيفا كان يحول دون المرأة ودون المشاركة فى اى عمل من الاعمال فكونت اول جمعية نسائية وسوف تتبعها جمعيات ..(١)

كل هذا وقع ويقع ، افهل استطاع المتزمتون والرجعيـــون له ردا وايقافا ؟ ..

اللهم لا .. لان سرعة التطور والشعور بالحاجة الى مسايـرة هذا التطور اصبح ايمانا راسخا فى عقول وقلوب سائر الناس ..

ولان سرعة هذا التطور واندفاعه اقوى من ان تستطيع شرذمة هزيلة ضئيلة من ان توقفه او تمنعه ... ومرة اخرى اقول لا والف مرة لا ، لان ذلك نتيجة التطور والارتقاء ...

أفهل بعد هذا نشك فى ان المستقبل للعاملين الكادحين المجاهدين؟

صحيح ان هناك بعض المتزمتين الفضوليـين ، الذين يجب الا نسقطم من حياتنا ابدا ، لا زالوا يحاولون التشبث بما كان فـــى ايديهم من زمام الامور ومقود القافلة السائرة الذئوب ..

وصحيح مرة اخرى ان هناك من لا يزالون يعتقدون فى قدرتهم على تسيير دفة الامور ، ويحاولون ان يظهروا امامنا ، لا امام انفسهم لانهم مقتنعين بعدم قدرتهم ، بمظهر القوى الجبار العتيد ..

وصحيح مرة ثالثة ان هناك فئة لاتزال تعتقد ان الشباب لا

---

(١) تكونت والكتاب تحت الطبع جمعية نسائية فى طرابلس ايضا

يستطيع ان ينتج ولا يستطيع ان يخلق ولا يستطيع ان يعمل اذا لم يتكىء عليها ويستمد منها العون والقوة والتوجيه ..

ولكن ورغم كل هذا ،فان القافلة تسير ،وان الشباب يقود هذه القافلة حسب ارادته وحسب مشيئته ، وهذا مما يبشر بمستقبل الشباب ...

ولست ادرى الام تبقى تلك الفئة الضالة فى سباتها العميق . ولست ادرى متى تصحو وتفيق .. أفما آن لها ان تستيقظ ، وان تعترف بعجزها وقسرها ، فتترك السبيل والطريق الذى صعب عليها السير فيه لغيرها من القادرين عليه ..

اما حان لاولئك الدجالين والمشعوذين ان يتركوا ميدانا استحال عليهم العمل فيه لمن هم اقدر منهم على العمل والخلق والانتاج ؟.. ولمن اكفأ منهم فى القيام بالصعاب من الامور ؟..

اما آن لتلك الجراثيم ، وبقايا المستعمرين ،ان يقفوا عند ابواب جحورهم المظلمة ينظرون الى الضوء الذى بدأ يغمر العالم من اقصاه سعودهم ويزرعوا شعوذتهم ويمثلوا نفاقهم وكذبهم وتدجيلهم ؟.. وعن اقوام لم يفقهوا الحياة ومعناها بعد يخدعونهم بمعسول القول ، فيجعلونهم يؤمنون بالخرافات ويعتقدون فى التعاويذ ويصدقون التسابيح والشعوذة وتنطلى عليهم الاقاويل والخزعبلات ؟..

أما آن لتلك الجراثيم ، وبقايا المستعمرين ، ان يقفوا عند ابواب جحورهم المظلمة ينتظرون الى الضوء الذى بدا يغمر العالم من اقصاه الى اقصاه متأسفين او مقهورين مغلوبين ؟..

ولكن ، متى كان للعقول الفارغة ان تفهم ، وللمدارك الجوفاء ان تعى ، وللبوم الناعب المغرد على الخرائب والاطلال ان يحس ويدرك ويعى ؟..

اننا نحن يا قوم ... شباب هذا المجتمع الناشىء الناهض المتوثب ، فقد تفتحت عيوننا فبصرنا بها النافع من الضار ، ووعت عقولنا فميزنا بها الطيب من الخبيث ..

ان نصفنا الثانى ... ان المراة التى كنتم تتخذون منها العوبة بين ايديكم ومهزلة ، وتجعلون منها مجرد هيكل هزيل ، قد ادركها الوعى وقد بدأت تفيق هى الاخرى من سباتها الذى فرضتموه عليها عديد السنين والاعوام ، فاطلعت على الاعيبكم المزرية المخزية ،ولم يعد **فى امكانكم السيطرة عليها كما كنتم تسيطرون ، ولا فى استطاعتكم** تسييرها حسب ارادتكم ومشيئتكم كما كنتم تيسرونها ، بعد ان تسلحت بالمعرفة والاطلاع ، وبصرت الحياة رغم انوفكم على حقيقتها كما اوجدها الله لا كما كنتم انتم تصورونها لها ، وراتها مجردة لا من وراء منظار اقاويلكم واكاذيبكم ، فليس فى مقدوركم بعد اليوم ان تسيطروا على عقلها او تتحكموا فى مصيرها ..

والحقيقة التى يجب ان نعرفها هى ان فتاة اليوم .. امرأة الغد التى تجاهد لمعرفة الحياة ، لا يمكن ان يكون للدجالين عليها من سلطان مطلق ، ولا يمكن ان تؤثر عليها خرافاتهم واقاويلهم الجوفاء ، كما كانت تنطلى هذه الاشياء على امرأة الامس ... المرأة الجاهلة المغفلة التى لا تعرف من الحياة وظروفها اكثر مما لقنها سيدها الرجل .. لا تعرف لها من رسالة فى الوجود سوى ان تسهر على خدمته وتربية ابنائه وتنظيف منزله وترتيب فراشه، ثم . ثم تهيئة نفسها له ، لتقدم له شبابها وجمالها فى .. الظلام ..

المراة التى لم تعرف اكثر من انه محرم عليها ان ترى النور او **تتمتع بالشمس ،التى لا يصح لها ان تعارض الرجل فى رغبة ارادها** ولو كانت رغبة خارج ارادتها وضد رغبتها وفوق استطاعتها ، لانه **هو الامر ،ابا وزوجا واخا ،ولانها هىالخادمة الطائعة الملبية اما واختا** وزوجة ..

امراة ، او قل نصف امراة لا تتمثل فيها الانسانية ابدا ، لان الانانية والغطرسة والاستبداد خلقت منها آلة صماء بين يدى الرجل رضيت له بكل شىء : ان يحرم عليها التمتع باية متعة من متع الحياة **التى اباحها لنفسه وحرمها عليها ، وان يمنعها من الخروج من داخل** سجنها الابدى ، وان يحول دونها ودون النور والهواء ، وان يجعلها خادما فى البيت ومتعة فى الفراش وآلة لتفريخ الذكور من الابناء..

وهل تظن ان ذلك او شيئا من ذلك كان لمجرد الخوف على المراة وغيرة عليها ؟..

ابدا لم يكونوا يفكرون بمثل هذا التفكير ، انما كان ذلـــك لمجرد خوفهم من خيانتها ، ولعدم ثقتهم فى امانتها ..

انها الانانية والغطرسة والشك والريبة والخوف وعدم الثقة ... بل انها الحيوانية المتاصلة فى طباعهم الجارية فى دمائهـم ...

وذلك ما خلق من امراة الامس ،(امة) مغلوبةعلى امرها مسلوبة الارادة ، للرجل ان يامر وعليها ان تطيع ،له النور والحرية والانطلاق ولها الظلام والعبودية والاستبداد ...

ولكن ، الظروف تغيرت ، والزمن تبدل ، والايام اصبحت غير الايام ، والعقول تطورت ،فكسرت المراة بعضا من القيود والاغلال...

لقد اخذت المراة تحطم الاغلال والقيود ، وتفك عن نفسهـــا السلاسل ، وتهدم اسوار سجنها (البيت) لتنطلق حرة فى الحيـاة تحسها وتعيشها وتتفاعل معها ، كما يحسها ويعيشها ويتفاعل معها الرجـل ..

وايمان المراة بالحياة وشعورها بها ، هو ما جعلنا نوقن ونقول جازمين مؤكدين ، ان نجم الجبهة التاخرية ،جبهةالاتكالية والانهزامية قد اخذ فى الافول وطالعها الى الزوال ..

وهو كذلك ما جعلنا نؤمن بان المستقبل للشباب الكادح المجاهد الشباب العامل الصاعد ، الشباب الذى يعمل للمستقبل ، ويبنى فى عزم وجهد للاجيال القادمة ...

وهنا تجبرنا امانة البحث والتحقيق ان نلتفت الى ما يشبه فى مجتمعنا جبهة ثالثة ، ما فتىء انصار الرجعية والانهزامية يحتجون بما يقوم به افرادها ، ويحاولون ان يتخذوا من ذلك دليلا على خطل دعوتنا .. تلك هى جبهة يمثلها قلة قليلة من بعض الشباب الغيـــر مدرك ، الذى يحاول ان يندفع وراء التيار ..

ونحن هنا لا ننكر وجود هذه القلةالقليلة ،ولكننا لانسلم بان اعمالها تمثل الدعوة التى ندعو اليها ، فهى من القلة ومن الضالة بحيث لا يجوز ان يدخلها الانسان فى حسابه ، ولانه قل ان يخلو منها مجتمع من المجتمعات ولانها فى حقيقتها لم يسقها الى عمل ما تعمل الا الحرمان والكبت والحجز على الحريات ..

واذن فواجبنا الا نحاول الاقلال من قدر افرادها،بل علينا ان نحاول علاجهم ، لانهم فى حقيقتهم مصابون بمرض من بين مجموعة امراض اجتماعية تصيب كثيرا من الشباب فى كثير من المجتمعات ..

انهم مصابون : بمرض التقليد الاعمى وهو مرض من الامراض التى تصيب الشباب فى اغلب البيئات والمجتمعات الانفصالية الرجعية التعسفية ، حينما تمر بها ازمات ونكبات سياسية او اجتماعية ، مثل الازمات والنكبات التى مرت بمجتمعنا هذا ، ذلك لان كل مستعمر يحمل معه نوعا من انواع الحياة التى الفها او التى يحاول نشرها فى المجتمع الذى يحل به ، ويعمل جهده على نشرها بين افراده وزرعها فى ربوعه ، لكى ينسى الافراد والجماعات نوع حياتهم الاولى ويصبغهم بالصبغة التى يريدها هو لهم ، فيضرب بذلك بينهم وبين تراثهم القديم الموروث صفحا من النسيان وعدم التطبيق ، فلايعودون ينظرون اليه او يعتزون به ..

وليس للمستعمر من وراء عمله ذلك سوى غرض واحد ، وهو الحيلولة والعمل على ان ينسى الشباب قيمه الاولى وعاداته وتقاليده التى ورثها عن آبائه واجداده ، والتى قد تقف دون المستعمر ودون نشره سياسته الاستعمارية ومن هنا يصاب الشباب اى شباب ، بانواع من الامراض الاجتماعية الفتاكة ، التى من شأنها ان تقضى على مقومات حياته .

والمستعمر دائما يحاول ان يصيب الشباب اول من يصيب بهذه الامراض ، لعلمه ان الشباب فى كل جيل وفى كل امة وفى كل عصر ، اسرع من غيره فى التاثر بالمؤثرات الخارجية المستوردة ، فيقلد ما يؤتى به اليه تقليدا اوتوماتيكيا ، او كما يقولون (تقليد اعمى) ويأخذ كل جديد لانه جديد ، ولانه ممنوع فى بعض الحالات

دون ان يفكر فى فائدته ، ودون ان يقدر عواقبه ودون ان ينظـــر الى نتائجـــه ٠

واذن فالشباب الذى اندفع وراء امور قد لا تتفق مع ما ندعـو اليه من تقدم ومدنية ،لم يكن ملاما كل اللوم فيما يفعل، ولا يمكن ان يكون الذنب ذنبه هو وحده دون ان يكون هناك شركاء معـــه ، (الاستعمار) اولا و (الرجعية الانفصالية والحرمان) ثانيا ٠٠

ولكن ، ورغم هذا القول فان ذلـــك لا يمنعنا من توجيه بعض اللوم الى هذه القلة من الشباب التى اجتاحتها موجة التقليد ، ذلك لاننا نعلم ان للانسان عقلا يميز به ، وارادة يسيطر بها على تصرفاته ولا نوءمن مطلقا بان الانسان مسيرا فى جميع اعماله وتصرفاته ٠٠ ومن هذا فان فى استطاعة تلك القلـــة القليلة من الشباب الـــتى اندفعت وراء التقليد ، لا لشىء الا حبا للتقليد ، فى استطاعتها لـــو ارادت ، الا تكون ذيلا والا تكون تابعة عوضا من ان تكون متبوعة

فهذا التقليد الاعمى الذى بدأ يجتاح مجتمعنا وتغزو جراثيمه الفتاكة بعضا من ذوى العقول الضيقة ، لا شـــك انه شر وبيـــل ، سيعمل على افساد ما كان عليه الآباء ولو كان صالحا ، وتشويه مـــا يجب ان يكون عليه الابناء فى الحاضر والمستقبل ، وسيجعـــــل مجتمعنا مجتمعا كالمخمور يترنح بين اليمين والشمال ٠٠

لقد اراد بعض منشبابنا ان يقلدو الغربيين فى كثير من اوجه الحياة ، دون ان يستخدموا عقولهم ومن غير ان يحكـــموا ارادتهم ، فكانوا بذلك ابعد ما يكونون عن الاصل والفرع معا ٠٠٠

قد يقول قائل (انك نفسك ما فتئت تنادى بالتجديد ، وتقول ان عاداتنا لم تعد تتمشى وواقع الحياة ولم تعـــد تجارى العصر الذى نعيشه ، وان تقاليدنا اصـــبحت قديمة بالية يجب التخلص منها ، فكيف تلومنا نحن على تركها ٠٠٠

وهذا قول تراه لاول وهلـــة معقولا مقبولا ، ولكنـــك سرعـــان ما تجد الفرق بينا واضحا اذا ما علمت اننى لم اناد فى يوم مـــن الايام بوجوب التخلص من كل عاداتنا دفعة واحدة ، بل اننى فى كل

اقوالى انما انادى بالتخلص وتركه الضار من العادات ، والتجرد من الفاسد من التقاليد ، التى كانت سببا مباشرا فى تأخرنا وقعودنا عن السير فى ركب المدنية والحضارة والتقدم العلمى والاجتماعى ، وهى التى لم تكن فى يوم من الايام تقاليد عربية قومية ، بقدر ما هى تقاليد اوجدتها ظروف تعسفية ساعد على ايجادها وخلقها المستعمر واذنابه الرجعيون وهى التى كنت ولا زلت ولن افتا انادى بالتخلص منها وتركها ...

فاذا تخلص الشباب او عمل على التخلص من هذه العادات ، فاننا لا نلومه ابدا على عمله ذلك ، لاننا نتفق معه على مضارها وعفونتها ..

ولاننا كذلك نتفق معه على وجوب التخلص منها واستبدالها بغيرها أحسن واقوم وانفع منها ولايهمنا غربية كانت أوشرقية اوحتى شيطانية ، انما يكفى ان تكون عادات مقبولة متفقة والحياة الانسانية الحرة التى نسعى ونعمل على نشرها فى ربوع هذا المجتمع ..

ولكن ، ورغم هذا فان ما نقوله لا يعنى مطلقا ان نتجرد من كل عاداتنا وتقاليدنا ، ونستبدلها باخرى ، لا لشىء سوى لانها جاءت على انقاض عاداتنا نحن وتقاليدنا ، بل التخلص الذى نعنيه والتجرد الذى ندعو اليه يجب ان يكون وان ينحصر فى الضار من العادات و لفاسد من التقاليد .

وهذا القول اى لمناداة بعدم التجرد الكلى من عاداتنا وتقاليدنا لا يعنى مطلقا اننى متعصب متزمت ، ولا يعنى ابدا اننى من انصار القديم لمجرد انه قديم ، واذن فارجو الا يصفنى من تنطبق عليهم هذه الاوصاف بالرجعية والتأخرية ، فانا أعتقد جازما اننى لست رجعيا ولا تأخريا ، ولست من انصار الركود والخمول والجمود ، بل اننى ضحيت بالكثير والكثير جدا فى سبيل الا اوصف بمثل هذه الاوصاف .

واذا انتهينا من توجيه هذا اللوم او شبه اللوم الى بعض من شبابنا ، فان ذلك يسوقنا الى الاقرار بان هناك جبهة ثالثة ، او جماعة ثالثة تعمل لغرض لو درسناه لوجدناه نفس الغرض الذى نسعى نحن اليه ، وهو كذلك نفس الغرض الذى يسعى اليه كل

عاقل مفكر موءمن برسالته فى هذا المجتمع ، صادق فى تبليغ مـــا يؤمن به بانه حق وصدق وصواب ...

واذن فنحن جميعا نعمل لغرض واحد ونسعى لهدف واحد ، ونكافح لغاية وحدة ، هى خلق او ايجاد او تكوين المجتمع الافضل المنشود ، وانما كل منا يحاول ان يصل الى هذا الغرض من الطريق الذى يـــراه .

وعلى هذا الاساس فالاختلاف بيننا لم يكن فى الغاية ولم يكن فى الهـــدف ، وانما هو ينحصر فى (الكيف) ... كيف نكون او نخلق او نوجد هذا المجتمع الافضـــل .. المجتمع الديمقراطى .. المجتمع الاشتراكى الاسلامى ؟ . فاذا عرفنا كيف نوجد هذا المجتمع واى الطرق توصلنا اليه ، انتفى الخلاف وانقطعت المنازعات ودفنت الاحن وبلغنا غايتنا المنشودة ...

ولا اعتقد ان هناك وسيلة لتوحيد جهودنا وحصر قوانا المبعثرة المنتشرة هنا وهناك ، سوى أن نعقد الكثير من الاجتماعات والندوات وتكون المنظمات والهيئات ، التى تضم قوى الشبـــاب ، وفـــى هذه الاجتماعات او الندوات تعرض مشاكلنا الاجتماعية على بساط البحث والنقاش ، وعلى ضوء النتائج التى نتوصل اليها يمكننا ان نعمل شيئا ذا فائدة لنا وللاجيال القادمة بعدنا ..

ولكن ان ما نقوله وما نقترحه لايمكن انيأتى بالفائدة المرجوة منه مالم نضع نصب اعيننا فى اجتماعاتنا ،او ندواتنا قضية المرأة فى راس القائمة ،وما لم نوءمن ايمانا راسخا ونعتقد اعتقادا جازما انه لم يكن من سبب لتأخرنا وقعودنا فى مضـــمار الحياة الاجتماعية ، بكل ما تحمل كلمة اجتماعية من معان ، سوى تاخر المراة ـ فان اى عمل واى مجهود سوف يضيع سدى اذا لم نوءمن ان المرأة انسانـــة وانها شريكة لنا فى السراء والضراء وانها عامل مهم جدا فى تقدمنا ورقينا او فى تأخرنا وقعودنا ..

وعلينا ان نوءمن انه لا تقدم لشعب اى شعب ما لم تعن المرأة ذلك الشعب على شق طريقه نحو التقدم والرقى والحضارة والتمدن ..

وعلينا ان نسلم بان للمرأة فى الحياة رسالة قد تسمو وتعلو على رسالة الرجل ، ذلك لان الطبيعة خصـــتها بمهمة تربية النشىء وتكوين الاجيال ، فاذا لم تكن المراة واعية مدركة متفاعلة مع الحياة التى تعيشها ، فقط لا يمكنها ان تمد مجتمعها بالرجال المخلصـــين العاملـــــين ..

واذا لم تكن المرأة مدركة واعية مقدرة لرسالتها وواجباتها نحو نفسها ووطنها والاجيال القادمة ، لا يمكنها ابدا ان تغرس فى نفوس هذه الاجيال القادمة بذرة الفضيلة والكفاح والعمل المثمر المفيد ..

وخلاصة القول ان المراة هى عصب الحياة النابض فى كل امة وفى كل جيل وفى كل زمان ومكان ، فاذا لم يعترف لها بحقها فـــى الحياة الحرة الكريمة المقامة على الديمقراطية والاشتراكية الاسلامية، واذا لم تمنح الفرص .. نفس الفرص التى تمنح للرجل فى العمـل والانتاج والابداع، واذا لم تقدر خطورة وجودها بين المجموعة الاجتماعية والانسانية ، فانه من العبث ومن الكلام الفارغ الذى لا يجدى ولا يفيد ان نؤمل فى المستقبل خيرا لنا ولمجتمعنا ولابنائنا ، ما دامت المرأة حبيسة الجدران والسخافات ، وسجينة الترهات والاوهام ، مكبلة بسلاسل من العادات المتعفنة ومغلولة باغلال من الرواسب النتنـــــة ..

ان نظرتنا الى المراة يجب ان تتغير ، اذا اردنا ان نتقـدم واذا اردنا ان نعيش كما يعيش الادميون .

ان تقديرنا للمرأة يجب ان يكون على اساس من الحرية الانسانية الفردية المطلقة التى لا تحدها الا حدود حرية الاخرين .

ان اعتبارنا للمراة يجب ان يتبدل وان يتحور ، اذا شئنا ان نغير مجتمعنا ونغير ظروف حيواتنا .

فالى ان يحدث كل هذا التبديل والتغيير والتحوير .

الى ان نؤمن بان المراة انسانة مثل الرجل ، وبانها مخلوقـة عليها واجبات ولها حقوق .

الى ان يحدث كل ذلك علينا ان نكافح وان نجاهد وان نستميت

وعلى المرأة ايضا ان تؤمن معنا بوجودها وان تتحمل مسئوليات هذا الوجود ٠

فان ايماننا نحن بوجودها ٠

وان تقديرنا نحن لمكانتها ٠

وان عملنا نحن على تحريرها وازالة الرواسب من عقلها والاغلال من يديها لا يمكن ان يأتيها بفائدة ما ٠

ولنلقى نظرة الى الماضى القريب ٠٠٠ الى عهد قاسم امين طيب الله ثراه ، وزمن الزعيمة النسائية الاولى فى الشرق العربى هدى شعراوى محررة المراة ٠

لنا ان نلقى نظرة على هذا الماضى حيث تواجهنا الحقيقة واضحة جليـــة ٠

لقد نادى قاسم امين بتحرير المراة والف الكتب ودبج المقالات فهل استطاع ان ينفذ نظرية واحدة من نظرياته او قولا من اقواله ، حتى على اقرب الناس اليه (زوجته) ؟ ٠

ولكن وعندما نضجت الفكرة ، ووعتها المراة ، تمكنت مـــن تحقيق ، مالم يحققه قاسم فى سنوات من الكفاح والنضال فى وقت وجيز ٠٠٠ لقد ذهبت هدى شعراوى الى المؤتمر النسائى بايطليـا وهى ترتدى (الخمار) مع جملة من رافقنها الى المؤتمر ، وعادت وهى ترتديه ايضا ولكنها فى لحظة واحدة من لحظات الشجاعة ازالته هى ومن معها من النسوة ورمينه الى البحر فى غير رجعة ومن يومها فقـط وبذلك فقط ، تحررت المراة المصرية من نير الحجاب واستراحت منه الى الابـد ٠

واذن فالمراة هى التى تستطيع ان تحرر نفسها ، وليس الرجل هو الذى يحررها ، مهما كان ايمان الرجل بوجوب تحريرها ، وانما كل ما يستطيع الرجل ان يقدمه للمراة من معونة ينحصر فـى ان

يرسم لها الطريق ، هذه طريق الى التحرر والانطلاق ، وهذه الى العبودية والاستبداد . ثم عليها هى وحدها اختيار الطريق التى تفضلها ·

ايمان المراة بوجودها ، وتقديرها لما يترتب على هذا الوجود من مسئوليات ، هى طريقها الوحيد الى التحرر والى الحياة ·

ولكن كيف تشعر المراة بوجودها هذا وكيف تقدر ما يترتب على هذا الوجود ؟ ·

نعم ان من النساء من قدرن ذلك وبدان يعملن له واليه . خاصة فى العاصمة الشرقية حيث قطعت المراة هناك شوطا بعيدا جدا فى مضمار التقدم والتحرر والرقى ، ولكن هذا التقدم الذى احرزته المراة فى الشق الشرقى من الوطن لا يمكن ان يعمينا او ينسينا ما لازالت تقاسيه المراة بصورة عامة هنا وفى طرابلس بالذات ، وذلك لاشك ناتج عن عدم انتشار الوعى الاجتماعى انتشارا حقيقيا بين النساء هنا ·

فما الطريق الى نشر هذا الوعى الذى من شانه ان يشعر المراة بوجودها وان يشعرها بانسانيتها ؟ ·

ليست هناك الا طريقة واحدة ، هى الاكثار من لدعوات المتوالية المتتالية المتتابعة ، لمحاولة بعث الثورة فى نفس المراة على الاوضاع والتقاليد التى تكبلها وتقيدها وتحجز على حريتها ·· ثم الايحاء اليها بتكوين النوادى والمنظمات ، التى من شانها وحدها ان تنسق الجهود الفردية وتنظم الاعمال فى قالب جماعى ·

تلك هى طريقنا الى تحرير المراة ، فعلينا ان نتبعها او نبحث عما هو احسن منها فنتبعه لغرض الوصول ·

ولكى نغرس وعيا اجتماعيا جديدا بين الاجيال القادمة ، لابد لنا من ان نتخذ طريقا جديدا فى التربية والتعليم ولابد لنا من ان نغير المناهج والطرق والاساليب ، حتى نتمكن من غرس روح الوعى الجديد فى النفوس منذ الصغر ومنذ نعومة الاظافر ··· لابد من ان نتبع

اسسا قويمة فى خلق الجيل الصالح من كلا الجنسين يعرف ما لـه من حقوق ويقدر ما عليه من واجبات فلا يخلط بين الحق الواجب ، او يطالب بالحق دون ان يؤدى الواجب ٠

(من الامور الواضحة الجلية (١) ومن الاشياء المتفق عليهـا من قبل جهابذة التربية والعليم ، فى كل مراحله وبكل صوره ايجاد (المواطن) (الصالح) لنفسه ولوطنه ولشعبه ولامته غير ان معنى كلمتى (المواطن) و (الصالح) واسع عريض لا يحد ولا يحدد٠ اذ ليست الغاية ان يكون الفرد متعلما مثقفا فحسب واذن ، فليست الطريقـة للوصول الى هذه الغاية ، هى ان نعلم التلميذ مبادىء القراءة والكتابة او نملا عقله ببعض النظريات المقررة والقواعد الموضوعة ، ونمـده بمعلومات مختلفة متباينة فحسب ، بل ان المواطن الصالح او لكى يكون مواطنا صالحا ، كما يخيل الى انما هو شىء اكمل وارفع واسمى من كل هذا ٠

اذ ما الفائدة من ان يكون الفرد ملما بعض الالمام بتاريخ وطنه وجغرافيته ، حافظا لبعض النظريات والقواعد اذا لم يكن مع كل ذلك يشعر فى قرارة نفسه بان له قومية ووطنية من واجبه ان يحافـظ عليهما ويرعاهما ويذود عنهما ويسعى ما وسعه السعى للدفاع عـن كيانهما والاحتفاظ ، بل الافتخار بهما ؟ ٠

ما الفائدة من ان يكون الطالب حـال حصوله عـلى الشهـادة الابتدائية ، او التوجيهية مثلا ، ملما وعارفا بكل او جل المصطلحات العلمية ٠ اذا لم يكن فى نفس الوقت له شعور قومى وطنى ، ولـه هدف اجتماعى يسعى لبلوغه ويعمل للوصول اليه ؟ ٠

هذه كلها امور يوافقنى عليها الكثيرون من الزملاء الاجلاء ، ويودون كما اود ، لو نتمكن من تحقيقها ، حتى نحصل على المواطن الصالح الذى ننشده من وراء التربية ونبغيه ولكن ، من المؤسف حقا ومما يملأ قلوبنا حسرة ، ونفوسنا لوعة ان نجد المعلم غير مهتم ولا ملتفت الى هذه الناحية الجوهرية اثناء قيامه بواجبه التربوى ومهمته التعليميـــة ٠

فالمعلم يدخل الفصل ويخرج منه دون ان يفيد طلابه شيئا من

---

(١) نص المحاضرة التى القيتها برابطة المعلمين مساء يوم ١٦/٤/٩٥٤

هذا القبيل ، اللهم الا ما ملأ به عقولهم من دروس فى علوم مختلفة تفرضها المناهج وتستوجبها النظم والقوانين ، مما ليس له اى نفع كثير او قليل يعود على الطالب من حيث كونه فردا يعيش بين مجموعة افراد يتعامل معهم ويتفاعل واياهم ٠

وقد يتساءل بعضكم ايها السادة فيقول :

وما الذى تطلبه من المعلم ليقوم بالمهمة المناطة به ، وهو مكلف بتدريس مواد فى حدود منهج معين ؟ ٠

واجيـــب :

ان المناهج عندما توضع لا يقصد من وضعها عدم تجاوزها ، وانما المقصود منها جعلها حدا ادنى ٠٠ هذا من جهةومن جهة ثانية فان مهمة المعلم لم تكن تثقيف الطالب عمليا فقط ، بل ان مهمته ان يغرس فى نفوس التلاميذما يسمونه (الوعى القومى) او الوعى الاجتماعى وان يربيهم بجانب تعليمه اياهم العلوم المختلفة المقررة تربية قومية تريهم وتصور لهم ماضى وطنهم التليد وماضى اجدادهم المجـــيد ، ويعلمهم كيف يتمسكون بهذا الماضى العزيز ، وكيف يحافظون عليه من التلف والضياع ، وكيف يفخرون بمخلفات اولئك الاجداد الميامين فى غير ما تحسر واتكالية ٠٠ وكم لنا فى الماضى من مفاخر ، يمكننا ان نعتز بها وان نجعل منها دستورا نسير على هداه ٠

غير ان هذه التربية القومية التى ننشدها ، لا يمكن ان تاتى اكلها ناضجة ، مالم تسبقها تربية مؤسسة على قواعد متينة فى الخلق القويم ، ومن غرس الوعى الاجتماعى بين سائر الجماعات والافراد اذ انه من المسلم به ان التربية القومية مترتبة فى حقيقتها على التربية الاجتماعية ، وان التربية الاجتماعية يجب ان تسبق التربية القومية بمراحل ، ذلك لان الفرد لا يمكن ان يشعر بما نسميه (قومية) مالم يشعر اولا بكونه فردا فى المجموعة التى يعيش بينها ٠

وما دامت التربية الاجتماعية وسيلـــة وحيـدة للتربيـــة القومية ، فلا مناص هنا من شرح او تبيان الغرض الذى نقصده

من وراء قولنا التربية الاجتماعية ·

فالتربية الاجتماعية هذه ، فى رايى ، تبدأ من ان نجعل الفرد يدرك قيمته كانسان له ما للانسانية من حقوق كل الحقوق وعليه ما على الانسانية من واجبات كل الواجبات ومن ان نجعله يدرك ان لطبيعة قد حبته بحقوق له ان يأخذها وان يحافظ عليها كحق خالص لا يجوز لاحد ان يسلبه اياه ، او يحرمه منه ، كما لا جوز له هو نفسه ان يسلم فيه او يتنازل عن جزء منه لاى كائن كان·

ومن هذه الحقوق التى يجب على الانسان ان يحافظ عليها وان لا يفرط فيها مهما كانت الظروف وكيفما كانت الاحوال حقه فى الحياة الحرة الكريمة كاحسن ماتكون الحيوات ، وحقه فى حريته الفكرية كانسان له عقل عاقل وادراك مدرك ، وحقه فى شعوره بشخصيته بين مجموعة افراد يمتاز عليهم باشياء كما يمتازون عليه باشياء اخرى يحتاج اليهم فى امور لا يستطيعها ويحتاجون اليه فى امور لا يستطيعونها ·

واذا نحن سلمنا بان للمرء عقلا وادراكا وارادة ، بوصفه انسانا ، لم يخلق مسيرا كل التسيير ، فلا يسعنا الا التسليم بان له مؤهلاته الطبيعية المودعة فى عقله وتفكيره وارادته ·

وما دام يتمتع بهذه المؤهلات الانسانية ، فله كذلك حق التمتع بها فى حياته العملية اليومية كما يتمتع بها غيره من البشر ، وله ايضا حق العمل على انمائها وتقويتها حتى يصبح عضوا نافعا فى جسم المجتمع الذى يتفاعل مع افراده والذى يكون جزءا من كيانه وحجرا فى بنائه ، مهما صغر هذا الحجر ،لا يمكن الاستغناء عنه مادام يقوم بواجبه ومحتفظا بوضعه فى هيكل البناء ·

وبدون انماء هذه المؤهلات وتقويتها يوما بعد يوم، لايمكن للفرد مهما عظم (وهو لا يعظم الا عن طريق هذه المؤهلات) ان يصبح عضوا نافعا يمكن للبشرية او للمجتمع ان يستفيد منه ·

(ولكى لايكون المجتمع الانسانى ، كناية عن مجموعة بشرية تحيا كما تعيش المجاميع الحيوانية الغير متمتعة بميزتى (العقل

والادراك) ثم الارادة ، الحياة فى نظرها وتقديرها عبارة عن اكل وشرب ونوم ونتاسل يعقبها موت) ٠

لكى لايكون المجتمع الانسانى بهذا الشكل ، فعلى الفرد ان يدرك قيمة هذا المجتمع ومقدار احتياج كل منهما الى آلاخر ، الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد٠٠ هذا المجتمع الذى يعيش فى نطاقه وضمن افراده على اختلاف ميولهم وعقولهم ومداركهم ومؤهلاتهم ومقداراتهم فيسعى بكليته وبكل ما اوتى وماستودع من مؤهلات وميزات فى اسعاده ورقيه وازدهاره وحضارته وتمدنه ٠

فالتربية الاجتماعية التى نقصد نشرها بين نشئنا الجديد على ايدى المعلمين والمدرسين ، تشمل كذلك وبين مجموعة ما تشمل ، تعريف الفرد والجماعة كليهما ما على كل منهما نحو الآخر ،ومالكل منهما لدى الثانى ، بحيث لا ينكر الفرد ما عليه نحو الجماعة، ولا يجهل فى نفس الوقت ما له عليها ، ولا تنكر الجماعة ما عليها ازاء الفرد ولا تجهل مالها عليه ، فلا يكون هناك من يستنقص هذه الحقوق ، او يستكثر تلك الواجبات ، حتى لاينوء بحملها اى من الفرد والجماعة ٠٠

وهكذا لا يكون هناك الا تعاون مشترك بين الجميع ، كل حسب مؤهلاته ومقداراته ٠

فمعرفة الفرد لحقوقه وتقديره لواجباته ، تلك الحقوق الواجب عليه اخذها والمحافظة عليها ، والواجبات المتحتم عليه اداؤها والقيام بها ٠

معرفة الفرد لهذه الامور الاجتماعية ، تعينه بلا شك على ادراك قيمة نفسه كفرد بالنسبة لبقية الافراد ، وقيمة المجموعة بالنسبة له كفرد ، فلا يحط من قيمته ولا ينقص من قيمة غيره ٠

متى ادرك المرء هذه الامور ، وميزها ووعاها ، فان ذلك كفيل ايضا بان يعينه على عدم الاقلال من شان الاخرين او الانقاص من اقدارهم ، لامر من الامور خارجة عن كفاءة الفرد الانسانية وكذلك عدم رفع قدر من لا يستحق الرفعة لاسباب خارجة عن هذه الكفاءة نفسها ٠

فالكفاءة الانسانية الفردية وحدها المستمدة عناصرها واصولها وفروعها من العلم والثقافة والاطلاع والدراية والحرية الانسانية الفردية المطلقة ،والادراك والفهم والخلق والسلوك والعقيدة والتقاليد والعادة ..هذه الكفاءة وحدها هى التى يجب ان ننشى جيلنا الجديد على اتخاذها معيارا او مقياسا لقيمة الانسان ومركزه الاجتماعيين .

(فلا الحسب ولا النسب ولا الجاه والسلطان ،ولا الغنى والثروة ولا التقرب الى من بايديهم الحل والربط ولا التظاهر بالقداسة والتقى والورع ، ولا شىء من هذا القبيل مطلقا يصح ان يكون له اى شان فى تحديد قيمة الفرد ومكانته وسلطته) .

هذه هى الامور او قل الاسس التى يجب ان نقيم عليها فى مدارسنا شخصية الفرد الاجتماعية .

ومن هذا التقديم نجد انفسنا امام نقطتين ، او نقطة ذات شعبتين ، الشعبة الاولى ، ايضاح ما يجب على المعلم حيال تلاميذه حتى يغرس فى نفوسهم وعقولهم هذه القيم والمعايير الاجتماعية بعد نزع روح التعسف الفردى الاستبدادى منها .. تلكم الروح التى كانت ولاتزال مستولية على نفوس الكثيرين من افراد هذا المجتمع نتيجة ظروف استعمارية طارئة احاطت به ، ولا تزال مستولية على عقول الكثرة الكثيرة من افراد وجماعات ..

تلكم الروح الفردية التعسفية التى كان يغديها المستعمر ،ويسهر ويعمل ليلا ونهارا على نموها وترعرعها ونشرهـــا وبثهـا بـــين الجموع الحاشدة ، وامتداد جذورها فى كل بقعة من بقاع هذا الوطن الآمـــن ..

اجل المستعمر كان يغذى هذه الروح، بواسطة اذياله واذنابه ومؤيديه ومريديه ،وبسعيه الحثيث الدائب فى المحافظة على الرجعية وتقويتها ومساندتها ، حتى يتمكن هو بدوره مـن نشر سياسته المرسومة فى القضاء على القومية الوطنية العربية ، واقتلاع جـذور الوعى الاجتماعى من بين سائر الافراد ..

فلولا وجود المستعمر لما امكن للرجعية الظهور بلـه البقاء

والنماء والاستمرار رغم انوفنا ورغم مشيئتنا ..

ولولا الرجعية المتعفنة لما امكن لشجرة الفردية التمعجرفة الطلوع والازدهار ..

ولولا الفردية المتعجرفة لما تأخر مجتمعنا عن التقدم وتخلف عن الرقى والتمدن ..

فالرجعية ولا شيء سواها ، والتى كان للمستعمر اليد الطولى فى ترعرعها وتربعها على عرشها الواهى المقام على الجهل والاشلاء والجثث ، هى وحدها التى كانت ولا تزال سببا مباشرا من اسباب قعودنا وتخلفنا وانحطاطنا فى كل ناحية من مناحى الحياة اليومية الفردية والاجتماعية على السواء ..

فما هو واجب المعلم اذن ، لاقتلاع هذه الفكرة او محاربة هذه الرجعية من عقول التلاميذ الذين نعتمد عليهم فى مستقبل حياتنا الاجتماعية القادمة ؟ ..

ان اول واجب على المعلم المخلص المؤمن بسمو رسالته الانسانية الخالدة ان يعمل بكل جهده على اجتثاث شجرة الرجعية الممقوتة ، واقتلاع جذورها ، وتحطيم فروعها فى نفوس وعقول الجيل الجديد .

اذاننا اذا سلمنا بان الرجعية هى اصل ما ابتلينا به من تاخر وانحطاط وما منينا به من تفسخ وتميع ..

اذا سلمنا بهذا ،واذا سلمتم معى ايها السادة بهذا ، فلا جدال سنصل معا الى القسم الثانى من القسمين اللذين اشرت اليهما فى اول هذا الكلام ..

وهو العادات السيئة التى نرزح تحت ثقلها منذ عديد السنين والاعوام ، ونئن من وطأتها .

فاننا كما تعلمون لنا عادات وتقاليد ترعرعت ونمت مع ترعرعنا ونمونا ورثها آباؤنا عن اجدادنا ، ثم اورثونا اياها، ولست ادرى ولا الشيطان يدرى من اين جاءت ، او ممن ورثها اجدادنا الاولون ..

نعم ايها السادة لست ادرى ولاانتم انفسكم تدرون ، وانما كل الذى ندريه هو اننا فتحنا اعيننا فوجدنا هذه العادات تكبلنا وتاسرنا وتعيش معنا ، وهذه التقاليد نرسف فى اغلالها ولا نعرف كيف الخلاص منها ..

ربما تقولون : انك مخطىء فى دعوتك الى نبذ هذه العادات والتقاليد ، وانك لمغتر مخدوع ، اذا ظننت ان الحضارة او المدينة تتوقف على نبذ العادات ، وان التقدم والرقى مرتبطان بترك التقاليد فان من الامم المتمدنة التى تريدنا ان نقلدها من لازالت تحافظ على عاداتها وترعى تقاليدها ..

وانا لا انكر ان لكل امة تقاليد تعتز بها وعادات تحافظ عليها ، ولكن هذه العادات والتقاليد الواجب احترامها من قبل معنتقيها ومتبعيها ، انما هى تلك التقاليد الحسنة النافعة المتمشية والمدنية الحديثة ، والتى هى بجانب ذلك ذكرى لماض مجيد ،سطره الاجداد فى سجيلات التاريخصفحات بيضاء ناصعات، تنفخ فىمتبعيها روح الكرامة والعزة وتذكر هم بتاريخ نبل وشهامة ، ولم تكن ابدا ولا يمكن ابدا انتكون تقاليد تعيد الىالاذهان عهدا كان فيهاسلافنالقمة سائغة لاراجيف وترهات المستعمرين الغاصبين ، وضحية لا كاذيب صاغتها عقول اناس مغلوبين على امرهم او بعيدين عنا كل البعد ..

ونحن هنا لا ننكر ان لامتنا ماض ، سواء نظرنا اليها نظرة شاملة واسعة واعتبرناها امة عربية او نظرة ضيقة واعتبرناها امة ليبية ،خالدا يمكننا ان نفخر وان نعتز به وان نستلهم منه اقوم العادات وخير التقاليد ، وان نأخذ منه عبرة وعظة نلقنها نشأنا الجديد وجيلنا المستقبل ، فتوحى له ما يجب عليه ان يعمله فى حاضره ، من اجل ان يسعد فى مستقبله ..

واذن فعندما ندعو الى التجرد من العادات والتقاليد انما ندعو الى التجرد مما لايتفق وحياتنا الجديدة كأمة حيةوشعب متوثب ومجتمعيسعى للتكامل.. اما ا لعادات الحسنة التىتوحى لنا بالقوة والعزيمة والعزة والكرامة فنحن اول من يتشبث بها ويحافظ عليها من التلاشى والتدهور والانهيار ، اذ انها لاشك ستكون مصدر وحى والهام لنا فىكفاحنا ونضالنا لبلوغ الغايةالتى نسعى ونعملها ،ولم

يدفعنا الى المناداة بنبذ العادات والتقاليد الا ايماننا وعقيدتنا بان (اية امة واى شعب يفتقر ابناؤه الى الوعى الاجتماعى الصحيح، وتغوص عامته فى لجج العادات السخيفة والتقاليد البالية ، ويوصور لها المصورون المغرضون ان التقاليد الرجعية التى غرسها وزرعها المستعمر واحتضنها من بعده اذنابه واذياله ومريدوه من الرجعيين والوهميين ، هى تقاليد قومية عربية) من واجب الافراد المحافظة عليها والعناية بها ، بل ومفروض عليهم تقديسها وعبادتها ..

اذ ليس فى مكنة اى شعب ان يتقدم خطوة واحدة نحو الرقى الاجتماعى او فى اى ميدان آخر من ميادين الحياة المختلفة مادام بين افراده اناس يعتقدون مثل هذا الاعتقاد الخاطل السخيف ..

وايضا ليس فى استطاعة اى شعب من الشعوب يدعوه اقوام سذج مغفلون مأجورون الى الاحتفاظ بهذا النوع من التقاليد والعادات المتعفنة النتنة ، التى كانت منذ زمن ليس ببعيد مصدر شعورنا بالنقص واحساسنا بالضعف والاستكانة حتى تولد فينا نتيجة لذلك نوع من الخنوع والاستسلام ، والخوف والجبن والشقاء ..

اقول ن شعبا من الشعوب يعلمونه هذا النوع من الحياة المذلة المترتبة عن اتباعه وخضوعه لهذه التقاليد ،ويلقنونه اياها منذ الصغر ، ثم يتركونه يتخبط من ظلماتها ودياجيرها ، وبين امواجها كالمشرف على الغرق ، لا يعرف اية واسطة يتعلق بها لتنجيه مما هو مشرف عليه من هلاك : أهو الاحتفاظ بهذه العادات ، ام نبذها والرجوع الى الدين الاسلامى والتنقيب بين اصوله وفروعه عن عادات اخرى تلائم الزمن والعصر والتطور ، ام ترك كل ذلك واخذ عادات الغرب بما فيها من عيوب ومشائن ؟ ..

ان اى شعب او جيل تتفتح عيون افراده على مثل هذه الحال من التذبذب وعدم الاستقرار ، يستحيل عليه ان يرقى درجات الكمال الانسانى ، او يصل ذروة الرقى الاجتماعى ،لانه لايرى الحياة فى واقعه ، الا من خلال هذه التقاليد وفى هذه الصورة المشوهة الموضوعة فى اطار صيغ من اقوال الدجالين والمشعوذين ..

اننى لا ادعو الى ترك كل عاداتنا والتجرد من سائر تقاليدنا ، لنستبدل بها عادات الغربيين وتقاليدهم بل انما انا ادعو الى نبذ

الفاسد الضار الذى حال دوننا ودون السير فى ركاب المدينة المتفتحة فان هناك كثيرا من عاداتنا ، كما تعلمون ، ما زالت ما ثلة متبعة مقدسة حتى اليوم ، رغم تعاقب الايام وكرور السنين تماما كماكانت فيما مضى من العصور ، وحيث كانت تلائم تلك العصور التى اوجدت فيها ، رغم انها اليوم لم تعد تماشى او تساير العهد الحاضر بما فيه من تطور سريع مستمر دائب ..

فالحياة فى تطور ، والحياة فى تغير ، و لحياة فى تبدل ، ولكن هذه العادات التى نتبعها وتقدسها فئة منا ، لاتتطور ولا تتغير ولا تتبدل لانها لاتعرف ولا تقر التطور والتغير والتبدل ،ولان واضعيها اناس جامدون لم يخطر لهم يوما ان الحياة ستتطور وتتبدل ، ولان معتنقيها ومتبعيها اناس خاملون لا يؤمنون بالمقدرات الانسانية الفردية او الجماعية ولا يملكون الشجاعة الكافية التى تساعدهم على تطوير وتغيير هذه العادات والمعتقدات لان دستورهم فى الحياة لا يختلف كثيرا ان لم يكن صورة طبق الاصل لدستور اجدادهم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان يوم قالوا لمحمد بن عبد الله (هكذا وجدنا آباءنا ونحن على آثارهم مقتدون) .

فلو اننا نظرنا الى هذه العادات التى يدعوننا بل يجبروننا على اتباعها وتقديسها ، والسير فى ركابها ابد الدهر وابد الحياة لوجدناها عادات ليست بعيدة كل البعد عن الحياة العصرية فحسب ، بل انها بعيدة ايضا كل البعد حتى عن الدين الذى يتمجدقون بانهم حماته وانصاره والذائدون عليه والمدافعون عنه ..

فهذه العادات الخرافية السخيفة ، ما كانت لتستمر معنا كل هذا الزمن الطويل من الدهر ،وما كانتلتكتب لها الحياة ،بله الخلود والاستمرار والنماء والبقاء ، لولا وجود اولئك النفر من المعتوهين المتزمتين المغفلين الذين يحافظون عليها باسم الدين وباعتبارها جزءا من الدين حتى انستهم الدين نفسه واعتقدوها لا نتيجة للدين بل اصلا من الدين نفسه .

ولست هنا ايها السادة بمتعرض لهذه العادات التىقلت ولن افتأ اقول ، عن ايمان راسخ وعقيدة قوية متينة ، وبعد فهم ووعى

وادراك وتقدير ، انها لم تعد تجارى العصر الذى نعيش فيـــه ، ولا تتمشى وسنة الحياة او تلائم مانحن صائرون اليهمن تقدم وحضارة .

لست هنا بمتعرض لتعداد هذه العادات وحصرها ،لان المجال غير مجال حصر وتعداد ، ومقارنة وموازنة لمعرفة النافع مـــن الضار ، والتمييز بين الغث من السمين، ولان كل فرد من افراد جيلنا الجديد يعلم او سوف يعلم فى القريب ، ما يتلاءم والحياة من هذه التقاليـــد وما يتنافر واياها .

لست فى موقف حصر وسرد ، وما اكثر الاحصاء لـو اردت ان احصى ؟. وانما اكتفى بالتعرض لعادة واحدة من جملة عادات ، اراها علة العلل ، ان لم تكن هى العلة وحدها فيما وصلنا اليه من انحطاط اجتماعى فى كل ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية ، وفى كل مظهر من مظاهر هذه الحياة .

تلك هى : الحيلولة دون الفتاة عندنا ودون التعليم المتوسط ، ولا اقول (العالى) هذا فيما اذا فرض ونسمح لها بالتعليم الابتدائـــى البسيط ... (×)

فالفتاة فى نظر اصحاب هذه العقول الجوفاء الفارغة ، المتشبثين بهذه المجموعة من العادات السخيفة الزائفة ، انما هى مجرد (انثـــى) تافهة ومخلوقة حقيرة مهمتها الاولى والاخيرة ، ارواء ظمأالرجل واشباع جوعه وهى بعد ذلك آلة بين يديه تلد له البنين والويل لها كل الويل ان غلطت وولدت الاناث ، ثم هى خادم تقوم بتنظيف المنزل لسيدهـا وقائدها ورجلها ، وتربى له الاولاد ما دامت فى سن لم تجاوز الخامسة ، وهى فوق كل ذلك ليست انسانة لانها مخلوقة ناقصة (عقل ودين) لا ادراك لها ولا تفكير ، تعيش عالة على الرجل ، وقد غاب عن مداركهم (النيرة) وعقولهم (الحصيفة) اسماء تلكم النساء اللائى كن فى يوم من

(×) كان ذلـك فى سنة ١٩٥٤ ، اما الان فلـــنا طالبات فى المدارس العليـــا

الايام امهات واخوات وزوجات لاعاظم الرجال فى التاريخ الانسانى ، واللائى لولا وجودهن لما كان اثر لاولئك الافذاذ من العباقرة ٠٠ وقد فاتهم ايضا عن قصد منهم او عن غير قصد ، لماذا وصف الشاعر المرأة بقوله :

الام مدرسة اذا اعددتها　　اعددت شعبا طيب الاعراق

وقول الآخر ايضا :

ربوا الفتاة على هدى الاوطان　　ان الفتاة شريكة الفتيان

غابت عنهم كل هذه الاقوال ، وغاب عنهم الدافع الذى دفع الى قولها واتخاذها شعارا فى الصلة بين الرجل والمرأة كما غاب عنهم الكثير مما جاء فى حق المرأة ، او ربما لانهم لا يريدون ان ينصتوا اليها او يعوها ويفهموها ، تماما كما لم يشاؤا ان يتفهموا ويعوا قول الشيخ عبد العزيز جاويش : (ساوى الاسلام بين الصنفين فى الحقوق المدنية ، وجعل لكل حقه من الاخر ، وان يبيع ويشترى ويعقد ما يشاء من العقود ما دام عاقلا رشيدا) ٠

(ومن الذى يستطيع ان يعتقد بفضل بدوى عقله اخلى من ارض البادية ، على المرأة التى وصلت الليالى بالايام فى طلب العلم ، حتى تثقف عقلها وتهذبت نفسها ؟) ٠

(فاين حجر الاسلام على المرأة واين التضييق عليها من هذه السماحة؟)

كل هذه الاقوال ونظائرها لم يعوها ، او لعلهم تعاموا عنها ، لانهم لا يريدون ان يسلموا بان المرأة مثل الرجل تماما لها مثل ما له وعليها مثل ما عليه اذ لا يرون فيها او لا يرونها عاقلة رشيدة تستحق من الحياة كل هذه المزايا ٠٠

وكيف نريد منهم ان يرونها عاقلة مدركة واعية مفكرة ، وهم الذين لم يسمحوا لها بالتعلم الذى هو وحده ما يصقل عقلها ويهذب نفسها ويرشدها الى طريق الحق والخير والسلام ؟!

انهم لا شك يجهلون او يتجاهلون ان الجوع الفكرى يسوق قهرا وقسرا الى الجوع المادى ، وان العقل اذا خلا من غذائه الطبيعى الذى هو العلم والتثقف والاطلاع ، بحث مرغما مجبرا على غذاء آخر ولو كان غير طبيعى ٠٠ ولو كان فيه مهلكة وفساد ٠٠ ولانهم كذلك لا يفقهون معنى قوله عليه الصلاة والسلام ، او ربما لا يقرون قوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ٠٠

وانا هنا ايها السادة لا ارغب فى التحدث فى امور يقصر دونها فهمى وعقلى وتفكيرى ، ولا يتطاول اليها ادراكى ، فاكتفى بتقديم هذه المقتطفات ، علها تعيننا على الوصول الى ما نرغب فى الوصول اليه :

القى الدكتور (جورج حنا) محاضرة فى نادى الرابطة الثقافية بمدينة (صيدا) فى لبنان سنة ١٩٥٢ قال فيها :

(٠٠ ان من اهم عوامل تأخر الشرق ، بل اهمها على الاطلاق ابعاد المرأة عن المجتمع والحياة الاجتماعية فيه ، وعندما نقول (المجتمع) انما نقصد مجموع الافراد الذين تتكون منهم الامة ، وليس نصفهم فقط، بحيث لا يبقى النصف الثانى ،(ويقصد النساء) غارقا فى هجعة اجتماعية تفسد الغاية المنشودة ٠٠

فالمجتمع لا يكون مجتمعا اذا بقيت المراة على هامشه فقط ،فالعرف التقاليدى ، عرف تعسفى ، لا يقره علم ولا منطق والتمسك به رجعة الى الوراء لا تلائم العصر)

(ليست المراة انثى فحسب ، بل انها انسان بالمعنى الواسع لكلمة انسان ، وهى ليست فقط مخلوقا للتوليد وآلة للانتاج ٠٠٠ ان النظام الذى يجعلها كذلك، نظام مجحف لاطبيعى ولا علمى ولا انسانى

انه لمن العجب العجاب ان يدعى الرجعيون احترام الام والامومة ،بينما هم يحرمون الام حقها كانسان وينظرون اليها نظرة التبعية ويحتقرون انسانيتها ، ويتهمونها بالقصور فى تحمل التبعات الاجتماعية والتربوية)

(ان هذه العقلية الرجعية يجب ان تزول ، وهـى لا تزال الا اذا نشطت مدرستكم الجديدة ٠

(ان الامة لا تقوم الا على سواعد ابنائها كلهم ، والامة التى تامل ان تنهض بدون سواعد الامهات والزوجات وبدون مساهمتهن اجتماعيا وفكريا ، انما تامل عبثا) ٠

هذا بعض مما قاله الدكتور (جورج حنا)وهو يحاضر مجموعة من شباب مدينة صيدا المثقف الواعى كما وصفه ٠

فاذا كان هذا شعور رجل يعيش فى بلد يعد من ارقى البلاد العربية فى الحال الحاضرة ، وهو البلد الذى ظفر بنصيب وافر من العلم والثقافة ، وحصلتفيه المرأة على قسط كبير من الحريةوالانطلاق حتى لامها بعضهم عليها ٠٠

اذا كان هذا هو احساس رجل يعيش فى لبنان ، وهو لا شك احساس صادق ، فما بالك ببلد كبلدنا هذا لا زال يضم فئة كبيرة من الذين يتربعون على عرش واه من خرافات الرجعية وخزعبلاتها ، ويعيشون فىابراج عالية مشيدة من الاكاذيب والترهات والاقاويل ؟

ما احساسك بحال بلد يحيا فيه اناس لهم عيون لكنهم لا يبصرون بها ، ولهم اذان لكنهم لا يسمعون بها ، ولهم عقول لكنهم لا يعقلون بها ولا يفقهون شيئا ٠٠ ابسط شىء من امور الحياة ٠

اقول هذا وانا اعلم ان هذه الفئة التى تعيش (خمسين) سنة الى الوراء ، سيحلو لها ان ترمينى بالجموحوالتهور ، وتصفنىبالطيش والاندفاع والتطرف ، ان لم ترمينى بالكفر والزندقة ٠

قد ترمينى هذه الفئة بكل نقيصة ، وقد تصفنى بكل عيب ، ولكن ذلك لا يهمنى منها فى شىء ولن يؤثر على فى شىء لاننى لا اريد ان اهتم بها ولا اريد ان اشغل وقتى وعقلى بالرد عليها او محاججتها ، لاننى اعلن امامكم اننى انما اعبر عن شىء يخالجنى وعن

شيء اومن به ، بصفتى فردا من افراد هذا المجتمع الذى من حقه على ان اقدم له كل ما فى استطاعتى من خدمات ، ولان كل فرد فى هذا المجتمع او غيره من المجتمعات لهالحق كل الحق فى التعبير عن آرائه وافكاره ومعتقداته دون ان يهتم بالاقوال ودون ان تؤثر فيه الترهات ولاننى كذلك اعلم ان هذه الفئة المغفلة التى لا تبصر ولا تفهم ولا تسمع ولا تعى ، والتى همها الاول والاخير محاربة كل فكرة جديدة ناشئة ومعارضة كل رأى جديد نام ، مهما كانت هذه الفكرة ومهما كان هذا الرأى ، لا بد ان يأتى عليها يوم تندم فيه من حيث لا ينفعها الندم ، يوم قريب وقريب جدا تنفجر فيه القنبلة فتنسفها هى واعمالها وتريحنا منها ومن شرورها وسخافاتها ، وتأتى على اقوالها ومعتقداتها فتجعلها خبرا بعد عين ٠

لا بد ان يحين ذلك اليوم الموعود الذى ننتظره بفارغ الصبر والذى سيضع حدا بيننا وبين هذه الجراثيم المبيدة المهلكة فتندم من حيث لا ينفعها الندم ، عما اقترفتفى حقنا وحق الحياة ٠٠ وصدقونى ايها السادة اذا قلت لكم اننى بدأت الحظ بوادر هذا اليوم او هذا الانفجار الوشيك الحدوث ، والذى لا ريب ان ضحيته سوف لن تكون من اولئك الاقوام فحسب ، بل اننا نحن ايضا سنكون من بين ضحاياه ٠٠

قد يقول قائل من اتباع اولئك الرعاع : (انك مخطىء) (+) فى استشهادك باقوال رجل بعيد عن الدين الاسلامى وانك لمخطىء متهور فى عطائك المرأة كل هذه الاهمية وكل هذه القيمة) ٠٠

وهنا اجيب : ما كنت لاستشهد باقوال الدكتور (حنا) الا لاننى رأيت فيها صوابا وحكمة بعيدين عن السفاسف وقريبين ٠٠ قريبين جدا من اصول الدين التى جهلها كثير من اولئك الاقوام السذج المعتوهين المأفونين ٠٠٠

واجيب : ما كنت لاعطى المرأة كل هذه الاهمية ، الا لان ما

+ وفعلا فقد استنكر هذا الاستشهاد احد الحاضرين من الشباب المثقف ٠

اعطاها الدين ، اذا كنتم تنادون بالرجوع الى الدين ، اكثر بكثير من هذا الذى نحاول اليوم ان نعطيها اياه ، ويكفينا ، لكى نعرف مكانة المرأة فى نظر الدين والاسلام ، ان نسمع الشيخ (محمود شلتوت) فى كتابه (القرآن والمرأة) وهو يقول :

(قرأت القران وتتبعت ابرز مواقفه فى جانب المرأة ، فوجدت ان القران وحده خير ما يصور للناس عناية الاسلام بالمرأة وحظوتها عنده ٠٠ وليس بعد كلام الله كلام ولا بعد تشريعه تشريع ، فهو الحكم الاعلى ، ومصدر التشريع الذى يحكم على الغير ولا يحكم الغير عليه) ٠

(٠٠ ان الاسلام يعتبرهن مسئولات عن انفسهن مسئولية خاصة مستقلة عن مسئولية الرجل ، ولا تعوزك الايات الصريحة التى تقر للمرأة ذلك المبدأ العظيم)

(٠٠ لم يقف القران بالمرأة عند هذا الحد الذى رأيت ، بل احترم رأيها واستمع اليها وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام ٠٠ اقرأ قوله تعالى (لقد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ـ الى آخر السورة ـ) انظر بعد ذلك كيف جعلها القران (مجادلة) للنبى عليه الصلاة والسلام ، ووصف ما بينهما بالتحاور ، ثم كيف قرر رأيها وجعله تشريعا عاما خالدا ؟ ٠٠ فآيات (الظهار) وحكامه فى الشريعة الاسلامية وفى القرآن ، اثر من آثار الفكر النسائى ، وصفحة الهية خالدة فيها على مر الدهور صورة احترام الاسلام لرأى المرأة ، وان الاسلام لا يراها مخلوقة تقاد بفكر الرجل ورأيه وانما لها رأيها ، وللرأى فى الاسلام قيمة ووزن) ٠٠

(على هذا المبدأ وهو احترام رأى المرأة ، وان لها حقها فى التفكير وابداء الرأى ، قبل امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، نقدها اياه وهو يخطب الناس ويحذرهم التغالى فى المهور ، ولم يلبث ان رجع الى رأيها وعاد على نفسه باللائمة) ٠

هذه بعض اقوال علم من اعلام الدين الاسلامى فى المرأة، افهل اتبع متزمتونا مثل هذه الاقوال ؟٠ لا اظن ولا يمكننى ان اظن ان لديهم الشجاعة الكافية على الاعتراف بالحقوق الممنوحة ، لانهم لم ولن يتبعوا هذه الاقوال ونظائرها ، رغم انها صادرة ومأخوذة من دستورنا السماوى الالهى ، ذلك لان فى اتباعهم لها ، كما يعتقدون ، ما ينقص من قيمتهم وما يقلل من سطوتهم وما يحد من نفوذهم ٠

قد يذهب البعض فى البحث عن نقطة ضعف فى هذه المحاضرة فيستغل حصر موضوعها فيما يتعلق بالمرأة رغم ان عنوانها لا يشير الى هذا ٠٠

ولكن ذلك لا يمنعنى من ان ادفع التهمة ، بان موضوع المرأة اعتبره اصل الداء وعلة التأخر الاجتماعى الذى اصبنا به ، فلو اننا تغلبنا على هذه العلة بالذات ، لسهل علينا التغلب على غيرها من العلل ، ولان المرأة فى نظرى ، وفى نظر المدركين الواعين المقدرين ، انما هى تمثل نصف كيان الامة الواحدة فلا يمكن لامة ما ان تتقدم فى ميدان ما الا اذا آمنت بما للمرأة من اثر وتأثير على تقدمها وفى قعودها وتأخرها ٠٠

واعود الى الموضوع مرة اخرى :

لو اننا اردنا ان نتتبع ما فى القران من حقوق منحها الاسلام للمرأة ، لما كفتنا هذه الصفحات فى سردها وتعدادها وحصرها ، ولذا نكتفى بهذا النزر اليسير الذى لا اشك انه دون الحد الادنى ، ولكننى لا اشك ايضا فى انه يقدم لنا صورة ولو باهتة ، نستبين من خطوطها ان التقاليد الواجب علينا اتباعها والمحافظة عليها ليست هى تلك التى يدعونا الى اتباعها وتقديسها اولئك النفر من الرجعيين المغفلين ٠٠٠

واذا سلمنا بان العائق الوحيد والحائل الاول الذى يعوقنا

ويحول دوننا ودون التقدم والمدنية والحضارة انما هو اولا وآخرا ، قعود المراة وانزواؤها عن الحياة العامة انزواء يكاد يكون كليا ، ثم نظرتنا اليها نتيجة لقعودها وتأخرها ، هذه النظرة التى لا ترينا فيها اكثر من مخلوق تافه لا قيمة له ولا وزن ، بل ولا حياة ولا وجود ٠ ٠

هذه النظرة المستمدة عمدا من التقاليد الزائفة والعادات الفاسدة التى مافتىء نفر من شبابنا الواعى الناضج يحاربها ويعمل على استئصالها واقتلاعها وتحطيمها والتغلب على نتائجها ، رغم انوف من يساعدها ويساندها ويسعى لنموها وازدهارها ، ويرمينا بالمروق تارة وبالاستهتار تارة اخرى وبالكفر والالحاد فى كثير من الاحايين ، **كلما سمعنا نعلن** سخطنا عليها وندعو للتخلص منها **واتباع عادات** جديدة تماشى روح العصر الحديث الذى نعيشه ٠

واذا سلمنا بكل هذه الاقوال ، فلزام علينا ان نعمل كلنا متحدين متكاتفين متآزرين على محو هذه العقلية السخيفة ، من رؤوس وادمغة الكثيرين من عامة الشعب الواقعين تحت رحمتها ٠

ولا اخالنى مغاليا ، اذا قلت ان الحياة وان مهمة المعلم الاولى فى الحياة ، تفرض عليه محاربة هذه الشرذمة التى بدأ عددها فى التناقص واثرها فى التقلص نتيجة لشىء من الوعى الاجتماعى الذى اخذ طريقه الى بعض العقول المدركة الواعية ٠

لا اخالنى مغاليا او متطرفا اذا قلت ان واجب المعلم الاجتماعى يفرض عليه ان يعمل جهده على ايقاف هذه الجراثيم الفتاكة واستبدال هذه العادات النخرة بغيرها احسن منها واقوم ٠ ٠

ان واجب المعلم الاجتماعى حيال تلامذته ، هو الحيلولة دون هذه العقول الناشئة ودون ان تتوغل فيها وتسيطر عليها هذه السفاسف والاكاذيب ، التى لا زال أقوام يتشبثون بها اكثر من تشبثهم بتعاليم دينهم ويتمسكون بها اكثر من تمسكهم باحكام دينهم ، ويحافظون عليها اكثر من محافظتهم على تعاليم دينهم ، وان واجب المعلم الواعى ان يتحايل ما وسعته الحيل ، وان يعمل ما سمح له العمل على غرس

بذور الاشتراكية الاسلامية والاجتماعية فى هذه العقول (الخام) التى وضعت امانة بين يديه يصوغ منها ما يشاء ويخلق منها ما يشاء ويجعل منها لبنات صالحة فى صرح المجتمع الجديد .

اننا نناشد المعلمين والمدرسين وكل المهتمين بشئون التربية والتعليم ،ان يضعوا نصب اعينهم هدفا اجتماعيا ساميا وغاية اشتراكية نبيلة ، وهم يؤدون رسالتهم نحو الجيل الجديد الجيل الصاعد ، ويقومون بواجبهم المقدس حيال الوطن والمجتمع ، فيغرسوا فى هذه العقول (الخام) التى هى بين ايديهم اشبه ما تكون بقطعة العجين فى مكنتهم ان يشكلوها باى شكل يشاءون ، خير العادات واقوم التقاليد وان يصنعوا من هذه العقول للمجتمع وللحياة وللشعب ، عقولا تدرك وتعى وتقدر وتميز وتخلق وتبدع ، عقولا اجتماعية تشعر وتحس وتقدر القيم الانسانية الحقة المستمدة من مقدرة الفرد وامكانياته الطبيعية والمكتسبة ، فلا يدعها لعبة بين يدى حفنة من طغمة جبابرة ذات عقول سخيفة ونوايا سيئة واهداف اسوأ وتفكير عقيم ، لا تسعى الا لمصلحتها الشخصية الانانية ، والا للمحافظة على مكانتها المزعومة ومركزها المتداعى المنهار ، والتى ترى كل جديد بدعة وكل بدعة حرام ، وترمى كل مجدد بالرعونة والميوعة والاستهتار .

فالمعلم مقدس فى نظر تلاميذه ، والمعلم رسول امام لاجيال ، قوله صدق وعمله صواب وكلامه حق وتفكيره سديد وعقله مدرك ،

وما دامت للمعلم كل هذه المميزات فى نظر طلابه وتلامذته ، تمنحه مكانة مرموقة متبعة، فعليه الا يترك هذه الامكانيات التى قل ان تتاح لغيره ، دون ان يستفيد منها فى خدمة الوطن والاجيال ،فيحاول ان يصقل العقول التى بين يديه ويهذب النفوس التى اودعت لديه امانة ، فينير مداركها ويظهرها على ما فى الحياة من قيم اشتراكية وما فى هذه الاشتراكية من معان انسانية ومن عادات حسنة لا تتفق وتلك التى يراها فى بيته وبين افراد اسرته ويتلقنها من اولياء امره .

وحرام على المعلم ان يستغل هذه المكانة فيما لا يعود بالنفع

على النشىء والمجتمع بالخير والتقدم والرقى ، اذا هو لم يقم وزنا لما بين يديه من عقول فيتركها لقمة سائغة تلتهمها احدى قوتين :

الرجعية الممقوتة ، او السفاسف الغربية السافلة ..

هذا فى نظرى هو (واجب المعلم الاجتماعى) ..

فبدون اتباع هذه الطريق ، ومن غير العمل من جانب المعلم ، لن تقوم لنا قائمة ، ولن يحصل مجتمعنا على مكانة بين المجتمعات ..

واخيرا ، وهو ما ليس باخر ، يجب ان ينحصر عمل المعلم ويكرس جهد المعلم فى خلق (المواطن الصالح) للمجتمع الافضل .

انتهى موضوع المحاضرة ..

بهذه الطرق الجديدة يمكننا ان نغرس الوعى فى نفوس الجيل الجديد ..

وبهذه الوسائل فى التربية يمكننا ان نوجد المواطن الصالح بين كلا الجنسين معا ..

وبهذه الاساليب الحديثة يمكننا ان نخدم المجتمع ونرقى به ونسير بافراده الى الامام ..

وبقبس من الاشتراكية الحقة يمكننا ان نخلق من المرأة عضوا فعالا خلاقا فى حياتنا اليومية ..

فعلينا لكى نصل الى هذه الغاية المثلى ان نكرس جهودنا ونحصر امكانياتنا كل امكانياتنا فى تغيير القيم وتبديل المقاييس وتحرير العايير ..

وعلى المرأة ان تؤمن معنا بما نؤمن به حتى تساعدنا على ان نخلق لها الحياة الحرة التى تريدها ونريدها نحن لها ..

ميادين الاصلاح

اذا انتهينا من سرد ما احاط بالمرأة الليبية بوجه عام ، وما يحيط بالمرأة الطرابلسية على وجه الخصوص من العوامل التى ساعدت ولا زالت تساعد على تأخرنا الاجتماعى ..

اذا انتهينا من ذلك ، وبينا الطرق الكفيلة التى يجب علينا اتباعها حتى نغير من اوضاعنا الاجتماعية بما يلائم الحياة العصرية التى نعمل على ايجادها وخلقها لتوصلنا الى خلق المجتمع الافضل الذى نسعى اليه ..

واذا قلنا ان اول ما يجب علينا عمله لتحقيق ذلك ، اعتبار المرأة جزءا من كيان المجتمعات ، وانها صنو الرجل لها ما له من حقوق وعليها ما عليه من واجبات ...

واذا اقررنا ان مجتمعنا سوف لن يخطو خطوة واحدة نحو التقدم والحضارة والتمدن التى ننشدها له ما لم نعترف بما للمرأة من اثر فى التقدم وما لها من تأثير مباشر او غير مباشر فى التأخر.

واذا قلنا وسلمنا باننا نحن وصيحاتنا وعملنا سوف لن نجدى المرأة كثير جدوة اذا لم توءمن هى نفسها بقدرتها على العمل وقدرتها على المشاركة وقدرتها على احتلال مكانها بين القافلة السائرة الذئوب .

اذا قلنا كل ذلك ، واعترفنا بانها عوامل كانت ولا تزال اسبابا مباشرة فى تأخرنا وقعودنا وعدم مسايرة مجتمعنا الليبى للمجتمعات الاخرى فى تقدمها وتمدنها ..

فان ذلك لا يعنى مطلقا حصر ميدان الاصلاح الاجتماعى فيما يتعلق ويخص المرأة او فى ميدان المرأة ليس غير ، بل ان هناك ميادين اخرى يجب الالتفات اليها والعمل فى مجالاتها لمحاولة

الاصلاح ، وما ميدان المرأة الا ميدانا من جملة ميادين ، وان كان فى رأس القائمة الطويلة العريضة ..

ومن بين هذه الميادين الكثيرة التى يجب ان ينصرف اليهـــا جهدنا ونكرس لها قوانا وامكانياتنا ، ثلاث ميادين مهمة ، ولااقول رئيسية لاننا نرى ان كل ميدان يعد رئيسيا لو نظر اليه من زاوية خاصة ، وان كل هذه الميادين مجتمعة تكون ما يسمى بحقـــل الاصلاح الاجتماعى ..

وهذه الميادين الرئيسية ، انما هى :
الجهل .. والفقـــر .. والمرض ..

الجهل والفقر والمرض اعداء البشرية الالداء منذ القدم ، وهى التى ما انفكت البشرية والانسانية تعمل منذ الازل على محاربتهـــا ومحوها والتغلب عليها بكل الطرق والوسائل الممكنة ..

وهذا النبى صلوات الله عليه يقول فى محاربة ومكافحة الجهل (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ..

والقرآن يقول فى تحبيب العلم الى الجماهير (وقل رب زدنـــى علمـــا) ..

ويقول عمر بن الخطاب فى محاربة الفقر (لواستقبلت من عمرى ما استدبرت لاخذت من مال الاغنياء للفقراء) ..

كما يقول سيد الخلق (لان يأخذ احدكم حبلا ويحتطب خيرله من ان يطلب الناس اعطوه او منعوه) ..

وكل الآراء الحديثة والنظريات الجديدة تحث وتسعى وتعمل على محاربة هذه الاعداء الثلاثة للانسانية جمعاء وتربط كل النظريات والاقوال كلا من هذه الافات ببعضها ، فحيث يكون الفقر فثمـــة الجهل والمرض ، وحيث الجهل فهناك الفقر .. ذلك لان كلا منهـــا المرض فلابد ان يكون هناك الجهل والفقر .. ذلك لان كلا منهـــا مرتبط بالاخرين ارتباطا وثيقا ، والفصل بينها انما هو لمجـــرد تسهيل البحث والدرس والنقاش ..

ولكن رغم كل هذا الارتباط المتماسك بين هذه العوامل فاننا هنا نبدأ بحثنا بالجهل .. اجل .. الجهل ، لاننا كما نعتقد ان الجهل هو الرأس حيث ان المقصود بالجهل هنا لم يكن جهل القراءة والكتابة فحسب، وانما هو الجهل بمعناه الواسع ، جهل الحياة كما يجب ان تكون الحياة وجهل الوجود الانساني كما يجب ان يكون الوجود الانساني .. واذن فنحن عندما ننادى بالتعليم ، وننادى بوجوب نشره وتيسيره لكل المواطنين ، لا نرمى الى تعليم مبادىء القراءة والكتابة فقط ، بل وتعليم الحياة كما يجب ان نحياها ، كما ارادتها لنا الطبيعة الانسانية ،وكذلك لانقصد تعليم نصف الامة دون نصفها الاخر ، وانما نقصد ان يكون تعليما عاما شاملا لكل فرد فى الامة ولكل جزء فى الكيان الانسانى الواحد ..

من هذا التعريف الموجز ، تتضح لنا المسئولية او الاهمية التى نعلقها على التعليم فى محاربة الجهل المتفشى بين افراد هذا المجتمع كباره وصغاره نسائه ورجاله على السواء ، ومن هذا ايضا نجد انفسنا مضطرين لان نبدأ دراستنا او محاولاتنا بالجهل وكيفية القضاء عليه ..

الجهل :

وعلاج الجهل كما نريده لا يمكن ان يكون سريعا عاجلا ، ذا اثر بين واضح فى مدى قليل من السنوات بل انه يتطلب الكثير من الجهد والكثير من الصبر والكثير من التضحيات والكثير من التعاون المشترك بين جميع الهيئات والافراد والحكومات ..

ذلك لانه فى حقيقته ، وكما تبين لنا هذه الحقيقة ، يستلزم تقسيمات ضرورية لا محيص عنها ولا غناء فى تركها دون الاهتمام بها والالتفات اليها ، حيث ان الجهل الذى نريد ان نستأصل شأفته ونقضى عليه ونقتلع جذوره ، لا ينحصر فى فئة من الشعب دون فئة ولا يتحكم فى حياة افراد دون افراد ، بل انه جاثم بكله وويلاته على جميع الطبقات والافراد دون استثناء ، ولذا وجب ان نقسمه الى اقسام ، ربما غير صحيحة كل الصحة وغير مصيبة كل الصواب ولكنها على كل حال تساعدنا على المهمة التى نريد ان نتعرض لها ولذلك نقسم معالجة الجهل الى ثلاثة اقسام او ثلاثة فروع ، هى :

- ١ - جهل الرجل الاب
- ٢ - جهل المرأة الام
- ٣ - جهل الابناء من ذكور واناث

فكل واحد من هؤلاء يتطلب او يستلزم طرقا مخالفة للطرق الاخرى ، وعلاجا مغايرا لما تستلزمه الثانية ، حيث ان لفرق السن وفرق العقل وفرق التفكير ، آثارا مباشرة واضحة فيما نحن بصدده لا يمكننا اغفالها بحال ولكى ندرك او نقرب معنى هذا التقسيم من بعض الافهام ، يتحتم علينا ان نعيد شيئا من القول ، فيما يتعلق بتكوين الاسرة الواحدة ، التى هى الصورة المصغرة للمجتمع ، فالاسرة تتكون فى ذاتها من عدة افراد مختلفين من حيث الميول والعقول والمدارك ، وهذه الوحدات المصغرة (الاب، الام، والابن،) التى تتكون منها الاسرة الواحدة تكون فى ذاتها (وحدة) طبيعية ممتزجة او يجب ان تكون ممتزجة لا يمكن انفصالها او فصلها لاية اسباب مهما كانت ..

ونحن عندما نريد ان نعالج هذه (الوحدة) لا نستطيع ان نعالجها (ككل) واحد غير مجزأ ، وان كان من الضرورى ان يكون علاجنا شاملا لهذا (الكل) غير مقتصر على (جزء) ، اذ اننا مقتنعون ان العلاج الجزئى لا يمكن ان يأتى بفائدة ما ، بل ربما يكون مدعة للتفكك والانحلال نظرا لما يوجده من تباعد وتنافر بين اجزاء (الكل) الواحد ...

ونعود فنقول ، ممن اسلفنا تتكون الاسرة الواحدة ،التى تكون هى جزءا صغيرا او كبيرا من الاسرة الكبيرة (المجتمع) وبقدر ما تتمع هذه (الوحدة) من ثقافة وعلم واطلاع ، او بقدر ما يحصل كل فردفى الاسرة الواحدة من مقومات الحياة الانسانية وبقدر مايصل اليه الفرد الواحد من تقدم ورقى علمى وثقافى وادبى ، يحصل المجتمع كله ،اذ الاسرة صورة مصغرة للجميع ووضعها وضعا مصغرا لوضع المجتمع فالواجب والحالة هذه يفرض على كل فرد فى الاسرة ان يعرف ما له من حقوق وما عليهمن واجبات لا نحو المجتمع الذى يعيش فيهفحسب بل نحو افراد الاسرة التىيعاشرها ليل نهار، قبل ان يعاشر المجتمع والتى يحتك بها قبل ان يحتك بالمجتمع ، فعليه ان يعرف حقوقه ويطالب بها ، كما عليه ان يعرف الواجبات المطلوبة منه فيؤديها ،

وبذلك يمكن للاسرة ان تحافظ على كيانها وبنائها ومقوماتها ،ومن ثم يحصل على عدم تداعى البناء الاجتماعى وعدم انهياره ..

فاذا فرض وكان احد هؤلاء الذين تتكون منهم الاسرة جاهلا بما اناطته به طبيعة كونه جزءا فى الاسرة الصغيرة غير عالم ولاملم بما هو مطلوب منه حيال هذه الوحدة ، لاشك ان ذلك يكون من الاسباب التى تحول دونه ودون القيام بما يسند اليه من اعمال ، وما يطلب منه من واجبات ، وبالتالى يكون سببا فى تفسخ الرابطة التى تربط بين افراد الاسرة الواحدة ، وتحلل القيم الاسروية التى تجمع بينهم ، فلم يعد هناك من يقيم وزنا لقداسة تلك الروابط ، ولا من يحس بقدسيه تلك القيم ، فتضطرب تبعا لذلك الحياة العائلية رغم مشيئة الافراد ، ويختل توازنها ، فلا تستقيم امورها ولا تسير سيرها الطبيعى المطلوب ..

لذلك ولسعادة الاسرة ، التى هى الاصل فى سعادة المجتمع ، ولرقى الاسرة التى هى طريق الى رقى المجتمع وجب حتما ان يكون كل فرد فى الاسرة الواحدة ، متعلما دارسا مطلعا عارفا لكل ما هو مطلوب منه ، ولكل ما له صلة وثيقة او غير وثيقة ، مباشرة او غير مباشرة بسعادة الاسرة التى يكون ضلعا من ضلوعها العديدة ..

ومن هذا الفهم للاسرة ، تحتم علينا ونحن بصدد معالجة مشكلة الجهل المتفشى بين افراد الاسرة الواحدة ،ان نعالج رب الاسرة وحاميها ومرشدها وان نعلمه تعليما يساعده على وضع كل فرد فى الاسرة التى يهيمن على شئونها ويصرف امورها فى الموضع الذى يستحقه ويتمكن من اداء رسالته فيه ..

كما يحتم علينا تعليم المراة التى تمثل مدير شئون الاسرة تعليما سليما يجعلها قادرة على فهم الاوضاع وحل المشاكل والتغلب على كل ما يعترض طريقها من عقاب ، ويتمشى مع ما وضعت الطبيعة الانسانية على كاهلها من اعباء جسيمة واحمال ثقال ..

وثمة شىء آخر تجب ملاحظته والاهتمام به ، هو انه بقدر ما على الاب من مسئوليات فى التربية ، كذلك على الام مثلها، ان لم تكن مسئوليتها اعظم واثقل من مسئولية الاب ، نظرا لمعاشرتها الابناء

طيلة ايام حياتهم الاولى وطفولتهم المبكرة ، التى تكون فيها عقولهم قابلة للصقل وطباعهم متهيئة للتهذيب ، بل انهما اى (العقل والطبع) يكونان واقعين تحت التأثير التربوى ، اكثر من اى شيء عداه ...

اذن : يجب الا نعالج الرجل ونحاول تعليمه وتثقيفه ، دون ان نحاول مثل ذلك بل اضعافه مع الام حيث طبيعة الحياة ومقتضيات التربية القت على عاتقها من المسئوليات اكثر مما القت على كاهل الاب وحيث المنطق يجبرنا ان نعالج كليهما فى وقت واحد وبقدر سواء وان اختلفت الطرق وتباينت الوسائل ، دون تمييز ومن غير تحيز تمليه الغريزة الكامنة فى نفوسنا فى حب السيطرة والتفوق.

يقول علماء النفس والتربية ، ان الصور التى تطبع فى مخيلة الطفل وهو فى سن ما بين (٢ـ٥) تبقى دون ان تزول طيلة حياته، وكذلك المعاملة التى يعامل بها الطفل فى هذه الفترة اللاشعورية من حياته ، قل ان تفارقه او تتخلى عنه فى كبره وهذه المعاملة العاطفية من : حب وكراهية ، وعطف وحنان ومودة وبغض هى التى تسيطر على عقله وتتحكم فى تصرفاته وتسيره فى قابل سنوات عمره ..

هذا القول يجبرنا على ان نعمل الدقة كل الدقة وعلى ان نكون حذرين منتبهين فى تربية ابنائنا فى هذه الفترة المرهفة من فترات حياتهم ، فاذا كانت ضروريات الحياة والمعيشة تجبر الاب على مغادرة البيت صباحا وقد لا يعود اليه الا مساء ، وبعد ان يستغرق الاطفال فى نومهم ، فان الاب والحالة هذه تكاد تنتفى مسئوليته التربوية حيث لم يعد فى امكانه الاشراف المطلق المباشر ، والتوجيه القويم المتصل اتصالا وثيقا بالاطفال ، ومن هذا نجد ان مسئولية تكوين الطفل فى هذه المرحلة تعود اكثر ما تعود على الام وحدها ، وكذلك فان الصورة التى تنطبع فى ذهنه اثناءها غالبا ما تكون صورة لاخلاق امه ، ويتأثر عقله بعقلية امه ، اكثر مما يتأثر بعقلية ابيه ..

وينتقل الطفل بعد هذه المرحلة الى مرحلة اخرى من (٥ ـ ٧) فيبدأ فى التأثر بشخصية ابيه ، وذلك راجع الى ميله فى هذه الفترة من حياته الى تقليد والده ، فيتميز بميزات ابيه وينطبع بالكثير من طباعه ان حسنة او قبيحة ، فاذا كان الرجل ذا تربية صحيحة وشخصية قوية متينة ، لين الجانب سهل الطباع يدخل البيت

مبتسما فى وجه زوجته وابنائه ، يمزح مع هذا ويلعب مع ذاك فى حدود الادب والوقار ، ويلاطف الجميع فى وقار وبكياسة وعن دراية واطلاع ، فان هذه الخصال لابد ان يرثها الابن ويتأثر بها وتنطبع فى مخيلته وذهنه ويحاول عندما يصل الى سن الرشد والادراك ان يكون صورة طبق الاصل من ابيه بخصاله تلك واخلاقه التى ورثها عنه وتأثر بها ، واحبها وقلدها وهو صغير غير مدرك ولا مميز ..

اما اذا كان الاب عكس كل ذلك ، يدخل المنزل مقطب الجبين مسود الوجه معربدا مع زوجه يضرب هذا من الابناء الابرياء، ويسب ذلك لسبب بسيط ولغير سبب ، يكشر فى وجه الجميع بداع ومن غير داع ، يملأ البيت صياحا وعربدة وسبا وشتما دون اى مبرر، او قد يعود الى البيت وهو يترنح من السكر لا يعى ما يقول ولا يفقه ما ينطق ، فمما لا يختلف فيه اثنان ، ان هذه الصفات لابد ان تنتطبع فى ذهن الطفل ، ومن هنا ينشأ الطفل شرسا شريرا معربدا بعيدا عن كل معنى من معانى الانسانية والرجولة الكاملتين

فتربية الابناء من الجيل القادم ، او قل اخلاق هذا الجيل القادم ، لا تقع على عاتقه هو ان خيرا او شرا بقدر ما تقع على والديه كليهما او احدهما ، حيث ان الانسان اى انسان قل ان يتمكن من التخلص من طباع طبع عليها منذ الحداثة والصغر ، ولان التربية لا تبدأ مطلقا كما يظن البعض فى سن متأخرة ، بل انها تبدأ من اول يوم يرى فيه الطفل الضوء ويأتى فيه الى هذا العالم وهو غير مسلح سوى بسلاح الوراثة الصرفة التى قال بعضهم انه فى الامكان التغلب عليها وتكييفها ولو تكييفا جزئيا ..

اذكر اننى قرات ذات مرة هذه الحكمة ..

جاءت فتاة متزوجة تشكو فتاها (زوجها) الى طبيب نفسانى فقالت : لقد عجزت عن تربية زوجى ، فسألها الطبيب : كم عمر زوجك الان ؟ اجابت : ثلاثة وعشرين سنة ، وعلى الفور قال الطبيب لقد فاتك القطار ،كان يجب ان تبدا تربية زوجك قبل ثلاثة وعشرين سنة ، اى منذ الولادة ..

ومعنى هذا من الناحية التى تهمنا ، ان الزوج الصالح لا تخلقه زوجته ، بل ان والديه هما اللذان يخلقانه اذ انهما يشرفان

على تربيته وتنشئته منذ ولادته .. فاذا كان احد الوالدين او كليهما يجهل اصول التربية الصحيحة ولا يعرف منها الا انها ضرب وشتم وزجر ونهر ، فكيف يمكنه ان يقدم للمجتمع جيلا صالحا يمكن ان نعتمد عليه فى بناء صرح المجتمع الافضل الذى نسعى اليه ؟..

فلكى ننشىء جيلا مثاليا بكل ما تحمل كلمة المثالية من معنى واسع عريض علينا ان نهتم اول ما نهتم بتربية الوالدين الاب والام وذلك بان نسهل لهما سبل التعلم والتثقف والاطلاع ، حتى نضمن وجود ذلك الجيل المثالى الذى ننشده ، ليملأمجتمعنا الافضل ..

هذا امر بديهى بحيث لا يمكننا ان نختلف فيه او حوله مطلقا ، ولكن المهم هنا ، والشىء الذى يجب ان نحصر فيه تفكيرنا ونركز له عقولنا ، هو كيف نتمكن من تعليم الاباء والامهات الحاليين وقد فاتهم قطار التعليم وسبقتهم قافلة التعلم ؟ ... كيف يمكننا ان نخلق من هؤلاء الذين جلهم بل كلهم اميون لا يفقهون من القراءة والكتابة اكثر مما تفقه الانعام ؟؟ .. وفوق هذا اننا لا نطلب كما قلنا فى صدر هذا البحث مجرد تعليم القراءة والكتابة ولكننا نطالب بتعلم الحياة ، فكيف نتمكن من غرس معنى الحياة كما شاءت لنا الطبيعة البشرية ان نحياها فى نفوس اناس جهلة لا يعرفون حتى توقيع اسمائهم على الورق ؟؟..

ان اسئلة مثل هذه وكثيرة غيرها ، سريعا ما تبرز امامنا عندما نفكر فى نشر التعليم فى ربوع مجتمعنا ، ولا يمكننا بحال ن نغض عنها النظر ، لانها فى حقيقتها الركيزة الاولى فى تشييد البناء الجديد، وهذا ما جعلنى انا شخصيا افكر وافكر فاصل آخر الامر الى القول بان الاجابة على هذه الاسئلة ونظائرها ، تنحصر فى :

١ ــ ان نعلمهم ونعلمهن اولا مبادىء القراءة والكتابة فى دورات مسائية نطلق عليها ما نشاء من الاسماء ، ونتعاون كلنا افرادا وهيئات وحكومة وشعبا على انجاحها والسير بها قدما نحو تحقيق الغاية منها..

فمن رأيى ن ذلك لا يساعدنا على نشر مبادىء القراءة والكتابة فحسب ، بل انه يساعدنا كذلك على نشر الوعى الاجتماعى والحياتى بين سائر الافراد والطبقات ، ومن رأيى ايضا ن تعليم هذه المبادىء

لكلا الجنسين بصور اجبارية بالنسبة للمعـــلم والمتعلم امر ضرورى لضمان وجود وخلق ونشر الوعى بين الافراد ، وايجاد عقول مدركة مميزة عاقلةتعرف ما لها من حقوق وما عليها من واجبات حيال انفسها وحيال المجتمع الذى تعيش ضمن افراده ·· وبوجود هذه الدورات لا شك نضمن او نتأكد من ضمان وجود هذه العقول المدركة الواعية التى نبحث عنها الان بصباح (ديوجين) كما يعبرون ··

وهل نكتفى بتعليم القراءة والكتابة ، ونقول اننـا سعينا الى نشر الثقافة بين الناس ؟؟··

كلا ·· لان الحياة فى واقعها وحقيقتها ليست قراءة وكتابـــة فحسب، ولكنها وعىواحساس وعقلوتفكير وادراكوعمل، وانالحياة والتفاعل مع واقعها ··
لايمكن ان يفهمها علىحقيقة وجودها فردلايعرف الا القراءةوالكتابةاذ هما فى حقيقتهما وسيلة الى غاية أعظم منهما بكثير ··

وبديهى ان مثل هذه الدورات التى اشرنا اليها لا تأتى بالفائدة المرجوة منها ، ولا تحقق الامل فى وجودها وتكوينها ما لم يوجد شىء اخر يساندها ويعاضدها ويسير معها جنبا الى جنب ، ذلك هو نشر الوعى عن طريق الندوات والمحاضرات والمناقشات ، ومن هذا القـول نصل الى النقطة الثانية :

٢ القاء محاضرات وعقد ندوات واجراء مناقشات باللغة العامية (رغم كفرى بها) يشترك فيها كافة افراد المجتمع من رجال ونسـاء تتعلق وتشرح وتبين الحياة اليومية التى يعيشها الافراد كل الافراد ، سواء كان ذلك فيما يخص الحياة المنزلية او الحياة فى الشـــارع او مخاطبة الناس والتحدث معهم ··

فمما لا يخفى على احد ، ان لمثل هذه المحاضرات والندوات اثرا مباشرا فى نشر الوعى والثقافة بين عامة الناس الشىء الذى يساعـــد بكل تأكيد على ايجاد المواطن الصالح الواعى المدرك ··

فكثير وكثير جد من الناس الراغبين فى تثقيف انفسهم لاتسمح لهم ظروف حياتهم اليومية بالانتظام فى دراسةما مركزة، ولكن يكون

فى استطاعتهم ان يلقنوا افكارا ونظريات واراء جديدة بهذه الطريقة السهلة الميسورة المتوفرة امام الجميع ، ثم يجب علينا الا ننسى انه متى جند شباب مثقف واع للقيام بهذه المهمة الاجتماعية ، فاننا نكون قد ادينا واجبا اجتماعيا دون ان نشعر الغير باننا نفرض عليه آراءنا اونلزمه بافكارنا، فنحن ننشر هذه الافكار فى المجتمعات والاجتماعات والسهرات بطرق غير مباشرة لا يشعر معها الموحى اليه بانه مقصود بوعى ما يقال ، فيتقبل هذه الاراء والافكار دون زوبعة ومن غير اى اثر قد يعوق انتشارها ..

قلنا اننا فى حاجة ماسة الى تعليم الكبار من رجال ونساء للقضاء على الجهل اولا وتيسير سبل الحياة ثانيا ،ولايجاد جيل جديد متعلم ثالثا اذ تعليم الكبار وتثقيفهم ونشر الوعى الثقافى بينهم مما يساعدنا على ارساء قواعد التربية الصحيحة القويمة التى يجب ان نتبعها فى تربية ابنائنا حتى نوجد جيلا معاصرا واعيا لكل ظروف الحياة متفاعلا مع مقتضياتها واحوالها ، فبذلك فقط نتمكن من خلق هذا الجيل الذى نريده ونريد تهيئته للحياة الجديدة التى نحن سائرون وصائرون اليها .. حياة التقدم والمدنية والحضارة التى ننشدها لمجتمعنا الافضل والتى لا يمكننا بحال ان نوجدها ونخلقها الا اذا نشرنا العلم والثقافة بين سائر افراد الناس وعامتها ،فالعلم ،والتثقف وحدهما مايمكناننا من تحقيق حضارة مركزه على اسس متينة قويمة قوية ..

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، فان العلم او التعلم وسيلة بدوره فى القضاء على الفقر والعوز والحاجة فان اى مجتمع بلغ درجة مرموقة من الوعى الثقافى ، امكنه بعد ذلك ان يقضى بسهولة ويسر على الفقر ..

وهل سمعنا بمجتمع انتشر فيه الوعى الثقافى ويسرت سبل المعرفة والاطلاع بين سائر افراده لا زال يعيش عيشة الضنك ؟؟

وهل انتشر الفقر والعوز فى مجتمع متعلم مثقف انتشاره فى مجتمع جاهل امى ؟.

فالعلم باتفاق غالبية الاراء ، وسيلة اولية للقضاء على الفقر والعوز ، حيث انه يساعد صاحبه فى الحصول على عمل يكفيه مؤونة

الحياة ويسد حاجتـــه ويحول دونـــــه ودون التسول او التشرد والضياع ..

والعلم كذلك ، وسيلة من اضمن الوسائل لانتشار الاخـــلاق الفاضلة ، اذ الجهل والانحطاط الخـــلقى توأمان ورفيقان متلازمان وكلما انتشر العلم تقلص ظلهما ، لان المتعلم ، وان كان غير معصوم ، قل ان تزل قدمه او يقع فى محذور ، او تتدهور اخلاقـــه او تسوء سيرته ومعاملته للغير، حيث ان علمه اتاح له معرفة ما له وما عليه فلا يحاول التعدى على حقوق الغير ،ولان العلم يساعد صاحبه على ان يعرف ما يفرضه عليه هواجب كزنه زوجا مسؤولا عن زوجة واسرة وبيت فلا ينقاد لهوى النفس ولا يقع تحت تأثير الغرائز المجردة الا فى قليل من الحالات النادرة ..

فلو كنا متعلمين كلنا ، ولو كان المتعلمون منا عاملين مفيدين بعلمهم وخبرتهم ، لما ابتلينا بما ابتلينا به من تأخر وقعود وتفكك وانهيار ..

ولو صرف قليل من المجهود الذى يبذلـــه بعضنا فيما يسمى (السياسة) (×) فى التعليم ونشر المعرفة بين العامة من ابناء الشعب، وفى محاربة الجهل ومكافحة الامية ، لما كنا اليوم نقاسى هذا الويل والعذاب والحرمان التى لم يكن لها من سبب سوى انتشار الجهـــل وسوء التربية ..

وعليه فاذا كنا نريد حقا رفـــع مستوى حياتنا الاجتماعيـــة واليومية ، اذا كان فعلا نريد محاربة اعداء البشرية الثلاثة ، وجب علينا ان نسعى اول ما نسعى الى القضاء على الجهل بين سائر طبقات الشعب ، الرجال والنساء الكبار والصغار ..

يجب ان نضحى بقليل من الوقت الذى نصرفه هباء فى اركان المقاهى والنوادى ولعب (الكارطة) فى نشر العلم ونشر الثقافة ونشر المعرفة التى هى طريقنا الى النجاح ..

(×) كان ذلك عند تسويـــد هذا الكتاب ولكن الان انتفى هذا الوصف بعد ان توقف كل نشاط سياسى مـــن جانب الشعب

ما ضرنا لو ضحى كل متعلم منا ومتعلمة بنصف ساعة من وقته ووقتها الضائع دون ان نفكر فى البؤساء والمشردين والمعوزين من ابناء وطننا ، فى اولئك الذين يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، ويربطون على بطونهم الحجرمن شدة الفاقة والحاجة ...

فى اولئك الذين يساقون قهرا ورغم ارادتهم ورغم مشيئتهم الى الفساد الاجتماعى ، ويدفعون قسرا الى الرذيلة وارتكاب المحرمات من الامور ...

ما ضرنا لو فكرنا فى اولئك ، وفى مصيرهم المشئوم اولئك المساكين من المواطنين الذين لم يكن لهم اى ذنب فيما يقاسونه سوى انهم اوجدوا فى بيئة فقيرة يسيطر على مستقبلها الفقر والجهل ويرعب افرادها المرض ، اولئك الذين كانت لهم آمال كآمالنا واحلام كاحلامنا ولكن الايام قضت على كل احلامهم وآمالهم وامانيهم ، اولئك الذين يشعرون كما نشعر ويحسون كما نحس ويتألمون كما نتألم..

ما ضرنا لوفكرنا فى كل اولئك وضحينا باوقات فراغنا الضائعة هباء وخسارة ، فى اعطائهم بعض الدروس وتلقينهم بعض المعلومات ، او فى القاء محاضرة تفيدهم وتبصرهم بالحياة وتفتح امامهم مجالاتها ، او فى اسداء نصيحة تساعدهم على تحمل مشاق الوجود ؟..

لو اننا فكرنا فى هذا ، ولو اننا عقدنا العزم على مكافحة الجهل بمثل هذه الطرق وغيرها من الطرق الايجابية ، لما رأينا اليوم هذا الجيش العرمرم من الجياع الحفاة العراة الذين يملأون الازقة والحوارى ، فينشرون البؤس والفاقة والاشمئزاز فى ربوع هذا المجتمع الناشىء ..

اقول هذا وانا اعلم علم اليقين ان مثل هذه الاعمال لا يمكن ان يكتب لها التوفيق او يرافقها النجح ما دامت صادرة من طرف واحد ومن جانب واحد ، من طرف الشعب وحده .. بل لا بد ان تكون صادرة من الشعب والحكومة والافراد والهيئات .. لابد ان تتعاون كل القوى الحكومية والشعبية على تحقيقها ، لابد من التعاون والتساند والتعاضد بين الحكومة والشعب والرجال والنساء المتعلمين والغير المتعلمين، والا بقيت كلها امنيات لا ترى النور ولا تبرز لعالم الحقيقة والواقع ...

ان واجب الافراد يجب الا يقتصر وينحصر في التأوهات والتمنيات والتأسفات، او كتابة المواضيع على الصحف والمجلات ، بل لا بد ان ان يرافق العمل القول ويسير واياه جنبا الى جنب ..

فواجب الحكومة لا يتقصر على العلاج السطحي ، بل عليها ان تثبت وجودها وان تعالج المسالة علاجا جذريا نافعا ذا فائدة محققة ... عليها ان تشجع الهيئات والمنظمات الشعبية اجتماعية كانت او ثقافية او ادبية او فنية او رياضية ، عليها ان تساعد كل اولئك على تحقيق رسالتهم الانسانية التي اخذوها على عاتقهم بطيب ارادتهم وبدافع من احساساتهم الانسانية للمشاركة في معالجة اوضاعنا الاجتماعية المنهارة المتداعية ،وعليها كذلك الا تكتفي بتشجيع الموجود من هذه المنظمات والهيئات بل ان تشجيع على فتح غيرها نسائية كانت او رجالية ... فالحكومة الشعبية هي التي تشعر بآلام الشعب وتحس باوجاع الشعب وتتعاون على رفع مستوى حياته ومعيشته ، وليست هي تلك التي تنظر الى المسالة والى الاوضاع الشعبية المنهارة نظرة جانبية وكأن الموضوع لا يهمها في كثير او قليل ..

ان الحكومة الشعبية هي التي تعرف ان الشعب وحده هو الذي يستطيع ان يتحكم في مصيرها وهو وحده الذي في استطاعته ان يتركها تنعم بكراسيها ومقاعدها ،او يطردها بعيدا وبعيدا جدا عن هذه الكراسي والمقاعد ليبحث عن أناس آخرين يستطيعون حفظ توازنهم فوقها ...

ان الحكومة الشعبية هي التي تحس بالامي والامك ، وآلام كل فرد من افراد الشعب ، وليست هي تلك التي تغض النظر عن الاوضاع ولا يهمها شيء كما يهمها المحافظة على الكراسي ، التي تكاد ترفض الجالسين عليها لانهم لا يستطيعون ملاها ولا يستطيعون التحكم فيها اذا هبت عليها عاصفة فاطاحت بها وبمن فوقها بعيدا عن الشعب ...

فاذا لم تشعر الحكومة بحاجة الشعب ، واذا لم تحس الحكومة بالام الشعب ، واذا لم تقدر الحكومة اوجاع الشعب ، فمن الذي يقدر ويحس ويشعر ؟ ...

واذن فعلى الحكومة الرشيدة الشعبية التى تتمتع بثقة الشعب، ان تفكر فى كل ذلك وان تعمل على كل ذلك ، لان من حق الشعب على الحكومة ان تمد له يد العون والمساعدة ، فى كل ما من شأنه ان يرفع مستواه سواء كانت هذه المعونة مادية او ادبية او معنوية ، ومن حقه عليها ان تشجعه وتسانده وتشدازره على القيام بواجبه الانسانى كاملا غير منقوص ، لا ان تحد من نشاطه وتحول دونه ودون القيام بهذا الواجب ...

هذا بعض من واجب الحكومة ، ولست اعنى ان شيئا من ذلك التشجيع لم يحدث ابدا ، ولكننى هنا أطلب المزيد حتى نصل كلنا بسفينة الوطن الى شاطىء السلام والامان ...

الفقـــــر ..

اذا امعنا النظر فى اوضاعنا الاجتماعية لدرس حالة الفقر دراسة قريبة من الواقع ، فان وضعا مؤلما سيواجهنا ويصدمنا ، حيث نجد ما لا يقل عن (٧٠ ٠/٠) من مجموع افراد هذا المجتمع يعيشون عيشة **الكفاف ، ان لم نقل اقل من الكفاف ، عيشة كلها ضنك وعوز وفقر** مذقع ، لا يتجاوز متوسط دخل الاسرة الواحدة من تلكم الاسر على أحسن تقدير (٩) جنيهات فى الشهر الواحد، وهى الاسر التى تمثل الاكثرية الساحقة من كياننا الاجتماعى .. فاذا فرض ان عدد افراد الاسرة الواحدة من هذه الاسر لا يقل او لا يزيد على (٦) افراد فبعملية بسيطة نجد ان ما يخص الفرد الواحد فى اليوم الواحد لا يزيد على (٥) قروش ..

ومن هذا يتبين لنا مقدار احتياج الفرد فى هـذا المجتمع الى المعونة المادية حتى يتمكن من العيش ولا أقول الحياة، عيشة تحفظ عليه قليلا من ماء الوجه وتسد رمقه وتساعده على الشعور بالوجود الذى يعيش ضمن افراده ، وحتى نتمكن بالتالى من النهوض نهضة شاملة بمستوى حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ..

ونسأل كيف يمكننا معالجة هذه الحالة المستعصية ، وكيف نستطيع ان نتغلب على الفقر ونحارب الفاقة والعـوز المنتشرين فى ربوع هذا المجتمع ونحد من حدة فتكهما بالافراد والجماعات ؟.

وارى ، للقضاء على الفقر ، لابد من التكاتف والتآزر والاتحاد اولا ، ثم باتباع الوسيلتين التاليتين :

١ ـ الاكثار من الملاجىء لايواء اكبرعدد ممكن من المعدمين الذين عضهم الفقر بانيابه ،وتحسين هذه الملاجى وتنسيقها على احدث النظم المتبعة فى كل انحاء العالم ، وذلك بمساهمة الاغنياء مساهمة فعالة ثم اسناد الاشراف على هذه المؤسسات الى اشخاص اكفاء من حيث المقدرة والخبرة والثقافة ، ومن حيث النزاهة والترفع والتورع عن السفـــاســف .

٢ ـ ايجاد اعمال وخلق مشاريع واتخاذ طرق التشغيل الجماعى وسيلة لايقاف هذا السيل المنهمر يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعـة من الذين يبحثون عن اعمال فلا يجدون لها سبيلا ..

اذا قلنا هذان هما الحلان العقليان الواقعيان اللذان يساعداننا فى القضاء على الفقر والعوز والحاجة فالواجب يحتم علينا الا نسلم بالامور دون مناقشتها ، فلنناقش اذن كلا من هذين الحلين لنتبـين مقدار امكانية تنفيذه . وفائدته ..

وقبل ان نبدا فى هذه المهمة اريد ان اشير الى انه ينبغـــى الا يفهم من قولنا (الاكثار من الملاجىء) كحل معناه تأييدنا المطلق لوجود اولئك النفر الذين يعتمدون على الهبات والصدقات حيث اننا لسنا من الذين يؤمنون بجدية فائدة مثل هذه السبل التخذيرية ، وذلك لاننى انا شخصيا مسلم قبل كل شىء والمسلم يفرض عليه دينه الا يعتمد على غير نفسه فى معيشته وحياته ، فاسمع النبى عليه الصلاة والسلام ، اذ يقول فى الحث على العمل وعدم الاعتماد على غير النفس فى البحث عن سبل العيش والحياة الحرة الكريمة : (لان ياخذ احدكم حبلا فيحتطب على ظهره فيبيعه ، خير له من ان يسأل الناس اعطـوه او منعوه) ويقول ايضا فى هذا المعنى الانسانى :(اليد العليا خيـر من اليد السفلى) . .

فاذا كان هذا قول النبى عليه صلوات الله، فكيف يصح لنـا بعد ذلك ان ننادى بالاكثار من الملاجىء كوسيلة للقضاء على الفقـــر فى حين اننا ندعو الى خلق مجتمع افضل ؟.. واى فضل يكـــون لمجتمع غالبية سكانه وافراده يعيشون فى الملاجىء والمآوى؟..

واذن فاننا حين نقترح مثل هذا الاقتراح ، انما نقصد بـــه معالجة الامر الواقع من استفحال حالة الفقر المنتشرة والتى لا شك يصعب علاجها اول الامر اذا لم توجد مثل هذه المؤسسات لايواء اكبر عدد ممكن من العجزة والمشوهين والغير قادرين على ايجاد عمـــل يقتاتون منه ..

فالاكثار من الملاجىء فى مثل هذه الحالة هو الحل الوحيد السريع لايواء اكبر عدد ممكن من اولئك الذين لفظتهم الحيا ةوضاقت بهم سبل العيش الحلال ، لعجزهم عن مواصلة الكفاح سواء لكبر سنهم او لاصابتهم ببعض العاهات التى لم تمكنم حتـــى مـــن (الاحتطاب)

انها الطريقة الوحيدة التى تساعد على ايواء اكبر عدد مـــن اولئك الذين يمثلون الفقر والفاقة والحاجة والعوز ويظهـــرون المجتمع بمظهر المجتمع المتأخر اقتصاديا، وهم اولئك النفر الذيـــن ينشرون البؤس والكآبة فى ربوع المجتمع من عجز بين رجال ونساء واطفال لا ذنب لهم الا انهم وجدوا فـــى بيئة فقيرة معدمـــة ، ولا ذنب لهم سوى انهم كانوا دون اختيار منهم ، ابناء لآباء عضهم الفقر وقتلتهم القلة ..

وعلى هذا الاساس يجب ان نكثر من هذه الملاجىء فـــى كل انحاء البلاد ، ويجب ان تتعاون الحكومة والشعب والهيئات والافراد على شن حملات جمع المشردين ، وان تكون تلك الحملات قويـــة عنيفة لا هوادة فيها ولا لين، وان تكون معاملة من نجمعهم من اولئك المشردين من الشوارع والازقة والحارات داخل الملاجىء التى نضعهم خلف جدرانها ، معاملة تتفق وكونهم مثلنا لهم شعور البشر ولهـــم احساس الانسانية ، والا ندع واحدا من اولئك يخرج منها الا بعد ان نعلمه حرفة يعيش منها اذا كان قادرا على الاحتراف تحفظه مـــن التشرد والتسكع وملء الشوارع من جديد بؤسا وفاقة وحاجة .. وعلينا كذلك الا ندع ولى امر واحد من اولئك يتصرف فيه وفى حياته ومستقبله بعد ان نكون قد هيأناه لحياة حرة كريمة .

واما ان نجمع هؤلاء الناس من الشوارع ومن تحت (الاقواس) لنضعهم فى العراء يفترشون الارض ويلتحفون السماء كما كانـــوا

قبل ان نجمعهم، ونعاملهم معاملة خيرمنها معاملتنا للكلاب والحيوانات وكل ما نقدمه لهم من ضروريات الحياة لقمة مسمومة ، وكل مـــا نساعدهم به على العيش اننا نضعهم خلف جدران عالية ووراء اسوار هى اشبه ما تكون باسوار السجون والمعتقلات .. ان عملا كهذا لا نعتقد ان هناك من يرضاه عقلهووجدانه لفئة من بنىجنسه ومواطنيه

فالملاجىء لم تكن فى يوم من الايام سجـــونا او معسكرات ، يحس نزيلها بوطأة الاستعباد ، بعد ان كان يتمتع بالحرية والنـور والهواء ،شأنه شأن غيره من البشر ، بل ان المـــلاجىء فى حقيقـة واقعها ، مأوى يأوى اليها القعيد والعاجز ، فلا يشعـــر بان هناك فرقا بين حياتهفيها وراء جدرانها ، وحياته لو فرض وكان له بيت واولاد ..

فلا يجوز ابدا الا ان نعامل نزلاء ملاجينا بالعطف والمـــودة والحب والحنان ، حتى نخفف شيئا من شعورهم بوطأة بؤسهـــم وعذابهم بعد ان نكبهم الدهر وقلب لهم الزمن ظهر المجن كما يعبرون

ونحن حين نقول هذا لا نقوله بدافع العاطفة فحسب ، بـــل بدافع من الوطنية التى تفرض علينا الا نفرق بين مواطن ومواطـــن الا بقدر ما يقدمه كل منهما للوطن من اعمال ، وبذلك فقط يمكننـا ان نكون ملاجىء على احدث النظم العالمية ، وفى شىء من التنسيـــق وشىء من الترتيب ، فلا تشعر النزيل سواء بهيكـــلها العام او بالمعاملة فيها بانه داخل ملجأ ...

وكما يجب ان نهتم بالمظهر العام ، كذلك يجب ان نهتـــم بالنظام الداخلى ايضا، فيجب ان يكون فى الملاجىء فضلا عنالمدارس الابتدائية فروع للوعظ والارشاد يشرف عليها ذو خبرة ومعرفـــة واطلاع ، وان يعتمد فى بعض فصولها على اخصائيين فى علم النفس والتربية ليتعرفوا ميول كل نزيل فيهيئونه لحياته المستقبلة ، ذلك لان هذه الملاجىء لم يكن نزلاؤها من الكبار فقط ، بل انها ستضـم ضمن من تضم الاحداث ايضا ، وان كانت الاقامة الدائمية فيهـــا خاصة بالعجزة فحسب ...

وشىء آخر يجب ان يتوفر فى هذه الملاجىء ، لانها اصلح من اى مكان سواها ، وهو البدء فى تجربة التعليم المختلط بين الذكور

والاناث ، حتى يكون المتخرج منها مهيئا اجتماعيا ونفسيا للامتزاج والاختلاط بالجنس الاخر ،بعد ان يتحرر من ربقة العادات والتقاليد وبعد ان يكون قد وعى مهمة الجنس فى الحيـــاة . ونشأ نشـأة مختلطة اختلاطا موجها ..

واذا علمنا ان لابد لنا من اعادة تنظيم ملاجئنا بصورة تكفـل لنا المهمة التى نتطلبها منها فى خدمة المواطنين ، والخروج بها مـن حالة الركود والخمول والتكاسل والارتجال ، الى حالة الحياة والحركة والنشاط والعمل والانتاج ، حتى تحقق لنا الرسالة المطلوبة منها ، **وجب الا يقتصر عمل هذه الملاجىء على الايواء واعطاء الخبز والحرق بل** ان الواجب الانسانى والاجتماعى ، يحتم علينا ان نعلم اولئك النزلاء كيف يعتمدون على انفسهم وكيف يشقون لانفسهم طرقا فى الحياة حتى يشاركوا المجموعة البشرية الحياة والتمتع بهذه الحياة، وكيف يفكرون فى مستقبل ايامهم بعقول مفتحة ناضجة واعية مدركة ... فاذا نظرنا الى كل هذا وفكرنا تفكيرا جديا مركزا فى كيفية تنفيذه لوضح لنا بصورة جلية مقدار حاجتنا الى المال ..

فالمال الذى يساعدنا على تنفيذ وتحقيق كل هذه الاعـــمال الانسانية اولا والاجتماعية ثانيا ، لا يمكن وليس من السهـــل الحصول عليه ، الا اذا شعر اغنياؤنا بالواجب الوطنى والانسانـــى المفروض عليهم حيال هؤلاء العجزة من بنى وطنهم ، ومدوا ايديهم سخية لمساعدتهم وانتشالهم من وهدة الفقر والحاجة ، ولمعاونة هذه الملاجىء فى القيام بواجبها واداء رسالتها الانسانية السامية ..

فبدهى ان مثل هذه الاعمال والمشاريـــع التى نســـعى الى تحقيقها واخراجها الى حيز الوجود والتنفيذ ،ونسعى لايجادها داخل ملاجينا ، تحتاج الى المال الكثير ، قبل ان تصبح واقعا ملموســـا محسوسا ، اضف الى ذلك اذا ما فكرنا فى تحقيق مشروع اجتماعى آخر ، وهو ايجاد مراكز لرعاية الاطفال الذين ستجبرامهاتهـــم ضرورة الحياة وضرورة المشاركة فى الحياة الى تركهم فى رعاية هذه المراكز ..

من كل ما تقدم نجد ان مساعدة اغنيائنا ومشاركتهم مشاركة فعالة امر ضرورى لابد منه حتى نتمكن من تحقيق كل او بعض هذه

المشاريع ٠٠ اذ ليس من المستطاع ولا فى الامكان تحقيق ذلك او شىء من ذلك مالم يساهم الاغنياء والموسرون، ومالم تتعاون الحكومة والشعب ٠٠ وما اظن اغنياءنا يبخلون على بنى وطنهم واخوانهم فى الانسانية بقليل مما فى استطاعتهم ٠٠٠

ونحن هنا لا نطلب منهم الشىء الكثير الذى ربما يتعللون بعدم استطاعتهم تلبيته ، وانما كل ما نطلبه منهم فى هذا الخصوص هو ان يتصدقوا بصدقاتهم (ولا اظنهم الا متصدقين) للجمعيات التى يسند اليها الاشراف على هذه الملاجىء ٠٠٠

وليس بخاف على أحد ما لهذه الطريقة من فوائد كثيرة جمة فهى اولا ، تعاون معونة فعالة وتساعد مساعدة جدية فى تحقيق ما نصبو اليه نفوسنا وما ننشده من تحسن مرافقنا الخيرية الاجتماعية ، وتنظيف مجتمعنا من هذه المناظر المستهجنة التى تحط من قيمته وقدره امام غيرنا من الامم والشعوب ٠٠٠ وهى ثانيا ، تساعد على تضاؤل عدد المشردين والمتسولين الحقيقيين او الذين اتخذوا من التسول حرفة تكفيهم مؤونة البحث عن موارد الرزق الحلال ، لانه اذا جال واحد من اولئك جميع الشوارع والازقة ، ووقف امام المتاجر والبيوت ، ولم يجد من يمد له يدا او يستجيب له طلبه ، فهو يضطر لاجدى طريقتين : اما ان يدخل الملجأ اذا كان محتاجا حقا وعاجزا ، واما ان يبحث لنفسه عن مورد رزق وعمل شريف يرتزق منه ٠٠٠

فى الحالتين تكون النتيجة واحدة ٠٠٠ حفظ المجتمع وتنظيفه مما يحط من قيمته وقدره ٠٠٠

وبهذه الطريقة نستطيع ان نجمع مبالغ لا بأس بها تمكننا من تحقيق اغراضنا الانسانية الاجتماعية ، وبها ايضا لا يقع العبء على كاهل احد ، بل نكون كلنا قد تحملنا نصيبنا من المسؤولية وادينا واجبنا المفروض علينا ، حكومة وشعبا هيئات وافرادا ، اذ تتظافر جهودنا للقضاء على هذا العدو الذى يهدد اركان مجتمعنا بالانهيار والتصدع ٠٠٠

اما مراكز رعاية الطفل (×) التى اشرنا اليها اشارة عابرة فان وجودها اصبح امرا محتوما لا مفر ولا فكاك منه ، اذا اردنا ان

(+) كان ذلك عند تسويد هذا الكتاب حيث لم يكن هناك ولا مركز واحد لرعاية الاطفال واما الان فلنا مركز فى سوق الجمعة لهذا الغرض ٠

نساير التطور الانسانى ونساير ركب المدنية الجاد ، فهى بالنسبة لمجتمعنا الناشىء امر ضرورى كضرورة الماء والهواء واحدى دعائم تقدمنا ورقينا ..

ان فضل هذه المراكز التى تدار بوسطة جهاز فنى علمى صحيح لا تخفى على احد له ذرة من عقل وتفكير ، اذ انها تحفظ الاطفال من التشرد وتشق لهم طرق العيش النظيف والحياة الكريمة بالاضافة الى انها تتيح للمرأة الحديثة الاطمئنان على ولدها اذا ارادت ان تشارك فى الكفاح الاجتماعى ...

فهذه المراكز بالنسبة للمشردين ،تتيح لهم سبيل الحياة وتفتح امامهم نوافذ على مستقبل مشرق ، سواء كان ذلك بما تقدمه لهم من مبادىء القراءة والكتابة ، او بما تلقنهم اياه من صناعات وحرف مختلفة ، كما ان مثل هذه المراكز تعد من الدعائم الاساسية لخلق مجتمع افضل تسير فيه الحياةسيرها الطبيعى الذى يرجح كفة ميزان الاخلاق والكفاءات الفردية ..

هذا حل ، واما الحل الثانى :

فهو ايجاد او خلق مشاريع للعمل ، يمكن الاعتماد عليها فى التخفيف من حدة البطالة ، ويستطيع العامل ان يتخذها سبيلا لاعالة نفسه وزوجه وابنائه ...

وهذا الحل ممكن التحقيق بعدة طرق ، نذكر منها ما يلى :

١ ـ رفع اجر العامل اليومى بما يتلاءم وحالة المعيشة وارتفاع اسعار الحاجيات الضرورية .

٢ ـ فرض رقابة صارمة حازمة من طرف الحكومة والمؤسسات العمالية ، على الاعمال واصحاب العمل ، حتى لا يكون هناك تلاعب بحقوق العامل وهضم ما يستحقه من مكافأة. (×)

(×) صدر اخيرا قانونينظم هذه الشئون

٣ ـ اعتماد الحكومة والشعب ، فى سائر الاعمال الانشائيـــة وغيرها على عمال وطنيين ولو كانت تنقصهم الخبرة والمران ٠

٤ ـ خلق مشاريع حكومية تمكن العامل من الحصول على عمـل يتناسب ومقدرته ومؤهلاته تكفل له ايجاد مورد الرزق الحلال ٠

٥ ـ تنشيط الحركة العمالية وتشجيعها ومعاونتها ، سواء كان ذلك من طرف الحكومة او الشعب ٠

٦ ـ منع تسرب العمال الاجانب (غير الفنيين) الى داخل البـلاد حتى لا يزاحموا العامل الوطنى ولا تكثر الايدى العاملة فلا تتناسب حالتا العرض والطلب ٠

٧ ـ العناية بالفلاحـــة ٠

هذه طرق نراها كفيلة ، مع غيرها ، فى مساعدتنا على رفـع مستوى معيشة الطبقات الكادحة الفقيرة ٠٠ ولكن ان كل هـــذه الطرق ما هى الا شبه رؤوس المواضيع التى تحتاج الى الشـــرح والنقاش ، وهكذا نعود من حيث بدأنا فنتناول كل نقطة من تلـك النقاط بالمناقشة القريبة من الصواب ٠

١ ـ ان فى رفع اجر العامل اليومى بما يلائم ارتفاع اسعـار المعيشة ، ما يخفف من حدة الصراع بينه وبين الحياة القاسية ومـا يجعله يتمكن ولو بصورة جزئية من الحياة فى مستوى لائق بانسان نسبيا على الاقل ، وما يخفف من وطأة شعوره بالحرمان من متـــع الحياة وما يقاسيه من جوع وعراء وحاجة ملحة قد تدفعه للبحث عن طرق غير مشروعة لسد رمقه وغلق افواه المتصايحين من الابنـــاء ، فلاينصاع لمنادى الاجرام وهى لفتة تأخذ بيده الى مستوى انسانى لائق به كانسان ، ومن ثم تساعد المجتمع باسره الى ما نرجوه له من رقى وتقدم ٠٠ فتقدم المجتمعات ورقيها وازدهار حياتها ، يتوقف الى حد كبير على تقدم وازدهار حيوات الافراد اولا وقبل اى شىء اخـــر ذلك لان تقدم المجتمع مربوط ومرهون بتقدم الاسرة التى هى جزء من المجتمع ، فاذا كانت الاسرة محرومة تعيش على الجوع والعـــراء

والحرمان ، لا شك اثر ذلك تأثيرا مباشرا فى كيان المجتمع وعرقل سيره ونموه وتطوره ..

ثم ان تحسين اجر العامل لايساعده على ايجاد القوت الضرورى فحسب، بل انه كذلك يساعد هذه الطبقات على مسايرة الركب اذ يفسح المجال امام ابنائها للتعليم ، ويمكن ابناء هذه الطبقات الكادحة من الالتحاق بدور العلم وأخذ قسط ولو ضئيل نسبيا من المعرفة كما انه يساعد هذه الاسر على توفير وسائل التربية الحديثة واتباعها ، وعلى العناية الصحية بافرادها .. وبذلك فاننا نضمن اولا عدم تشرد الاطفال من ناحية ، ومن ناحية اخرى نطمئن على مستقبل هؤلاء الاطفال ثانيا ، اذ يمكننا ان نقدر المدى الذى يمكننا ان نحصل خلاله على جيل صالح نافع ، ان لم يكن مثقفا ثقافة عالية فهو على الاقل غير امى ولا جاهل وان لم يكن ذا اخلاق ممتازة ، فهو لا أقل من انه يعرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات.

٢ ـ وفرض الرقابة على العمل واصحاب العمل ، فمن شانه ان يشعر العامل بان هناك من يسهر على راحته ويهتم بشئونه ويفكر فى راحته وطمأنينته ، وكل ذلك يبعث فيه روح حب الكفاح والنضال والاخلاص فى المهمة الملقاة على عاتقه، فيتقن ويجيد وينتج وهو كفيل ايضا بخلق عمال متقنين لاعمالهم ، واعمال متقنة فى صنعها .

واما ان يترك الحبل على الغارب لاصحاب العمل يعبثون باجور العمال ويهضمون مالهم ويسخرون منهم ويسخرونهم كما يشاءون وكيف يشاءون ، ويتحكمون من مصائرهم وحيواتهم ، ويرسمون طرق تصرفاتهم وتصرفات من يعولونهم من ازواج وابناء .. فان ذلك لمما يبعث على الثورة النفسية التى لا نضمن ما قد يترتب وينتج عنها من عدم ثقة واطمئنان بالساهرين على مصلحتهم ، وعدم شعور بوجودهم ، فيظن ان ليس هناك من رقيب او متتبع ، فيتخذ من الوسائل ما يحلو له مادام يعتقد انها توصله الى اخذ حقه المهضوم ونصيبه المغتصب ، مهما كانت فظاعة تلك الوسائل والطرق والاساليب .

فالرقابة اذن امر ضرورى لحماية العامل وصيانة العمل ، وحقوق العمال من التلاعب بها، والاستهتار بحيواتهم من قبل

افراد جشعين اثبتوا لا هم لهم ، الا جمع المال وخزنه واما كيف ؟ وعلى حساب من ؟ فذلك ما لا يعنيهم ومالا يدخل لهم فى حساب ومالا يقيمون له اى وزن ، ثم بفرض مثل هذه الرقابة نضمن للعامل حقوقه وافية غير منقوصة ، ونضمن عدم استغلال حاجته لصالح اصحاب الاعمال الذين لا يتورعون عن استغلال ضعف العامل وسوء حاله فى تسخيره لخدمة مآربهم الخاصة واستعبادهم للعمل المسكين ما دام ليس هناك من يراقب اعمالهم وتصرفاتهم وليس هناك من يفكر فى حالة العامل البائس .

٣ – يجب الاعتماد ، الشبه كلى ، على عمال وطنيين سواء كان ذلك فى الاعمال الحكومية او الاعمال الشعبية ، فان مثل هذا الاجراء شىء ضرورى وحتمى لانه يخلف بلا شك من حدة البطالة ويفتح امام الايدى العاملة مجالات واسعة للعمل فلا يضطرون ، او لم يعد هناك ما يبرر ارتكابهم الاجرام او اتخاذ التسول حرفة يرتزقون منها كما ان اعتمادنا على العامل الوطنى والاستغناء عن غيره من العمال ما يشعر العامل نفسه بان هناك حكومة شعبية تسهر على راحته وطمأنينته وتفكر فى مستقبل حياته وحياة من ينجب من الاولاد وتعمل جادة مخلصة على النهوض به الى المستوى المعيشى الذى يكفل له حياة فيها شىء من الرغد وشىء من الاطمئنان فضلا عما يتسبر له من سبل الرزق الحلال ، فلم يعد لعبة بين يدى اصحاب العمل وتتعادل كفتى العرض والطلب ...

واما ان نبقى ننظر الى وضعنا الراهن دون ان نهتم به ودون ان نوليه عناية زائدة ومن غير ان نلتفت الى العامل او نقيم وزنا لحياته الراهنة والمستقبلة ، ثم حياة ومستقبل من قد ينجب لنا من ابناء ونترك لعبة سهلة بين يدى صاحب العمل تفعل به ما تشاء وتسوقه اين تريد ، فن ذلك لهو عين الغبن وعدم المشاركة الانسانية فى ويلات ومصائب الاخرين .

فالمنطق والحاجة والوطنية والانسانية كلها تفرض علينا ان يجد العامل الوطنى عملا يعيش منه هو وابناؤه قبل غيره ولو كانت تنقصه الخبرة والمران ، اذ الاعتماد على عمال اجنبيين فى قليل او كثير من اعمالنا الانشائية والعمرانية ، بحيث نجعلهم يزاحمون الوطنيين ويضيقون عليهم سبل العيش والحياة ، ويقضون على

حياتهم ، هو اول ما يجب ان نتخلص منه خاصة ونحن فى مرحلة بناء نحتاج فيها لكل مليم من ثروتنا الوطنية ولا يصح ابدا ان نفرط فيها او نتلاعب بها او نقدمها لقمة سائغة لاجانب ياتون اليوم ليرحلوا غدا وقد امتصوا دماءنا وافرغوا جيوبنا فى جيوبهم، ونقلوا معهم الكثير من ثروتنا على حساب فقرائنا خارج بلادنا فكانوا سببا بذلك فى انقاص رفاهيتنا واستقرارنا ٠

وهناك نقطة اخرى يجب ان يوليها اولو الامر عناية زائدة ، وهى العمل على الحد من نسل الفقراء والاجراء والمشوهين والعجزة ٠

فنحن نعلم ان هذه الطبقات اكثر طبقات المجتمع تناسلا واكثرها عدد ابناء ، فاذا كانت حالة الوالدين المالية من القلة بحيث لا تضمن لهوءلاء مستقبلا حياتيا شبه مستقر ، فان المنطق يحتم علينا ان نضع تقنينا خاصا للحد من اندفاع هذه الطبقات وراء التسابق فى مسالة التناسل ، اذ لا جدال ان ابناءهذه الطبقات الكادحة سوف لن يجدوا ما يكفل لهم التعليم والتربية والحياة الطبيعية التى تخلق منهم مواطنين صالحين يمكن الاعتماد عليهم ، كماان ابناء المشوهين يكونون عادة اقرب الناس للاصابة بالامراض عن طريق الوراثة فيكثر بهم عدد المصابينوالمشوهين فىوقت نحاول فيه القضاء على الموجود لدينا ٠

واذن وجب ان يوضع تقنين من طرف المختصين يحدد عدد ابناء كل اسرة على ضوء دراسة وضعها وامكانياتها المالية ، بحيث تكفل حياة لهؤلاء الابناء فى كل الحالات وعلى اسوأ الافتراضات ٠

فالحقيقة التى يجب ان نذكرها دائما والتى يجب الا تغرب عن ادهاننا ، ان عملية التناسل بين الطبقات الفقيرة اكثر منها بين الطبقات المتوسطة او الغنية الشىء الذى من شأنه ان يساعد على تداعى بنيان الاسرة ولا يضمن لها مستقبلا حياتا قريبا الى حياة الادميين ، فالاب الذى لا يزيد دخله اليومى عن بضعة قروش ، من الغبن والاجحاف ان نسمح له بانجاب ابناء قد يصل عددهم فى كثير من الحالات الى سبعة او ثمانية ابناء بحجة **(ان الرزق على الله)** بل يجب ان يحدد نسل هذا الاب ويقتصر على العدد الذى يكون فى استطاعته تربيته وتنشئته تربية قريبة من التربية المتكاملة ، ولو

اجبرنا مثل هذا الاجراء الى اتخاذ الوسائل الطيبة الحديثةلمنع الحمل

كما علينا ان نضع حدا بجانب هذا التقنين ، لتلاعب بعض افراد الطبقات الدنيا باباحة الشرع تعدد الزوجات والطلاق ، فان كثيرا من رجال هذه الطبقات يتخذ من الزواج والطلاق لعبة يتلهى بها يتزوج اذا خطر له ان يتزوج ويطلق متى كره الزواج وهذا من الامور التى ينتج عنها كثرة المشردين ..

ان الشرع يبيح للرجل الجمع بين اربعة نسوة ، وانه يبيح له الزواج ولو مائة مرة متتابعة ، غير اننا بعمل كهذا ، اى وضع حد للتلاعب بالاباحة الشرعية ، لا نكون مطلقا مخالفين للشرع او خارجين عن حدوده بما نعاقب عليه ، بل اننا فى الواقع نكون قد وصلنا او نفذنا اوامر الشرع عن طريق عكسى ، حيث ان كثيرا من اولئك الذين يتخذون من الزواج لعبة وتسلية ، يتركون اولادهم عرضه للفساد الخلقىحين يتخلون عنهم اويطلقون امهاتهم ويتزوجون باخريات ، فاذا نحن ضربنا على ايديهم ، لا جدال نكون قد خدمنا الدين الذى ينهانا عن الفساد من جهة ، وخدمنا المجتمع من جهة اخرى اذ نمنع وجود المشردين ونقطع الاصل فى كثرتهم ..

٤ ـ خلق مشاريع حكومية انشائية او ترميمية تساعد العامل فى العثور على عمل يعيش من ورائه ، فان مثل هذه الخطوة جديرة بالدراسة والبحث من قبل المسئولين ، فضلا عن انها وسيلة تساعد العامل على العثور على عمل شريف يكفل له حياة هانئة مستقرة. فهى ضرورية لنا خاصة ونحن فى طور البناء والتكوين ، فاذا وجدت ميادين العمل ويسرت امام العامل الباحث عنها ، فان ذلك مما يجعل العامل نفسه يطمئن نوعا على مستقبله ومستقبل من يعولهم من ابناء وزوجة فيدفعه شعوره ذلك الى الاتقان وعدم الخنوع لاصحاب الاعمال .

٥ ـ تنشيط الحركة العمالية. ان هذا مما يجعل مجتمعنا يساير بقية المجتمعات الديمقراطية المتمدنة، بالاضافة الى اشعار العامل بان هناك قوة تدافع عن حقوقه وتطالب بما له قبل الحكومة او الافراد

فينصرف هو انصرافا كليا للعمل المثمر دون ان يفكر فى وضعه ما دام يشعر بوجود قوة فعالة تفكر وتسهر على راحته ، كما انعملا كهذا مما يجعل اصحاب الاعمال يفكرون ويفكرون قبل ان تسول لهم انفسهم سلب حقوق العمال الكادحين المساكين ، اذ يقدرون ويحسبون لهذه القوة الشعبية الف حساب قبل اقدامهم على عمل ما من شأنه ان يحط من قيمة العامل او ينقص من قدره ومكانته بين الناس ٠

ان المنظمات العمالية الحرة هى التى تدافع عن حق العامل ولها حق المرافعة امام القضاء فى حالة ما اذا هضمت هذه الحقوق او جزء منها ، ولها ان تطالب بنصيبه فى الحياة الحرة كفرد بين مجموعة افراد له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، وفوق ذلك فان تكوين ودعم المنظمات العمالية اصبح رمزا لتمتع الشعب بحقوقه الدستورية والانسانية ٠٠

ونحن حين ننادى بهذا الحق للعامل الكادح ، لا نكون مغالين ولا طافرين، لاننا ننادى بحق منح لكل عامل فى جميع انحاء العالم واركان المعمور من الارض ، ففى كل الدنيا تجد منظمات عمالية لها كل السلطات الواسعة فى تسيير الحركة العمالية والمطالبة بحقوق العمال بالطرق المخولة لها قانونا ، لان العامل فى حقيقة وضعه ، فرد من افراد المجتمع الذى يجب على المجتمع ان يكفل له سائر حقوقه الانسانية مهما ضؤلت، وان يكفل له من يدافع عنه ومن يطالب له بهذه الحقوق ٠٠

٦ ـ ومنع تسرب العمال الاجانب الى البلاد ، مظهرا من مظاهر الاكتفاء الذاتى ، ثم انه لا يساعد العامل على وجود الاعمال التى يعيش منها فحسب ، بل انه بالاضافة الى ذلك مظهر من مظاهر الاستقلال الاقتصادى ايضا ، ومما يبرز وطننا العربى ويطبعه بطابعه العربى ٠٠

ولا نعتقد احداً يستطيع ان يصف عملنا هذا بالعنصرية او التمييز الجنسى بين هذا وطنى وذاك غير وطنى، لاننا فى مثل هذا الاجراء لا نكون مبدعين بل اننا تابعون ، فهذه انجلترا مثلا لا توعشر لك على جواز سفر لدخول اراضيها الا بعد ان تلاحظ لك

على جواز السفر (لا يوجد عمل لاجنبى) فما احرانا نحن هنا فى ليبيا ان نعمل مثل ذلك حتى نوجد الاعمال لابناء ليبيا اولا وقبل غيرهم من الناس ؟..

٧ ـ واذا انتهينا من التحدث عن كل هذه النقط بما نعتقد فيه الكفاية ، وانتقلنا للتحدث عن الفلاحة فاننا نجد انفسنا مضطرين لاطالة الكلام فى هذا الخصوص ، نظرا لان بلدنا ، حتى اليوم ، بلد زراعى اكثر منه بلد صناعى او تجارى، تعتمد الغالبية الساحقة من سكانه على ما تنتجه الارض وما تجود به اضعاف اعتمادهم على اى مورد اخر من موارد الرزق كالتجارة مثلا التى يحتكرها ويتحكم فيها اناس معدودون، وان اكثر سكانه يعتمدون على ما تجود به عليهم يد الفلاح فى معيشتهم اليومية اضعاف ما يعتمدون على اى شىء عدا ذلك .

ونعلم الى جانب ذلك ان معظم مزارعينا لا يزالون يعتمدون فى زراعاتهم على مياه الامطار وسيل الوديان فى فصل الشتاء ، وهو مورد للماء غير مكفول فى كل السنوات ، وان اكثر هؤلاء الزراع الشتويين لا عمل لهم طيلة اشهر السنة فيما عدا موسمى الزرع والحصاد ، فان مصلحة هؤلاء المواطنين تجبرنا على ان نفكر فى طريقة عملية منتجة تكفل لهم الحياة الهينة والاستفادة التامة من منتوجاتهم الزراعية ، فلا يضطروا للسلفة عليها قبل اوان الحصاد ، او لبيعها وهى لا زالت فجة غير ناضجة ، الشىء الذى ينتج عنه انخفاض الاسعار الى ما يقل عن النصف ..

ومعونتا لهؤلاء تأخذ عدة اشكال ، منها ان نمد لهم يد العون بمنحهم سلفيات (×) على قدر محاصيلهم وبدون فائض او بفائض جزئى ، حتى لا يجبروا على بيعها باثمان بخسة لاناس ثبت انهم لا يسعون لشىء مثل سعيهم لاستغلال ظروف الفلاح النكدة التى تمر به فى الاشهر السابقة لوقت الحصاد او جنى الثمار .

كما اننا نستطيع ان نعين هؤلاء الفلاحين بمدهم بالمعدات الحراثية اللازمة العصرية التى من شأنها ان تزيد فى مقدار محاصيلهم السنوية بما يكفل لهم حياة هينة طيلة ايام السنة ..

وكذلك بان نمد لهم يد المعونة فى اختيار (البذور) الصالحة

(×) كان ذلك قبل انشاء البنك الزراعى الذى يقوم بهذه المهمة

(الزريعة) ومساعدتهم على التخزين ٠

أما صغار الفلاحين ، او فلاحى البساتين الصيفية ، فان ضرورة الرقى بمستواهم المادى تحتم علينا ان نمد لهم يد العون والمساعدة بما يسهل امامهم استغلال الامكانيات الحديثة والالات الجديدة ، حيث ان اغلبهم فى الظرف الراهن لا زال يعتمد فى زراعته على وسائل بدائية جدا مثل (الدلو والبقرة) وهى طريقة عقيمة لا تساعد ابدا على النهوض بمستوى متبعها والمعتمد عليها ٠٠

واذا سلما بصحه كل هذا فهى جميعها وسائل الغرض منها العناية بالفلاحة والسهر على راحة الفلاح بما يكفل له سلامة محاصيله من تلاعب المرابين والالتفات الى الحال السيئة التى تعانى ويلاتها ويتجرع وحده مرارتها وحرمانها، اما ان نبقى ننظر الى المسألة نظرة جانبية دون ان نهتم اهتماما جديا بمستوى حياة الفلاح ، ومن غير ان نقيم كبير او حتى صغير وزن لمستوى حياة الفلاح النكدة المتداعية ، فاننا بلا شك نجنى على انفسنا اولا ثم نسعى الى تحطيم الفلاح والفلاحة والقضاء عليهما معا ، ثم القضاء على استقلالنا الاقتصادى الذى يعتمد اكثر ما يعتمد على الزراعة ٠٠

ولا نعتقد ان هناك ما يدعو الى التفكير العميق فى الوسائل التى يمكننا ان نساعد بها على ازدهار الزراعة فى بلدنا اذ ان مجرد التفكير فى النهوض بمستوى الفلاح المعيشية وبحالة الزراعة التى يعتمد عليها البلد اكثر من اعتماده على اى شىء اخر ، فى رخاء اسواقه واعتدال اسعار حاجياته ، ما يمكننا ان نتخذه اساسا فى النهوض بحالة الزراعة ٠٠٠

وأول ما يجب ان نلتفت اليه فى هذه الناحية الحيوية من حياتنا الاعتناء بالتعاون الزراعى بين الفلاحين انفسهم ،وذلك بان نطلعهم على الاوضاع التى تدعو الى ايجاد لون من التعاون المنتج بين كل مجموعة من الفلاحين بطريقة تكفل للجميع الاستمتاع اكبر قدر ممكن بما تدره عليه الارض التى يتعاون مع غيره فى زراعتها وخدمتها والاعتناء بها(×) وكذلك نشر الوعى الثقافى بين افراد الفلاحين مما يساعد على النهوض

(×) اقرا ليبيا والجمعيات التعاونية صفحة ١١٠ فما بعد للاستاذ محمد ابو زيد الشريف

بمستواهم المادى ويفتح امامهم سبل الوعى الاجتماعى التعاونى ... وكل ذلك لا يحصل الا اذا تعاونت الحكومة والشعب والهيئات الجماعية الفلاحية معاونة فعالة مجدية مفيدة ..

فعلى الحكومة مثلا ان تشجع وتعمل على ايجاد اسواق خارجية يمكن ان تصدر اليها منتجاتنا الزراعية الفائضة على الاستهلاك المحلى، وان تسهر على امن الفلاح وراحته ، فلا تدع محاصيله عرضة للسرقة او للتلف ودلك بالاكثار من المستحضرات الطبية الحديثة التى تساعد على صون الغلال والفواكه ، وبفرض اقسى العقوبات المادية والادبية على كل مهمل لماشيته التى تسبب تلف المزروعات.. كما ان الحكومة هى الجهة الوحيدة التى تتمكن من منع هـــذا السيل الجارف من الواردات الزراعية الاستهلاكية مثل الفواكه وغيرها التى تملاء السوق المحلى فتسبب فضلا عن انخفاض اسعار المنتجات المحلية ، فى تسرب الاموال الى الخارج .

وعلى الشعب ان يساعد فى هذه الحركة الاقتصاديـة ويشارك فيها مشاركة فعالة بمقاطعة المستورد الذى له مثيل فى البـــلاد ، والاستغناء عن شراء هذه الكماليات من الفواكه التى تضر باقتصادياتنا اكثر من اضرارها بفلاحينا المساكين، حتى نضمن رواج حاصلاتنـــا المحلية من جهة ، ونضمن ايضا توازى كفتى الصادر والوارد فلا نقع فى مثل ما وقعنا تحت وطأته سنة ١٩٥٤ حيث رجحت كفة الوارد بما سبب عجزا فادحا فى ميزاننا التجارى، كما قررت ذلك نشرة غرفة التجارة فى عدد اغسطس ١٩٥٥ حيث قالت بالحرف الواحد :

(تتجلى حقيقة الموقف من الارقام التى دونت عن عام ١٩٥٤ حيث بلغت الواردات (٨،٣٢٦،٧٠١) ج.ل والصـادرات (٢،٤٤١،١٩٤) ج.ل. تشير الى عجز مقداره (٥ر٨٨ر٥٠٧) جنيه ليبـى والصادرات مكونة من ٩٩٪ من منتجات زراعية).

ونحن هنا لايهمنا العجز الذى اشارت اليه النشرة بقدر مايهمنا قولها (ان ٩٩ ٠/ ٠ من الصادرات مكون مـن منتجات زراعية) فمعنى هذا أن بلدنا زراعى اولا ومعناه ثانيا أنه لو اعتنى بالناحية الزراعية عناية صحيحة لامكن ان يرتفع مقدار الصـادر الى اضعاف هذا الرقم الضئيل الهزيل ...

وواجب الشعب ايضا ان يسعى بكل امكانياته الى تكوين جمعيات زراعية تعاونية تساعد الفلاح فى النهوض بمستوى حالته المادية وتدله على احسن الطرق الحديثة لاستغلال امكانيات ارضه البور ، وتعمل على التعريف به فى سائر انحاء العالم وتبحث عن الاسواق الخارجية للتصدير ، وتسهر على رفاهية الفلاحة وراحة الفلاح بكل الوسائل والامكانيات المختلفة ، وتشرف اشرافا كليا تعاونيا على مجهودات الفلاح فلا تترك مجهوداته تذهب سدى ولا تدع محاصيله لعبة بين يدى التجار والمرابين والمصدرين ، وان تجلب المعدات الزراعية والالات المختلفة التى تساعد على التقدم بوسائل الفلاحة ...

واخيرا لماذا لا تفكر الحكومة فى توزيع هذه الاراضى البور الشاسعة الصالحة للزراعة على الفلاحين بطرق علمية انشائية كما عملت سائر الدول فى شتى انحاء العالم ، بل **كما عملت ايطاليا يوم جلبت الينا (اربعين الف) مزارع ووزعت عليهم الاراضى ومدت لهم يد العون المادى والادبى حتى خلقت منهم فلاحين ومزارعين افادوا واستفادوا اننا لا نشك ابدا فى انه لو اتبعت الحكومة مثل هذه السياسة الايجابية الموجهة لاستطاعت ان ترفع مستوى المزارعين** والزراعة فى آن معا ..

اما التعليم فى القرى ونشره بين المزارعين فقد اصبح امرا محتوما يجب الاهتمام به كل الاهتمام والالتفات اليه كل الالتفات ، سواء كان تعليما ثقافيا صرفا او تعليما زراعيا مزدوجا .. فعلى نظارة بل وزارة المعارف ان تسعى جهدها للاكثار من المدارس فى كل قرية لنشر التعليم بين عامة الفلاحين اسوة بما تعمل غيرنا من الحكومات فى سائر انحاء العالم . فبالتعليم نستطيع ان نخلق من الفلاح رجلا اخر غير هذا الذى نراه جاهلا لابسط وسائل الزراعة لا يعرف كثيرا ولا حتى قليلا من الطرق الواجب اتباعها والعمل بها فى النهوض بحالته الزراعية والاقتصادية والاجتماعية، ثم ان من مهمة هذه المدارس ان تنشر الوعى بين طبقة الفلاحين بما يساعدنا على خلق مجتمع افضل تتساوى او تتقارب من التساوى كل طبقاته وافراده ..

هذا هو العلاج الذى تراءى لى للقضاء على الفقر والعوز والفاقة وهو علاج او هى طرق كما تراها لا تعتمد على الصدقات والهبات والعطايا، وانما ركنها الاول وحجرها الاساسى التعاون المشترك المثمر

المنتج واتاحة الفرص لكل القوى والامكانيات الفردية والجماعية على العمل والانتاج ، وتحميل كل فرد من افراد المجتمع واجبا عليه ان يؤديه بامانة واخلاص ..

وذلك لاننا نؤمن ان الاعتماد على الصدقات والهبات لا يمكن ان يكون من سيمات المجتمع التقدمى ، كما لا يمكن ان يحصر فى عداد وسائل علاج حالة الفقر فى اى مجتمع من المجتمعات ..

اننا لا ندعو فى علاج الفقر الى الاعتماد على الصدقات ، ولسنا من الذين يدعون الى الاعتماد على الهبات والمنح ، لاننا لا نعتقد ان ايا من هذه الوسائل يمكن ان تكون علاجا ناجعا حاسمـــا لما نحن بصدد بحثة ، ولان الاعتماد عليها مما يسم اى مجتمـــع بميسم الفقـــر والاتكالية ، فضلا عن ان الدين الاسلامى دين عمل وكفاح وليس هو دين تسكع واتكالية تسوق اليهما الصدقات والهبات ، فالديـن الذى نعتنقه دين يحث اتباعه على الاعتماد على انفسهم ، فهذا النبى يقـول لحكيم : (اذهب بارك الله لك فى صفقة يدك) ويقول فى ذم الصدقات حتى لا يعتمد عليها اتباعه : (انها اوساخ الناس .. انها غسالة ذنوب الناس) ويقول ايضا فى الدفع الى العمل والكد فى سبيل العيش:(اليد العليا خير من اليد السفلى) ..

ان الصدقات فى الاسلام لم تفرض ليعتمد عليها، وانما فرضت لتطهير المال وتزكيته : **(خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)**

وبعد فكيف يصح لانسان ان يعتمد فى حياته ومعيشته على ما تمتد به الايدى من هبات وصدقات ، قليلا كان ام كثيرا ؟..

فدعوتنا الى الاكثار من الملاجىء اذن ، لم يكن القصد منها جعلها حلا حاسما للازمة ، بقدر ما كان الغرض من المناداة بها معالجة عاجلة لحالة طارئة ...

والحل.. الحل الوحيد لهذه المشكلة.. مشكلة الفقر انما تنحصر اولا وآخرا فى ايجاد العمل لكل قادر على العمل وحماية الاعمال ورفع مستوى العمال ، وبالتالى العمل الجدى لرفع مستوى الشعب من كل الطبقات اقتصاديا وماديا وادبيا وثقافيا ...

المـرض :

ان المرض عدو لدود للانسانية ، وللرقى والتقدم والازدهارفى اى مجتمع من المجتمعات البشرية ، فلا يمكن لامة ان تتقدم او تزدهر حيوات افرادها او تنعم بالمدنية والحضارة اذا كان المرض يفتك كل يوم بل كل ساعة بالالوف المؤلفة من الناس المساكـــين الابرياء ، فيسوقهم الى القبر ، او يملأ بهم المستشفيات ..

المرض وبال.. والمرض خطر محدق بالانسانية والبشرية ، ونحن لا ننكر ان كثيرا من بعض الامراض منتشر فى بيئاتنا خاصة بين طبقاتنا الفقيرة الكادحة الجاهلة ، ولذلك حاولنا ان نعالج الجهـل والفقر لاننا نعلم اننا بذلك نكون قد ساهمنا بطريق غير مباشر فـى القضاء على المرض ايضا ، وأما المرض او انواع الامراض التى هـــى فعلا منتشرة فى مجتمعنا الان ، فاننا نرى لمعالجتها الوسائل التالية :

١) الاكثار من المستوصفات الحكومية والشعبية المجانية ذات الفائدة والاثر ، المركزية منها والمتنقلة .

وهذه لا شك تساعد كل فرد من افراد الشعـــب فى الحاضرة والدواخل ، من الحصول على الفحص الطبى والادوية الضروريـة فى اسرع ما يمكن وباسهل ما يمكن .

٢ ــ نشر الاحساس بين الافراد بوجوب مشاركتهم مشاركةفعالة فى انشاء مستوصفات شعبية اهلية ، ليس للحكومة عليها من سلطان سوى الاشراف والتوجيه والمساعدة ..(×)

فمثل هذه المستوصفات من الامور الضرورية التى لا يمكننـــا الاستغناء عنها ، نظرا لان الحكومة اية حكومة قد لا تتمكن من القيام بكل المطلوب منها ، ومن هنا وجب على الشعب ان يساعدها فى بعض الاشياء الممكنة .

٣ ــ انشاء مدارس الممرضات . (×) ٢

× ــ ان الان لدينا مستوصف اهلى يشرف على الانفاق عليه احد رجال الخير ..

+ ــ ٢ هذا قبل انشاء مدرسة الممرضات .

فنحن لا جدال فى مسيس الحاجة الى ممرضات عربيات من لحمنا ودمنا وكياننا يشعرن بشعورنا ويحسسن باحساساتنا ، ثم ان وجود ممرضات عربيات، أمر تدعواليه الضرورة الملحة سواء كان ذلك بالنظر للتطور الحادث فى الحياة العصرية او بالنظر الى الاعتبارات التالية :

أ ـ **يجنبنا الاعتماد** على ممرضات ايطاليات او اجنبيات لا يفقهن لغة البلاد ولا يستطعن فى كثير من المواقف فهم اشارات وايماءات المرضى ، وانهن فى كل الحالات لا يعرفن عاداتنا وتقاليدنا حتى يتصرفن بمقتضاها ...

فلا يمكننا والحالة هذه الاعتماد على ممرضات اجنبيات مهما كانت الظروف ، وفى الاستغناء عنهن بممرضات عربيات ليبيات ، فضلا عما ذكر ، ما يظهرنا بمظهر القومية العربية ذات الاكتفاء الذاتى ، كما انه أمر يجعل المريض لا يحس انه غريب بين قوم غرباء ، بل يشعر وكأنه فى بيته بين اسرته وعائلته فلا يحس بالضيق ولا يشعر بالملل ..

ب ـ يجنبنا الاعتماد على ممرضات عربيات جاهلات لابسط قواعد التمريض ، كما هى الحال الان، حيث ان فن التمريض يحتاج ولا شك الى دراسة تبتدىء من معرفة قواعد تضميد الجروح الى الالمام ببعض قواعد علم النفس وفى حاجة الى ان تكون الممرضة ذكية لبقة تفهم اشارات المريض وتلبى طلباته ..

ج ـ لا يجوز الاعتماد على الرجال فى القيام بهذه المهمة المنبثقة عن رسالة المرأة والامومة ، اذ ليس فى مكنة اى رجل بالغا ما بلغ من رقة الشعور ورفاهية الاحساس ان يؤديها بنفس الهمة التى تؤديها بها أية امرأة .. ولا يستطيع احد ان ينكر ما للمرأة من قدرة فائقة فى أداء هذه الرسالة اذا دربت وعلمت تعليما صحيحا لادائها والقيام بها وتلك ميزة ميزت الطبيعة المراة بها دون الرجل ، فى كل دور من ادوار حياتها اما واختا وزوجة وممرضة ، وليس فى مكنة الرجل ان يكتسبها او يتمتع بشىء منها مهما حاول ..

من كل ما تقدم يمكننا ان نفهم الغرض الذى دفعنا الى المناداة بوجوب انشاء مدارس للممرضات والعناية بها وجعلها تساير ارقى المدارس من نوعها فى العالم ..

٤ ـ تأسيس منظمات الهلال الاحمر ٠

فمثل هذه المنظمات سواء كانت خاصة بالرجال فحسب او بالنساء والرجال معا ، قد اصبح وجودها امرا تحتمه الظروف الراهنة التى نعيش فيها ، والتى يجب ان نتفاعل بها وان نتأثر بما تمليه علينا ٠٠٠

ولكن هنا يجب ان نقف مرة اخرى ، عندما نقول (بالرجال والنساء معا) اذ انه مما لا شك فيه ان هناك فئة سترمينا بالفجور والالحاد والكفر بمجرد ان تسمع اننا ندعو الى مشاركة المراة فى مثل هذه المنظمات، ولكننا هنا لا يهمنا ما ترمينا به هذه الفئة الغافلة بقدر ما يهمنا التعبير فى صدق وصراحة عما نعتقده حقا وصوابا فمشاركة المرأة فى مثل هذه المنظمات ليس ببدعة نبتدعها ، ولكنه شىء كان موجودا منذ عهد النبى والصحابة ، وشىء ما زال موجودا فى المجتمعات الراقية المتقدمة الواعية ، وليس أقرب الى اذهاننا من البطولات التى قامت بها المرأة فى هذا السبيل ، من تلك المواقف المشرفة للمرأة العربية الشرقية فى حرب فلسطين ثم فى الغزو الغادر على مصر ٠

هذا كل ما استطعت ان ارسمه من الخطوط العريضة التى تساعدنا فى القضاء على اعدائنا الثلاثة **الجهل والفقر والمرض** ، ولا يهمنى بعد ذلك ان تنفذ هذه الاراء او لا تنفذ من قبل من بايديهم وسائل التنفيذ ، بقدر ما يهمنى ان اعبر عما شعرت به انه وسيلة من جملة وسائل تساعدنا على تحقيق غرضنا من هذا الكتاب ٠٠

ولا اجزم بان ما قلته وما بينته وما شرحته هو الطريقة الوحيدة لتحقيق اهدافنا ، بل اننى على يقين من انه لا بد ان تكون هناك طرق اخرى غابت عن وعى وادراكى فارجو ان يهتدى اليها غيرى ويعمل على العمل بها ٠٠

بقيت نقطة اخيرة ، اذا كانت هذه هى الوسائل الكفيلة مع غيرها بتمكيننا من القضاء على اعدائنا الثلاثة ، فعلينا بعد كل ذلك ان نفكر فى طريقة التنفيذ ٠٠ تنفيذ هذه الاراء وغيرها من الاراء الكثيرة التى تخالج عقولنا وتتفاعل مع كل حركاتنا وسكناتنا وتدفعنا لان نفكر فى أوضاعنا الاجتماعية المختلفة المتداعية ، علينا ان نفكر فى

طرق التنفيذ حتى لا تبقى جميع مشاريعنا حبرا على ورق · واول من يجب عليه ان يفكر معنا فى التنفيذ ، الحكومة ·· على الحكومة ان تشعر بواجباتها كاملة حيال مجتمع منهار متداع من كل اركانه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسة ، فتعمل من جانبها مخلصة على مساعدة من آمنوا برسالتهم وهبوا لادائها مخلصين مضحين بكل شىء فى سبيل المصلحة الاجتماعية العامة ·· على الحكومه ان تشعر شعورا ايجابيا بما تفرضه عليها الاوضاع الفاسدة المتعفنة فتعمل على محاربة الفساد والعفونة ، وتعمل على تشجيع ومنصرة الخير والصواب ، وتعمل على تحقيق رغبات الفئة الواعية المؤمنة المخلصة فى وعيها وايمانها ··

تربية الجيل الجديد

ان تربية او تنشئة الجيل الجديد لمجتمع افضل فى غد مشرق، من الامور الجوهرية فى حياتنا الراهنة وحياتنا المستقبلة، اذ بمقدار وعينا وفهمنا الصحيحين لهذا المعنى يتوقف مقدار تقدمنا فى المستقبل وازدهار حيوات ابنائنا واحفادنا فى قابل الايام ··· وتربية الجيل الجديد من الخطورة بحيث لا تقل عما سبقها من بحث ان لم تكن اكثر منها اهمية لما لها من صلة بحياة المستقبل لا لنا وحدنا ولكن لمن سيأتى بعدنا من الاجيال ·

ان تربية الاطفال ·· اطفال اليوم ورجال الغد القريب، اصبحت بعد تطور الحياة وظروف الحياة من الامور التى لا يصح فيها الارتجال او الاعتماد على الطرق والاساليب العتيقة التى كانت تتبع فيما مضى من الايام والسنين ، حيث معرفة الطرق السليمة والوسائل الحديثة فى هذه الناحية البالغة الاهمية فى حياة الامم والافراد تبعا للتطور الاخذ فى الازدياد فى حياة الامم والشعوب ، ومسايرة للزمن الماثل الذى يعيش فيه الانسان، وليس أدل على وجوب تطور التربية تبعا للظروف والازمنة من قول على بن ابى طالب : **(ربوا أولادكم لزمان غير زمانكم)** ··

ورغم اننى لم اكن من المطلعين على خفايا التربية ، ولا من الضالعين فى علومها وفروعها ، ولا من الملمين بدقائها، فاننى أستطيع

أن أتحدث فيها ولو حديثا مبثورا ، اذ أننى ألم بعض الالمـــام ، نتيجة التجربة والمطالعة، ببعض نواحيها مما يمكننى من التحدث فيهـــا ٠

اذا كان رائدنا اصلاح المجتمع والاخذ بيده الى مصاف المجتمعات المتمدنة المتحضرة ، واذا كان الاستعمار قد قضى علينا بعض القضاء أو كل القضاء فلا أقل من أن نحاول اصلاح ما يمكن اصلاحه ومعالجة ما فى الامكان معالجته بما يهىء لنا حياة مستقبلة رغدة نوعا من الرغد والاستقرار ٠٠ وليس ما يساعدنا على ذلك سوى ان ننشىء جيلنـا الجديد تنشئة حقة ونربيه تربية قوية تهيئه لحياة اسعد ومستقبـل أفضل فى غد مشرق ٠٠ فبقدر عنايتنا بتنشئة الجيل الجديد، وبقدر اهتمامنا بتربيته ، نضمن سعادته وهناءه واستقرار حياته، كـما نـــضمن بجانب ذلك رقى المجتمع وتمدنه وتحضره ٠٠

ولتحقيق اى من هذا لابد لنا من الاطلاع على طرق التربيـــة الحديثة ووسائل التنشئة القويمة حتى نبنى بناء متينا دون ان يخالجنا ادنى شك فى انهياره يوما من الايام ٠٠٠

فلزام علينا رضينا ام ابينا ، ان نغير طرق التربية ووسائـل التنشئة بما يلائم حياتنا العصرية الجديدة التى نعيشهـا او التـى سنعيشها فى يوم من الايام ، لزام علينا ان نغير طرق التربيـــة ووسائلها بما يتماشى وطرق التربية الحديثة ويتلاءم ووعينا الاجتماعى الجديد ٠٠

علينا ان نغرس فى نفوس وعقول جيلنا الجديد الناشىء، الوانا من الفهم والوعى والادراك ثبت انها صالحة ومفيدة ونافعة تجعل من منبعها عضوا ذا أثر فى المجتمع الذى يعيش ضمن افراده يحـــس باحساساتهم ويشعر بالامهم وأوجاعهم ٠٠ وذلك كله لا يحدث ولا يكون الا اذا اتبعنا طرقا كثيرة ثبتت فائدتها بعد التجربـة وثبـت صلاحها وثبتت ملائمتها للظروف التى تعيشها البشرية فى كل جزء من اجزاء العالم المتمدن المتحضر ٠٠

وهنا أرى تسهيلا للبحث وتقريبا للمعنى الى مدارك الفـــرد العادى الذى اقصد افادته من هذا الكتاب ، ارى ان اقسم موضوع التربية الى اقسام ثلاثة ، ربما لم تكن اقساما او لم يكن تقسيمـا

بالمعنى الصحيح ولكنه على كل حال تقسيم تجبر عليه الحاجة وتسوق اليه الفائدة ، .. ارى ان نقسم التربية فى هذا المجال الى الاقسام التالية :

١) تربية تختص بالذكور من الابناء ..
٢) تربية تختص بالاناث من الابناء ..
٣) تربية يشترك فى التاثر بها الذكر والانثى على حد سواء ..

ونقصد هنا بالقسم الاول من هذه الاقسام ، تلك الوسائل التى يجب ان نتبعها فى تربية الذكور من ابنائنا والتى من شانها ان تخلق من الذكر عضوا نافعا مفيدا ذا اثر فعال فى تطوير حياته الخاصة وحياة مجتمعه وافراد مجتمعه بصورة عامة شاملة ، تربية تريه نفسه انسانا كامل الانسانية ورجلا كامل الرجولة يؤمن بان عليه رسالة حيال نفسه وحيال مجتمعه وحيال الاجيال القادمة من بعده ، عليه ان يبلغها بامانة واخلاص ، ولا يكل امرها لغيره من الناس والافراد ..

تربية تغرس فى روحه كل صفات الكمال الانسانى ، وحب الوطن والاشفاق على المواطنين ومواساة الضعفاء والمحتاجين والشعور بالام المساكين والمنكوبين ، فيؤمن بحياته ووجوده ومسئوليته فى هذه الحياة وهذا الوجود ..

تربية (اشتراكية) بالمعنى الكبير للاشتراكية تخلق منه فردا صالحا يحس بانه مسئول لاعما يرتكبه هو من الاخطاء فحسب ، بل وكذلك مسئول عما يرتكبه غيره من هذه الاخطاء اذا لم يسع جهده لاصلاحها او ايقافها ..

تربية اشتراكية بالمعنى الكبير لكلمة اشتراكية ، تجعل منه رجلا غير انانى رجلا يحب الخير للناس كما يحب لنفسه ويعمل لاسعاد غيره كما يعمل لاسعاد نفسه ، اشتراكية اساسها: (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) ..

ونقصد من القسم الثانى من الاقسام السابقة ، ان نربى الفتاة تربية تخلق منها الزوجة والام والمواطنة الصالحة والمربية الفاضلة الحازمة .. تربية تجعل منها الام المثالية المنشودة ، والمرأة التى

تخالف ما عرفنا من الوان النساء الذليلات الحقيرات التافهات ، تطالب بحقوقها وتعترف بواجباتها الانسانية المفروضة عليها بحكم كونها انسانة تعيش بين مجموعة من الناس عليها ان تتفاعل معهم وتمتزج بهم وتؤثر فيهم ويؤثرون فيها ، امرأة تؤدى واجباتها كاملة راضية طائعة غير مجبرة ولا مرغمة، وتطالب بحقوقها غير مبالغة ولا جامحة متهورة ..

تربية نحصل بواسطتها على نوع من النساء يمكننا الاعتماد عليهن فى كثير مما يسند اليهن من شئون الحياة الخاصة والعامة ،وفى استطاعتهن ان يشعن البهجة والنور فى بيوتهن بما يحملن من آراء وافكار متحررة لا تؤثر فيها الرواسب المتعفنة .. نوع من النساء متعلمات مطلعات عارفات يأبين الضيم والظلم والاجحاف لهن او لغيرهن وينفرن من الخنوع والاستكانة والمذلة والمسكنة ، ولا يرضين ان تفرض عليهن السيطرة المطلقة .. نوع من النساء يعملن لصالح الامة والمجتمع ولاسعاد الاجيال ولرفع مستوى حياتهن وحياة غيرهن من الناس ، ويطالبن فى غير خوف بما منحتهن الطبيعة من حقوق وما استوجبت لهن الحياة من مزايا وما اعطاهن الدين من اختصاصات ..

نوع من النساء يقدرن قيمة الحرية الفردية فى نطاق العقل والاتزان ، ولا يرضين بما دونها من اشباه الحريات ، او الحريات الفردية المشوهة الملوثة .. نوع من النساء اذا حصلن على قسط من العلم طلبن المزيد ، واذا حصلن على نصيب من الحرية تطلعن الى اكثر ..

هذان النوعان من التربية اللذان يجب ان نتبعهما فى تربية جيلنا الجديد ، واما القسم الثالث من اقسامنا الثلاثة وهو ما يمكننا ان نسميه (تربية مزدوجة) فهو نتيجة حتمية لهذين النوعين من التربية ومن تحصيل حاصلهما ، اذ انه فى حد ذاته نوع من التربية تعترف بوجود جنسين من البشر ونوعين من الناس يعيشان على ارض واحدة وفى مجتمع واحد يتأثران بمؤثرات واحدة ، يشعر كل منهما بما يشعر به الاخر ويجب ان يتمتع كل منهما بما يتمتع به الاخر وان يؤدى نفس الواجبات التى يؤديها الاخر ان لم تكن واحدة من حيث الكيف فهى

لا تختلف كثيرا من حيث الكم.. تربية تعترف بوجود الانسان رجلا كان او امرأة وبحقوق الانسان وحريته المطلقة التى لا يحدها الا حدود حرية الاخرين حرية الانسان فى الحياة وحريته فى الوجود وحريته فى التمتع بهذه الحرية الطبيعية.. تربية تعلم كلا الجنسين من الناس انه لا فرق بين جنس وجنس ولا فضل لجنس على جنس الا بمقدار ما يقدم كل جنس من أعمال وما يوءدى من واجبات.

.. تربية تعلم كلا الجنسين اللذين يتكون منهما المجتمع أى مجتمع ، انه يجب ان تتاح الفرص امام الجميع وان يكون هناك تكافؤ متساو فى هذه الفرص المتاحة حتى يستطيع كل فرد ان يثبت وجوده وان يثبت حيويته وان يثبت انسانيته ... فرص تتيح له ولها المجالات الكثيرة المتساوية فى ان يؤدى كل منهما رسالته كأحسن ما تؤدى الرسالات ، وفى ان يقوم بواجبه على خير وجه وأكمله .. تربية تتيح للجميع فرصا متساوية لخدمة المجتمع كل فى محيط اختصاصه .

هذه هى انواع التربية التى ننشدها بصورة مجملة ، وهى بلا ريب ، كما نعتقد ، لو تحققت لتحقق لنا معها الكثير مما ننشده لهذا المجتمع من التقدم والازدهار والرقى والتمدن، والتحرر من الرواسب والتخلص من الاغلال ...

فعلينا اذن ان نبحث وان نتعمق فى البحث ما وسعنا البحث والتعمق وراء كل منها لنرى صوابها ونتبين فوائدها .. ولنبدأ فى بحث القسم الاول الخاص بتربية الذكر ، ونرى تسهيلا للبحث وتقريبا له للاذهان ان نقسمه فى ذاته الى ثلاثة اقسام ، اولها **(التساهل)** اذ يجب عدم استعمال الشدة والقسوة مع الطفل فى غير محلها . ونحن حين نقول هذا انما نقصد من وراء قولنا غاية عامة وهدفا شاملا ، وهما سعادة المجتمع ورفاهية المجموع ، ولذا فاننا نتخذ فى كل بحثنا هنا ما يتعلق بالمجموع قاعدة عامة تمتد منها فروع فتشمل الفرد ..

ولهذا السبب نفسه قلنا يجب (التساهل) فى تربية الذكر من ابنائنا ... فالقسوة فى تربية الابن تربية الا وجود للعدل والشفقة

فى الحياة ، ولا رحمة او خير فى الدنيا ، فينشأ تبعا لذلك ، ومن جراء ذلك، نشأة بعيدة كل البعد عن **الديمقراطية** التى ننشدها، حتى انه اذا كبر وبلغ مبلغ الرجال ، فى الوقت الذى تكون فيه هذه الطباع او هذه النظرة قد رسبت فى ذهنه وتأصلت فى طباعه ورسخت فى مخيلته من وراء المعاملة القاسية التى كانت من نصيبه فى صغره ، يعامل بها من أقرب الناس اليه واحناهم عليهم ٠٠ اذا بلغ مبلغ الرجولة **واصبح ذا نفوذ او شبه نفوذ** ، فانه سينظر الى سائر الناس او على الاقل الى الذين واقعين تحت سيطرته من خلال تلك المعاملة التربوية الجافة التى ربى بها وعومل بواسطتها ، فيعامل كل الناس بمثل ما عومل به من طرف والديه ، وينظر الى الحياة والوجود من خلال المنظار القاتم الذى البس اياه وهو لا يزال فى المهد، وينشأ مبغضا للناس كافة مزورا عنهم متوجسا خيفة وحذرا ، ولذلك فهو يشك فى كل ما يقال له ولا يعتد الا برأيه ولا يرى الا ما يعتقد ظنا منه ان كل الاراء وكل المعتقدات الاخرى انما هى آراء جوفاء ومعتقدات خرقاء لا تمت الى الحقيقة والواقع بصلة هدفها السيطرة عليه والتحكم فى مصيره ٠٠

ومن هنا يكون احد شيئين :

اما طاغية مستبدا عنيدا متسلطا محاولة منه الانتقام لنفسه ٠

واما ضعيف الارادة مسيرا فى كل اموره صغيرها وكبيرها مسلما نفسه الى من هو اكثر منه قوة وعزيمة ٠

وبدهى جدا ان الرجل اى رجل اذا كان ذا شدة وبأس وسيطرة وغطرسة ، لا يجد ولا يمكنه ان يجد الميدان الذى يظهر فيه غطرسته واستبداده وسيادته ، الا هناك ٠٠ فى ذلك المكان المقدس ، او الذى يجب ان يكون مقدسا ٠٠ **فى بيت الزوجية وبين زوجه وابنائه وهنا** او من هنا تنشأ النكبة الاستبدادية التى نئن ونتوجع منها ٠٠ اذ سرعان ما ينقلب بيت الزوجية والحياة الزوجية المطمئنة الهادئة ، الى حياة عذاب وحرمان وقهر وشقاء وبؤس نتيجة الغطرسة والاستبداد ، وينقلب العش الهادىء الوديع الى ميدان معركة طاحنة ابدا مستعرة دائما متجددة يوما بعد يوم ٠٠ ميدان معركة فيها ضابط (زوج) يأمر فيطاع ، وفيها جنود مسخرة (زوجة واولاد) يؤمرون فيطيعون مجبرين

غير مخيرين ، عليهم الطاعة العمياء دون نقاش ولا جدال ٠

فالزوج فى مثل هذا البيت او هذه الثكنةلا يحس الا بوجوده ولا يشعر الا بنفسه فيجول ويصول ويأمر وينهى ويسب ويشتم دون ان يتوقع ان هناك من يستطيع حتى مجرد النظر اليه ، او يجرؤ على ابداء ملاحظة ولو عابرة ، ولا ثمة من يملك الشجاعة الكافية التى تمكنه من مخاطبته ٠٠

وهكذا ومن هنا يحدث التسلسل تسلسل عادة السيطرة الابوية المطلقة ، حيث تنتقل العدوى من الاباء الى الابناء ٠٠ الى الاجيال ٠٠

واما الزوجة والابناء فى مثل هذا المنزل الذى فيه السلطة المطلقة للرجل ، فانهم جميعا لا نفوذ لهم ولا صوت لانهم معتبرون غير موجودين اساسا ، وليس هناك قانون يحميهم من هذا التعسف ، ولا تربية تعيد الى الرجل المستبد شيئا من الرشد والادراك ٠٠

واذا الابناء يشاركون المرأة فى تحمل بعضا من هذا الظلم ، وان كان نصيبهم يكادلايذكر لوقورن بما تتحمله الزوجة باعتبارانهاامرأة والمرأة فى نظر مثل هذا الزوج لا كيان ولا وجود ولا انسانية لها ٠٠ وهى تتحمل كل تلك الالوان من التنكيل والعذاب والغطرسة والاستبداد ولا تتمكن من الشكوى **لان سيف (الطلاق) المجرد كل لحظة فى يد الرجل يستطيع ان يهوى به على رأسها** فى اية لحظة تخالفه او تفكر فى مخالفته فيها ٠

والطلاق كما اثبتت البحوث هو السلاح الفتاك الذى تخافه المرأة اكثر من اى سلاح اخر لانه فى حقيقة وضعه الراهن سلاح فى يد اشبه بيد الطفل الصغير الذى تضع فى يده شيئا ذا قيمة فيستعمله استعمالا يحط من قيمته وينقص من قدره ٠٠ ان المرأة لا تخاف شيئا فى الوجود كما **تخاف الطلاق الذى لم يكن مشروطا ولا مربوطا ولا** مقيدا بقيود تقلل من التلاعب به كل هذا التلاعب من اناس لايقدرونه ولا يفقهون معنى لتشريعه فى الدين الاسلامى ٠٠ الطلاق الذى هو رخصة شرعية اعطيت للرجل دون قيد ومن غير تنظيم ، بل ترك له

حرية استعماله. فاتخذ منه سلاحا يسلطه على رأس المرأة فى كل وقت.

ومن نتائج هذه التربية العقيمة تنقلب الحياة الزوجية الى جحيم تستعر ناره فتلتهم ضحاياها الابرياء بدون ذنب سواء كان ذلك من بين الابناء او من النساء الحرائر اللواتى أوصانا النبى بهن خيرا..

واذا كانت هذه الحال نتيجة حتمية لتربية الابن التى اتخذت فيها الشدة والقسوة وسيلة ، فنشأ الطفل انانيا متغطرسا متعجرفا ، فان النتيجة تكون عكس ذلك بالنسبة للابن الذى تتبع معه نفس الطريقة فينشأ ضعيف الارادة مغلوبا على امره آلة فى يد زوجته والكبار من ابنائه بجانب انه آلة فى يد الاصدقاء والوالدين ..

الزوجة التى تسيطر عليه وعلى حياته سيطرة مطلقة فتجعل منه اشبه ما يكون بـ (طرطور) توجهه حيث تشاء وتقوده انى تريد دون ان يتمكن من معارضتها او مجرد مناقشتها ..

والوالدان اللذان يتحكمان فى مصيره وفى حياته وفى كل ما يتعلق باخص خصوصياته ، يزوجانه متى ارادا له ان يتزوج ويطلقان منه زوجته اذا لم ترقهما ولم تأت كما كانا يتوقعانها ..

هذه نتائج **(الشدة الاستبدادية فى التربية)** وعلى الطرف الاخر تقابلنا مشكلة اخرى ، وهى عكس الاولى تماما ، فنقول (عدم) التساهل فى تربية الذكور من الابناء خاصة والاناث بوجه عام ، اذ هنا نجد ان الشدة واجبة وجوبا ... ويتضح لنا ذلك اكثر ما يتضح فى حب الطفل الاستيلاء على لعب غيره من الاطفال.. وهذه حال نراها فى حركات ابنائنا وتصرفاتهم ، فعلينا ان نهذب من هذا الميل الى التملك باستعمال شىء من الشدة ، حيث اننا نكون مسئولين امام التاريخ على ما ينتج من ويلات لابنائنا ومن يتصلون بهم من زوجة وابناء ، ومن هنا نجد ان العناية بتربية الابن تربية فيها شىء ولو قليلا من الشدة امر ضرورى تجبرنا عليه ضرورة الحياة الاجتماعية التى نهىء لها ابناءنا منذ نعومة اظفارهم ، فنحن لا نستطيع ان نضمن لهم حياة كلها رغد وكلها امكانيات للحصول على طلباتهم

ورغباتهم ، واذن فان اى طفل ينشأ متعودا على ان تلبى كل طلباتـــه ورغباته ثم يتزوج فان نتائج ذلك لا تعود على احد كما تعود عـــلى الزوجة المسكينة ، ذلك المخلوق المستضعف المهان المغلوب على امـــره المسلوب الارادة ، اذ انه من المستحيل المطلق ان يجد مثل هذا الرجل الذى دلل فى صغره ، كل الامكانيات التى تساعده على استجابةسائر طلباته كما تعود فى صغره ، ومن هنا يعود الى البيت ٠٠ الى المرأة ٠٠ الى تلك التى صورتها له تربيته العقيمة انها اضعف مخلوق على وجه الارض ، يعود الى المرأة ليستحوذ على كل ما يقع او ما تصل اليه يده من مالها ومتاعها متذرعا بشتى الاعذار متوسلا ان لم يكن معتمدا على قوته ونفوذه بكل الوسائل سواء كانت وسائل ترجى او وسائل قوة ٠

ومرة ثانية ينقلب بيت الزوجة الهادىء او الذى يجب ان يكـون هادئا الى جحيم لا يطاق وينقلب النعيم العائلى ان كان ثمة نعيم عائلى الى عذاب ضحيته المرأة والابناء المساكين ٠

ومرة ثانية لا تجد الزوجة ولا الابناء من يحميهم من استبـداد وغطرسة هذا الطاغية وبطشه وفتكه ، لان ليس هناك ما يمنعه من ان يشهر سلاحه (الطلاق) خاصة بعد ان يكون قد سلب الزوجة كل شىء ولم يبق لها شيئا ، ويعلن الحرب ويتحين الفرص للانقضاض والفتك بحثا وراء ضحية اخرى ٠٠٠ وفى الحالتين تكون الزوجة هى الخاسرة سواء رضيت بعيشة الذل والهون ، او هجرت بيت الزوجيـــة فيقال عندئذ انها هجرت بيتها واولادها لان زوجها احتاج اليها فلـــم تشأ ان تمد له يد العون ٠٠

والخلاصة يجب ان نربى ابناءنا الذكور خاصة **تربية ليست هى الشدة كلها ، ولا هى التساهل كله ولكنها شىء بين بين** ٠٠ تربية تعلمهم الاعتماد على النفس والشعور بالواجب واحترام الغيروالاحساس باحساسات الاخرين ٠٠ ومن قولنا الاحساس باحساسات الاخرين ، نصل الى القسم الثالث من اقسام تربية الذكور من الابناء كما شئنـا ان نقسمها ، ذلك هو (الشعور المشترك) ٠

فمن واجبنا التربوى ان نربى اولادنا **تربية انسانية**، والتربية الانسانية كما نفهمها لابد ان يكون فيها الفرد شاعرا بالام واوجاع الجماعة التى يعيش بينها ضمن افرادها ، ولا يكون كذلك الا اذا كان يحب الخير للغير كما يحبه لنفسه ويكره الشر عن الغير كما يكرهه عن نفسه ·· فاذا استطعنا ان نخلق هذا الفرد الشاعر بمشاعر الاخرين ، واذا تمكنا من ايجاد الفرد الذى يحس باحساسات الغير فيتألم لالامهم ويفرح لافراحهم فاننا بلا شك نكون قد قدمنا لا لمجتمعنا فحسب بل للمجتمع الانسانى كله جيلا من الانسانية المثالية ··

يجب ان نربى ابناءنا تربية تعلمهم كيف يحسون ويشعرون ويتألمون ويفرحون ويحزنون متفاعلين مع المجموعة الانسانية التى يعيشون فيها ، وبذلك نضمن وجود جيل يساعد المحتاج ويعطف على المنكوب ويواسى المريض ويعطف على الضعفاء ، فنكون قد وضعنا بذلك لبنة فى صرح المجتمع الانسانى الشامل ··

ثم ان فى تربيتنا للطفل مثل هذه التربية ، ما يجعل منه ذلك الرجل الكامل الرجولة ، الكامل الاحساس الكامل الشعور **الذى لا تستقيم له حياة على ذل وعبودية واستبداد** ، و لايستسيغ عيشا على اضطهاد وكره وقهر ، سواء ذلك فيما يخصه هو نفسه او فيما يتعلق بالجماعة المتفاعل معها تفاعلا كليا ، لا يستسيغ ذل القهر الذى خلفه لنا الاستعمار خاصة الاستعمار العثمانى البغيض الذى لم يورثنا شيئا كما اورثنا الخنوع والذل والمسكنة ·

وفى هذا اللون من التربية ما يخلق فى جيل قادم الفرد الذى لا يقدر شيئا ولا يقيم وزنا لشىء كما يقدر ويقيم وزنا للمقدرات الفردية المكتسبة والموروثة التى اشرنا اليها فى فصل سابق ، وقلنا هى طريقنا الوحيد لتخليص مجتمعنا من رواسب الماضى وتذبذب الحاضر ومن تلك القاذورات التى ورثناها عن الاستعمار بشتى الوانه واشكاله ، والتى جعلتنا لا نقدر شيئا كما نقدر الجاه والسلطان والمال والثروة ·

وعلى هذا الاساس من تقدير الشعور المشترك بين سائر الافراد والعمل على غرس هذه الروح فى نفوس الاطفال منذ الحداثة ، يمكننا

ان نوجد شعورا انسانيا واحدا بين سائر الافراد والطبقات ، فلم يعد هناك مجال لتمايز الطبقات ولا مجال لتقدير سوى المقدرات الفردية والكفاءات الانسانية المحضة ٠

وبعد ، هذه ثلاث نقط اوردناها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، واولياها شيئا من التفصيل والنقاش فى حدود الامكانيات الضيقة ، وقلنا انها ركائز يصح ان نعتمدها فى تربية ابنائنا من الذكور لنخلق منهم جيلا صالحا لمجتمع افضل ٠٠ ولكن لو امعن فيها القارىء النظر لوجدها لاول وهله انها وان كانت تمس الذكور فانها كذلك ليست بعيدة عن الاناث وان كان اثرها يتضح اكثر ما يتضح فى الذكور ، وهذا ما جعلنا نقول انها خاصة بالذكور دون الاناث ، وراجع كذلك الى اعتبارات لا نظنها تخفى على فهم القارىء، منها ان الذكر اى ذكر له المرتبة الاولى فى الحياة وفى المجتمع ، فعلينا ان نهتم بتربية الذكور ، لا اقول اكثر من اهتمامنا بتربية الاناث ولكن نقول قبل اهتمامنا بتربية الاناث نظرا لان مجتمعنا فى طور انتقال يعتمد فيه على الذكر أكثر من اعتماده على الانثى ٠

واذا كانت هذه هى النقاط الاساسية التى ركزنا عليها بحثنا هذا فان ذلك لا يعنى مطلقا انها كل شىء واخر شىء فيما يختص بتربية الابناء الذكور ، بل ان هناك نقاطا كثيرة اخرى نذكر منها ما يلى ، تاركين بعضها الى ظروف وامكانيات كل حالة على حدة :

الاعتماد على النفس ـ التخلق بالاخلاق الفاضلة ـ حسن المعاملة ـ الغض عن الهفوات البسيطة التى يرتكبها معنا الغير والتى يمكن اصلاحها ـ مقابلة الاحسان بالاحسان ٠

هنا نظن اننا قد ادينا قليلا من واجب مفروض علينا اداؤه فيما يتعلق بتربية الذكور ، فلننتقل اذن الى خوض مشكلة تربية الفتاة ، وهى كذلك تسهيلا للبحث نقسمها الى اقسام ٠

تربية منزلية ـ تربية زوجية ـ تربية تربوية ٠

ان هذه الخطوط العريضة من الوان تربية الفتاة ، ان هدفت

الى شيء ، فانما هى تهدف الى خلق وايجاد المرأة المثلى للمجتمع الفاضل ثم انها لا تتعدى حدود الخطوط العريضة التى يمكن ان تدخل عليها عدة تفاصيل اخرى فتزيدها توضيحا وتزيدها تسهيلا ..

ونحن هنا سنناقش هذه الخطوط العريضة مناقشة فيها شيء من التوسع وشيء من الافاضة نظرا لاننا نعتبرها اسسا يمكننا ان نسير عليها فى حياتنا العامة ، وهذه المناقشة والتوسع انما تجبرنا عليها حالة اخرى تتعلق بالمرأة وبكيان المرأة الاجتماعى ، ذلك اننا نرى المرأة هنا وفى غير هذا المكان جزءا من الكيان البشرى وعضوا فى الهيئة الاجتماعية وركنا فى البناء الانسانى ، ودليلنا على ذلك ان الله تعالى قد خلق المرأة منذ خلق الرجل لانه سبحانه كان يعلم مقدار احتياج كل منهما الى وجود الاخر الى جانبه يشد ازره ويسانده ويسير واياه فى هذه الحياة جنبا الى جنب، فلا يمكن لاحدهما ان يستغنى عن الاخر **(ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)...**

ولانه كذلك كان يعلم ان كلا منهما يشعر بنقص فى طبيعة تكوينه ووجوده وحياته لا يمكن لاى مخلوق ان يتمه له الا النصف الاخر الرجل او المرأة ، ولذلك فلا يمكن لاحدهما ان يعيش بمفرده ، ومن غير ان يكون نصفه الثانى الى جانبه يشجعه ويبث فيه القوة والعزم واليقين .. فكلاهما فى نظر الطبيعة جزء لا يتجزأ عن الاخر ، وكلاهما جزء متمم للنقص الموجود فى الاخر منذ الازل ومنذ ان وجد كلاهما على وجه هذه الارض ..

ويكفينا ان نلقى نظرة على حياة احدهما ذكرا كان او انثى، فتتضح لنا الروابط المتينة القوية الطبيعية التى تربط بين هذين المخلوقين ، وحتى نرى مبلغ احتياج كل منهما الى الاخر ، رغم انوف المتشدقين بعكس هذا القول المحبذين لحياة الانفصال او الفصل بين الجنسين ..

يكفينا ان نلقى نظرة على حياة اى رجل يعيش وحده بمفرده دون ان تكون الى جانبه امرأة ، اية امرأة ، تدفعه بكلتى يديها الى الامام الى

الخلق الى الابداع الى الانتاج المثمر المفيد ، وتشيع فى حياتة النـور والبهجة وتملأ روحه ونفسه طمأنينة وهدوءا واستقرارا ، ان أى رجل تكون حياته خلوا من مثل هذه المرأة ، لا مراء انه يعيش حياة كلها شقاء ووحدة ووحشة وحرمان وبؤس وعذاب ، فالطبيعة التى ركبت فيـه الشعور والميل الى المراة ، تأبى الا ان تشعره بضرورة وجود المراة الى جواره تبعث فيه الدفء والراحة والسمو ..

وليست الحال بالنسبة للمرأة تختلف عنها بالنسبة عند الرجل بل ان حاجة المرأة الطبيعية الى الرجل اكبر من حاجة الرجل الى المرأة باضعاف ، فالمرأة كما شاءتها الطبيعة ان تكون ، مخلوق حساس وحساس جدا تؤثر فيها النوائب والاحن والمصائب والوحدة اضعاف ما تؤثر فى الرجل ، ولذا فهى لا تحس بالراحة ولا تشعر بالطمأنينة والهدوء الا اذا احست بجانبها رجلا يدافع عنها ويشاركها شعورها واحساساتها المختلفة المتباينة ، بعقله وقلبه ووجدانه وعاطفته وروحه قبل ان يشاركها كل ذلك بجسمه .

وهى تشعر دائما بالضعف والاستكانة ، ما دامت تحس بفراغ حياتها من الرجل اى رجل يدخل على قلبها المسرة ويملأه بالحـب والحنان والعطف والمشاركة الوجدانية .

فدور المرأة اذن ، او حكمة وجود المرأة فى الحياة حكمة بالغة ، تضح مما اسلفناه ، فضلا عما يحدثه وجودها وامتزاجها بالرجل من استمرار للحياة وعمران للكون ..

ومن هذه النظرة الانسانية الشاملة التى نرى عليها المـرأة ، رأينا ان نولى مسألة الاهتمام بتربيتها كبير عنايتنا علنا نتمكن بذلك من ايجاد هذه المرأة التى نطلبها فى حياتنا العامة والخاصة : العامة بالنسبة للمجتمع ، والخاصة بالنسبة للبيت والزوج والاولاد ، فمن تربيتنا اياها تربية تربوية نخلق منها العضو الفعال فى الحيـاة الاجتماعية يمكنها معها ان تمد المجتمع بالجيل الصالح الذى يفيـد المجتمع ويسير به الى الامام ومن تربيتنا لها تربية منزلية نخلق منها

الانسانة التى تعيش متفهمة لحياتها البيتية ومهمتها المنزلية فلا تعيش وهى تجهل مثل هذه الامور الضرورية فى حياتها الخاصة ، كما انه فى تربيتها الزوجية نخلق منها تلك الزوجة التى نطلبها فى مجتمعنا ولا نجدها ، الزوجة التى تعرف كيف تسعد زوجها وكيف تحترمه وكيف تجعله يحترمها احتراما متبادلا بينهما ..

وما دام لكل لون من هذه الالوان التربوية الثلاثة هدف يهدف اليه فان ذلك ما اجبرنا على ان نقسم موضوع تربية الفتاة الى اقسام ثلاثة ... ولنبدأ بالقسم الاول :

التربية المنزلية :

ان للتربية المنزلية اثرا عظيما واى اثر فى حياة الفتاة ، زوجة كانت او اما او اختا ، كما ان لها اثرا بالغ الخطورة فى حياة الامم والشعوب وتقدم الهيئات والمجتمعات ، لذا وجبت العناية بهذه الناحية من المختصين والمسئولين والمهيمنين على شئون التربية فى كل مجتمع وفى كل جيل ..

ان التربية المنزلية فى حقيقتها هى تلك التى تساعد الفتاة على تفهم رسالة وجودها ، وعلى وعى المطلوب منها ازاء الحياة والوجود والاجيال القادمة ، اذ بواسطة هذا اللون من التربية تتمكن الفتاة من فهم المطلوب منها ازاء بيتها وازاء زوجها وازاء اولادها ، وهى التى تريها (اذا احسن تصريفها) **ان البيت هو مملكتها الوحيدة التى لا يشاركها فى تصريف شئونها والسهر على تنظيمها وتنسيقها ، ومهما كان مقدار صلته ومقدار ارتباطه بالبيت ، فهى المسؤولة الاولى والاخيرة على كل المشاكل التى تحدث داخل هذه المملكة وهى المسؤولة الاولى والاخيرة عن كل ضرر يحدث فى نظام سيرها ونظام كيانها** ولها وحدها يرجع الفضل فى كل ما يصيب هذه المملكة من تقدم ورفاهية وازدهار ، لان كل ذلك من صنع تفكيرها وعقلها ونضجها ووعيها ..

فعلينا والحالة هذه أن نغرس فى نفس الفتاة الشعور (بالثقة التامة) الكاملة فى المقدرة الفردية .. المقدرة الانسانية على تحمل

كل الصعاب ومواجهة كل المشكلات وايجاد كل الحلول لما يعترض الحياة الخاصة المنزلية من مشاكل قد تكون من صنع المرأة نفسهاوقد تكون من صنع الرجل او الاولاد ٠٠ ونحن مجبرون على ان نغرس فى نفس الفتاة الشعور بهذه المقدرة الفردية المترتبة على شعورها بانسانيتها وبوجودها وبمشاركتها الرجل فى سائر امور الحياة اليومية ، فواقع الحياة الملموس المشاهد اراانا ان اى انسان لا بد ان يحس بالضعه والاستكانة مادام يحس فى نفسه احتياجه لمعونة الغير ومساعدته ومساندته ، خاصة اذا كان احتياجه ذلك ينحصر او يشمل أخص خصوصيات حياته اليومية المتتابعة ٠

فالانسان أى انسان لا يرى نفسه كفؤا للحياة الحرة الكريمة وللتمتع بما فى هذه الحياة من متع مباحة ما دام فى قرارة نفسه يحس باحتياجه الى معونة غيره او مساعدته ٠٠

فالمرأة التى لا ترى فى نفسها المقدرة التامة والكفاءة الكلية فى القيام بواجبات حياتها اليومية المنزلية المختلفة وتحس انها فى مسيس الحاجة لان تسترشد بالغير ولان تطلب المعونة من الغير ، لا يمكنها ان تحس او تشعر ابدا بانها انسانة كاملة الانسانية فى غنى عن مشورة الغير ٠٠ واعتقد ان افتقارنا الى هذا اللون من التربية هو ما جعل نساءنا لا يشعرن بوجودهن ولا يحسسن بمسئوليتهن فى النهوض بالمجتمع ومشاركة الرجل فى رفع مستواه ، فما دامت المرأة لا تشعر بوجودها ولا تحس بكيانها ، فانها لا يمكنها ان تحتل مقعدها أو مكانها فى القافلة السائرة الجادة سواء كان ذلك فيما يتعلق بحياتها المنزلية الخاصة او بحياتها الاجتماعية العامة ٠

واذن فان تعليم الفتاة كل الوان النشاط المنزلى كالطهى والخياطة والتطريز وغيرها من شؤون المنزل، مما يساعدها فى مقتبل ايامها على مواجهة الحياة بعزيمة وقوة وارادة ، بالاضافة الى ان تعلمها مثل هذه الامور المسلم بوجوب تعلمها، يغرس فى نفسها الثقة والشعور بالمقدرة وتحمل المسؤوليات الحياتية ، ومن ثم يكون طريقها الى التحرر من التبعية ، فالاهتمام بهذه الناحية لا يعود بالفائدة على الفتاة فحسب، بل انه يعود على المجتمع بأسره اذ يخلق فيه عقولا

نسائية مدركة لواجبها المنزلى ومقدرة لمسئوليتها الاجتماعية وبالتالى قادرة على مواجهة الحياة بعزيمة وصدق وشجاعة ..

ومن الوان التربية المنزلية ، الاهتمام بالشؤون الاجتماعيـــة العامة ، فالفتاة التى لا تربى منذ الصغر على الشعور بالحياة خـــارج المنزل تماما كتربيتها على الشعور بالحيدة داخله ، قل ان تكون عضوا فعالا فى الحياة الاجتماعية العامة ...

وهنا يحضرنى سؤال وجهته لى انسة فى فترة من الفترات وكنت اذ ذاك اسود هذا الموضوع بالذات اذ قالت: **(اذا كانت امهاتنا يجهلن كل ما تدعو اليه ، فكيف يستطعن ان يربين بناتهن مثل هذه التربية التى تطالب بها؟)** ..

واجبتها بما معناه :

ان امهاتنا لم يساعدهن الحظ على وعى مثل هذه الامور الضرورية حتى يتمكن من تربية اخواتنا او زوجاتنا عليها ، غـــير انه يجب ان يلاحظ ان دعوتنا هذه لا تنسحب على الامهات بقدر مـــا تنسحب على الفتيات فنحن حين ندعو الى هذا اللون من التربية انما نقصد مـــن ذلك ان تعمل به اخواننا وزوجاتنا مع بناتهن ، واخواتنا وزوجاتنا انما يتلقين ذلك من المدارس والكتب والمطالعات المختلفة التى تزيدهن وعيا وفهما وادراكا .

واذن فان أملنا لا ينعقد على أمهاتنا، وانما هو ينعقد على المدارس والمدرسات فى نشر هذه الطرق التربوية الحديثة التى تساعدنا على خلق وايجاد جيل فاضل لمجتمع أفضل ..

ونحن هنا ورغم اننا غير راضين ولا مقتنعين باعمال المرأة عندنا ونطالبها كل يوم بالمزيد لاننا لم نر منها ما يطمئننا ، الا اننا نؤمن بان لدينا نهضة نسائية مباركة خاصة فى حقل التربية والتعليم ، ممـــا يجعلنا نؤمل خيرا وأى خير فى جيلنا النسائى القادم ، وذلك الامـــل يراودنا عندما نلتفت الى مدارسنا ونأخذ من احصائياتها لسنة ١٩٥٦ ان عدد الطالبات فى ولاية طرابلس (٧٠١٨) طالبة ابتدائية ، فهذه النواة من رائدات المستقبل هن اللائى يمكننا ان نعتمد عليهن فى اتباع أحدث الطرق التربوية لتنشئة جيل جديد صالح .

ونحن حين نقول هذا ، وحين نعتمد على المدارس والمدرسات والحريجات ، فاننا فى واقع الامر لا نعتمد اعتمادا كليا على مدرساتنا الحاليات ،حيث اننا نعلم انهن ابعد مايكن عن تفهم حاجتنا التربوية، لانهن فى الواقع لم يحصلن على ثقافة تؤهلهن للقيام بهذه المهمة الصعبة المتشعبة ، ولكن الامل انما نعلقه على الطالبات انفسهن ، ذلك لان كتب التربية اصبحت تملاء الاسواق وتزدحم بها المكتبات ، وفى استطاعة الطالبة التى نالت ولو قسطا ضئيلا من التعليم (الثانوى) مثلا ان تواصل تحصيلها ولو بمفردها اذا لم تساعدها الفرص على مواصلة دراستها ومن خلال هذه الدراسة يمكن ان يتكون لدينا جيش من ربات البيوت ٠٠ ان ما نلحظه اليوم من تلهف الفتاة الليبية على العلم والتعلم لما يجعلنا متفائلين بقرب اليوم الذى نرى فيه فتياتنا قد اصبحن ربات بيوت من الدرجة الاولى ، فرغم ان الفتاة الليبية لم تملك الشجاعة بعد التى تدفعها لخوض الكثير من ميادين الحياة العامة الا أنها تملك شيئا لا بأس به من حب الاطلاع وحب الاستزادة من المعرفة ، وهذا مما يجعلنا متفائلين بالمستقبل القريب الذى ينتظرها ٠٠

فالعلم والمعرفة والاطلاع ،امور وحدها تساعد الانسان على بلوغ ما تصبو اليه نفسه من تقدم ورقى ، وايمان الفتاة الليبية بهذه القيم العلمية المجردة، وتعطشها للنهل من منابعها المختلفة ، هو ما يجعلنا نؤمل فى مستقبلها خيرا ٠٠

ونحن نعلم أن بنات مدارسنا اليوم هن اللائى سيكن فى القريب أمهات ورائدات الغد، ومنهن ستنبع سعادتنا الجماعية والفردية، فرغم الخوف والجبن والاتكالية التى نلاحظها عليهن الان ، كنتيجة حتمية للتربية العقيمة التى تسيطر على عقولهن، رغم ذلك فانه لاشك سيكن فى الغد رائدات ومرشدات بعد ان يأخذن نصيبا من العلم والمعرفة والاطلاع وتتفتح عقولهن ومداركهن على ما فى الحياة من الوان الحيـة ٠

ولكن هل يمكن لشىء من ذلك ان يتحقق اذا لم نتعاون ونتآزر رجالا ونساء ؟ ٠٠ لا اعتقد ٠٠ ولذا فلا مناص من ان نشجع نصفنا الثانى ونحثه لا على التعلم فحسب ، ولكن على الثورة والنقمة والاندفاع ايضا ، حتى نستطيع ان ناخذ بيد المراة الى مدارج الكمال الانسانى

ونرقى بها الى مصاف الانسانية الكاملة ، ولابد ايضا للوصول الى ذلك من ان نواصل العمل ونواصل الكفاح ونواصل نشر الوعى بالكتابات والمحاضرات والندوات ، وحتى نتمكن بالاضافة الى ما ذكر من غرس بذور الثورة الاجتماعية على الاوضاع المريضة المتعفنة فى نفوس النساء فنجعلهن يؤمن بوجودهن ويؤمن بمقدرتهن ويشعرن بمسؤوليتهن التى لا يمكن لاحد أن يتحملها عن هن ..

ونحن حين ننادى هنا بوجوب تفهم المرأة لرسالتها المنزلية ، وحين نلح ونكرر الحاحنا فى وجوب تعليمها كل ما يتعلق بالمنزل ، فان قولنا هذا لا يتنافى ابدا مع المبدأ الذى اخذناه على عاتقنا وهو ان المرأة لم تخلق للبيت والفراش فحسب ، وانما خلقت لتشارك الرجل كل ميدان من ميادين الحياة العامة ، وانما نحن نقول ما قلناه لاننا مؤمنون أن المرأة خلقت للبيت تماما كما خلقت للشارع ، وان كانت رسالتها المنزلية قد تسبق رسالتها «الشارعية» وان أية امرأة لا يمكنها ان تؤدى رسالة الشارع او تقوم بمهام الشارع قبل ان تكون واعية لمهام البيت وواجبات البيت، ذلك لان رسالة البيت سابقة بالنسبة للمرأة عن رسالة الشارع ولان رسالة الشارع انما تنتج عن رسالة البيت ، فمتى وعت المرأة المطلوب منها داخل البيت امكنها بعد ذلك ان تعى ما هو مطلوب منها فى الشارع فالمرأة التى لا تكون ناجحة موفقة فى حياتها المنزلية قل ان يصاحبها التوفيق او النجاح فى رسالتها الاجتماعية خارج البيت ..

فالمرأة التى لا تعرف من البيت الا حياة الترف والراحة والنعيم ، قط لا تكون موفقة فى أداء الواجب الاجتماعى مهما أوتيت من قوة ومهارة ومقدرة ، بل يجب علينا ان نعلمها ان رسالة المنزل بجانب انها رسالة انسانية ، فكذلك فيها شىء بل كثير من التعب والتضحية والجهاد ..

ولكى نتمكن من تربية المرأة هذه التربية المنزلية الصحيحة التى تريها الحياة على حقيقتها دون تمويه ودون تزويق ، **علينا ان نعرف ان المرأة جزء من كل كيان الحياة والمجتمع والرجل...** علينا ان نمنحها الثقة فى نفسها سواء كانت فتاة او زوجة او أما .. علينا ان نشعرها بانها جزء منا لا يمكننا ان نستغنى عنه فى يوم من الايام .. علينا ان نجعلها قادرة بما نوليها من عناية واهتمام ، على

القيام بما اناطته بها الطبيعة من مهام وما وضعت على كاهلها من اعمال ·· علينا الا ننظر الى المرأة نظرة شك وريبة وخوف ، فنسلبها الثقة بنفسها ثم نطلب منها ان تمنح الثقة للاخرين ··

ان ثقة الانسان بنفسه وثقته بمقدرته هى التى تدفعه للعمل والانتاج ، والقيام بالواجبات المنوطة به واداء المهام المطلوبة منه، وهى التى تجعلنا نتحمل المسؤوليات فى مقابل ما نشعر به من ثقة ومقدرة ··

و لمرأة انسانة ·· فهل يمكننا ان نطالبها باعمال ونحن سلبناها ثقتنا فيها وجعلناها موضعا لشكنا وريبتنا وخوفنا من تصرفاتها واعمالها ؟·

المرأة انسانة ·· فهل يمكن للانسان ان يؤدى واجبه على الوجه الاكمل وهو يفتقر الى ثقة الناس به والى ثقته بنفسه ؟··

المرأة انسانة ·· فهل يمكن لانسان ان يحس بالراحة والسعادة والطمأنينة وهو يشعر بان الثقة منزوعة منه ، وبانه موضع للمراقبة ؟ ··

فاذا اردنا ان نخلق من المرأة امرأة بالمعنى الصحيح ، واذا أردنا أن نجعل منها عضوا منتجا فعالا يمدنا بالمواطن الصالح ، علينا ان نمنحها ثقتنا تامة فيها ، فنشعرها بثقتها فى نفسها ،ونشعرها بمقدرتها على الخلق والانتاج والعمل ·· فالانسان لا ينتج ولا يخلق ولا يعمل الا اذا كان واثقا من مقدرته الفردية شاعرا بثقة الناس فيه ··

المرأة كما اسلفنا ، هى الانسان الوحيد الذى يستطيع ان يكيف الحياة المنزلية حسب مشيئته وحسب ارادته وكما تملى عليه رغباته وميوله وآراؤه وافكاره ··· وهى التى تستطيع ان تجعل من البيت الزوجى نعيما او تخلق منه جحيما انها (نور أو نار) نور يضىء أو نار تحرق ··

والمرأة دائما وبطبيعتها تفضل ان تكون نورا بدلا من ان تكون نارا ، فكيف يمكنها ان تصل أو أن تجعل من نفسها نورا يشع ويضىء ؟ ··

ان ذلك يتوقف الى حد كبير على نوع التربية المنزلية التى نربى بها الفتاة ، والى الثقة التى نمنحنا للفتاة، كما يتوقف على معرفتها واطلاعها على النقاط التالية :

١ ـ أن تكون مستعدة للتضحية وللبذل بما تطالبها به الحياة من كد وعمل ومثابرة ومسايرة وتفاعل مع الحياة ٠

٢ ـ ان تدرك ان الحياة تطلب الكثير وقد لا تعطى الا القليل ٠

٣ ـ أن تنسى الانانية والاثرة وتميل الى المحبة والايثار ٠٠

واذا انتهينا من بحث نوع التربية المنزلية التى نطلبها للفتاة فاننا ننتقل الى النوع الثانى أو القسم الثانى من أقسام تربية الفتاة:

التربية الزوجية :

الواقع ان فى بيئتنا هذه وفى مجتمعنا الانفصالى هذا لا تنشأ علاقة ذات أثر بين الازواج ، فاى زوجين تربط بينهما الحياة بذلك الرباط الذى يسمونه عقد الزواج ، قل ان تكون بينهما اية صلة او معرفة قبل ليلة الدخلة ، بله الاتصال والاختلاط والتعرف ، خلافا لما هو موجود وحادث فى غير مجتمعنا الانفصالى هذا الذى يعيش على رئة واحدة ، ففى تلك المجتمعات يحدث الزواج بعد تعارف وبعد خبرة وبعد اطلاع نتيجة الاختلاط والامتزاج ، وما ذلك التنافر والتباعد والانفصالية التى نعيشها مرغمين مجبرين الا نتيجة حتمية لعادات وتقاليد اجبرنا على اتباعها وتقديسها والمحافظة عليها ٠٠ ونتيجة لهذا التباعد والانفصالية المقوتة نشأت فجوة عميقة مرعبة وهوة واسعة مخيفة بين الذكور منا والاناث لا تزال سببا فيما ينشأ فى مجتمعنا من شذوذ وميل عن جادة الاخلاق والفضيلة ، بعكس المجتمعات المتحررة التى تبيح الاختلاط والانطلاق سواء ذلك فى المدرسة او فى البيت او فى المجتمع ٠٠ وبهذه الطريقة التى لا تعرف ولا تقر التمييز بين الجنسين اللذين تتكون منهما المجموعة البشرية ، يتزوجون وكل من الزوجين مطلع على سلوك الاخر وعارف لميوله وآرائه وافكاره وآدابه واخلاقه ٠٠٠

كل هذا نجده فى المجتمعات المتحررة المؤمنة بانسانية المرأة فى حين نجد فى مجتمعنا يتزوج الزوجان وكل منهما يجهل لا ميول الاخر وآراءه فحسب بل انه يجهل حتى مجرد شكله وهيئته وصوته، واكثر من هذا ان الزوجين يتزوجان ، او يزوجان بتعبير ادق ، وكل منهما ، خاصة الفتاة **تجهل حتى مجرداسم الرجل الذى بيعت له ،** لولا ما يضللهما من افواه الناقلين والناقلات ، التى تكون فى غالب الاحيان غير صحيحة اما لجهل واما (لغرض) حسب اهواء الناقل وميوله ورغباته...

وهكذا فان هذا الجهل ، او نتيجة لهذا الجهل ، المتكامل بين الازواج ، فان الزيجة لا تقام على اسس متينة وقل ان تحدث الالفة والانسجام الضروريان بين الازواج ، الا فى النزر اليسير الذى لا حكم لـه ، وفى الحالات التى يكون فيها كل من الزوجين قد ربى تربية زوجية متينة قوية ، اطلعته على كل ما تتطلبه منه هذه الحياة الجديدة التى هو منتقل اليها ، وما تفرضه عليه من واجبات مقدسة ومن نسيان للذات ، وعدم اقامة كبير وز نلملاذ النفس التافهة ، اذا كان يريد ان يحدث الايلاف المنشود بينه وبين زوجته ...

ونحن نعتقد ان فشل الزواج عند غيرنا من الامم انما يرجع فى اغلب الحالات ، الى جهل احد الزوجين او كليهما بقواعد واسس هذه الحياة السامية النبيلة ، والى ان كلا منهما يدخل محراب هذه الحياة دون ان تكون لديه اية فكرة عنها، والى عدم اهتمامهما بما توجبه عليهما من تضحية .. ونعتقد كذلك ان تضحية المرأة فى هذا المجال يجب أن أتكون أكبر واعظم من تضحية الرجل ، وان فهمها لهذه الحياة يجب ان يكون اكثر من فهم الرجل ، لان الطبيعة الانسانية قد القت على كاهل المرأة من المسئوليات اكثر بكثير مما القت على كاهل الرجل وميزت الرجل بميزات جعلته بمنأ ، نوعا ما عن نتائج ما يحدث داخل البيت ، من تلك التمييزات ما اباحه لـه الدين من الجميع بين اكثر من امراة واحدة ، وما احله له الدين من الطلاق ، طلاق كل زوجة لا تروقه ولا تعجبه حتى بدون ان تكون هناك مسببات له .. ونعلم ان المرأة بلغت ما بلغت من التسامح لا ترضى ابدا ان تقاسمها امرأة اخرى حب زوجها وتشاركها عطفه وحنانه ومودته ، وهى تود ابدا ان تحتفظ بزوجها لها وحدها لا يشاركها فيه اى مشارك ولو كانت امه او اخته ... نحن نعلم هذا

ونعلم ايضا ان الرجل الشريف النظيف لا يجمع بين زوجتين او اكثر الا لظروف قاهرة لا يمكنه تفاديها ، كان يرى فى ذلك ما يخفف عنه من وطأة العذاب الذى يعيشه والذى لم يكن منشأه الا جهل الزوجة لابسط مقتضيات الحياة الزوجية ، وتود ان يبقى الى جانبها مدى الحياة من غير ان تخاف الطلاق العلنى او السرى واقصد بالطلاق السرى الطلاق (الروحى والعقلى) وهو ما عبر عنه القرآن بقوله (فتدروها كالمعلقمة) ومن غير ان تخشى (الضرة) ، كيف تتمكن من ذلك فى وقت نعلم فيه ان التعرف قبل الزواج الذى يساعد على كل هذا غير ممكن ولا ميسر لاحد ؟..

ونجيب ، مادام التعرف الشخصى الذى ينتج عن الاختلاط والامتزاج ، والذى ينتج عنه الاختيار الصحيح غير ممكن وما دامت الاتصالات والتعرفات من الامور المستحيلة فى مجتمعنا الانفصالى وما دمنا نسعى لايجاد حياة سعيدة فى حيواتنا الزوجية فلا شىء يمكننا من ذلك ، سوى التربية المقامة على الفهم والوعى الناضجين . التربية الزوجية التى يجب ان نربى عليها فتياتنا منذ الصغر والتى تعلمهن معنى الحياة الزوجية ومعنى الزواج، فنستعيظ بهذه التربية عن لاختلاط والتعرف لوقتما

فعلينا ان نربى الفتاة تربية يمكنها بواسطتها ا ن تعرف معنى **الزواج وتقدر الحياة الزوجية** ، وتعرف معنى البيت والزوج والاولاد معنى البيت الزوجى الذى يعود اليه الزوج بعد يوم كامل من العمل والكفاح فى سبيل سعادة من فيه ، ليجد راحته وهناءه وطمأنينته ، لا ليجده محلا للفوضى ومرتعا للمتاكب وميدانا للصراع والنزال .. علينا ان نربيها منذ الحداثة تربية تعلمها كيف تخلق فى بيت الزوجية ذلك الجو الساحر الذى يوحى للزوج بانه ليس مكانا **للمبيت والاكل والفراش فحسب**، بل انه مكان هادىء يلتجىء اليه ليستظل بظله ويهدأ فى جو هدوئه ، كلما لفحه هجير الحياة القاسية العاتية ، فلا يضطر للبحث عن **النادى والسينما والمقهى ..** وتعلمها كذلك كيف تخلق من نفسها انسانة لا مجرد خادمة للطبخ والكنس والتنظيف والتربية ، ولا مجرد آلة للتفريخ ، ولا مجرد **جسد فى الفراش ودمية للتسلية ، فان كل ذلك مما يدفع الزوج الى البحث عن النوادى وهجر المنزل والبحث عن الاصدقاء والصديقات** ايضا وكل ذلك مما ينزل بمكانة المراة الى الحضيض ويجردها من كل معانى الانسانية السامية ويضعها فى مرتبة ادنى من مرتبة الحيوان ..

ولا اظننا نكون مغالين اذا قلنا ان اكثر من (٩٩٪) من بيوتنا الزوجية ، فى نظر الازواج ، انما هى عبارة عن فنادق للنوم ومطاعم الاكل واماكن للاشباع الشهوانى تحت ظل الدين والقانون وميادين للسيطرة على النساء ٠٠ و لانظن الرجال ملومين فى هذه النظرة لان تربيتنا للفتاة هى التى ساعدت على ايجاد بل خلق هذه النظرة من الرجل الى بيت الزوجية المقدس ، فجهل الزوجة لابسط ما تتطلبه منها هذه الحياة ، وجهلها لما يجب ان تكون عليه فى هذه الحياة وعدم معرفتها لان تكيف نفسها وتكون اكثر من امرأة واحدة اى اكثر من زوجة وخادمة ومربية ، بل يجب ان تكون الى جانب ذلك صديقه ورفيقة وزميلة وعشيقة لزوجها ايضا ، ليجد فيها كل الوان المراة التى يبحث عنها ٠٠ جهل المراة لكل هذا هو ما صرف الرجل عن بيت الزوجية وهو ما جعله ينظر اليها هذه النظرة المزرية

ولا اخالنا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان شيئا من ذلك الفهم والوعى لحقيقة الزواج والحياة الزوجية لن يتأتى لفتياتنا الا عن طريق التربية الزوجية الصحيحة ، التى تريهن الحقائق واضحة وتجلو امامهن الواقع فى ابسط مظاهره ، ٠٠ تلك التربية التى تساعدهن على ايجاد الجو المشبع بالتفاهم والتوادد والتحابب بينهن وبين ازواجهن ٠٠٠ ولا نكون مغالين مرة اخرى اذا قلنا من الاجحاف ان ننكر ما لمثل هذه التربية من عظيم الاثر فى خلق التجاوب الروحى والعقلى والعاطفى ، وفى ايجاد الشعور المشترك المتبادل بين كل زوجين فهذه التربية فى نظرنا ، المبنية على اسس وقواعد متينة ، من الفهم الصحيح لمقتضيات ومتطلبات الحياة الزوجية ، هى وحدها ما يبصر الفتاة بمعنى الزواج والغاية منه ومن وجودها الى جانب رجل مصبحة وممسية ، ويطلعها على خفاياها

وعلى هذه الاسس فاذا اردنا الاستقرار والاستمرار لحيواتنا الزوجية فى جو من التفاهم التام والتقدير والاحترام المتبادلين بين الازواج ، حتى لا يتطرق الملل والسأمة الى احد الزوجين ، بل انما يزدادان كل يوم تقاربا وتجاوبا فى الفهم والادراك والميول والآراء ٠٠ اذا اردنا ذلك علينا ان نعرف كيف نربى بناتنا تربية زوجية تساعدهن على خلق الاستقرار وجلب السعادة بينهن وبين ازواجهن ٠٠٠

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ، فنحن نعلم ان الغاية التى

نسعى اليها ونعمل لاجلها فى كل دور من ادوار تربية الفتاة ، انما هى ان نخلق منها الزوجة الصالحة ، قبل ان نخلق منها الام المثالية او المربية الحازمة ، اذ الغاية من حياة كل من الذكر والانثى هى زواج كل منهما بالآخر وليس من المحتم ان تصبح بعد ذلك كل زوجة اما او مربية ، فالزواج لا يثمر ابناء فى كل الحالات ..

واذن فتربيتنا الفتاة تربية زوجية تسبق تربيتنا اياها تربية اخرى وكل الجهود التى تبذل فى تربية الفتاة وتنشئتها وتعليمها وتثقيفها يجب ان تتجه اول ما تتجه نحو جعلها (زوجة صالحة) فاذا تمكنا من أن نجعل منها زوجة صالحة امكننا بعد ذلك ان نخلق منها الام والمربية وغيرها .. علينا ان نلقن الفتاة انها خلقت للزواج ولمشاركة الرجل فى حياته الخاصة والعامة مشاركة فعالة منتجة ، فعليها ان تعى وتتفهم معنى الحياة ومعنى الزواج حتى تتمكن من ممارستها ممارسة مؤسسة على قواعد واسس ... ولكن الفتاة لا تحصل على شىء من هذا الا اذا كان المشرفون على تربيتها يولونها عنايتهم واهتمامهم منذ الحداثة ومنذ الصغر ، ويضعون تربيتها تربية زوجية فى المرتبة الاولى من تفكيرهم ...

فالمرأة السعيدة حقا فى زواجها انما هى تلك التى عرفت كيف تسيطر على مملكتها وكيف تخلق من بيتها البسيط جنة وافرة الظلال يؤمها الرجل والاولاد فيشعرون بالراحة ويشعرون بالدفء والسعيدة حقا فى زواجها هى تلك التى يكتب لها النجاح فى تكييف حياتها الزوجية بما يلائم الزوج والزوجة ، ويتمشى مع رغباتهما الفردية الخاصة والجماعية العامة ، وفى تكييف نفسها بما يلائم هذه الحياة الجديدة التى انتقلت اليها حتى تصبح عضوا فعالا منتجا مفيدا فيها ، ولا تكون عالة على غيرها الزوج مثلا ، يجرها وراءه او يقودها امامه ..

ان الزواج عبارة عن شركة بين اثنين لا تتم الا بموافقتهما ولن تقوم الا برضائهما ، وهذا اللون من الزواج الذى نريد ونرغب فى ان نهيىء له فتياتنا ، لا يستقيم امره ولا تيسر ظروفه ، مالم يقم على تكافؤ بين الزوجين ومالم يكن الشريكان متعادلين متساويين لآداء هذه الواجبات واخذ تلك الحقوق ... فاذا لم يكونا ، او اذا لم يكن احدهما عارفا حدود حقوقه فيقف عندها كى لا يتعدى على

حقوق شريكه ، حدث خلل فى سير الشركة وتصادم بين الاختصاصات مما يسبب عرقلتها وعدم نموها وازدهارها ..... واذا كنا قد وصفنا الزواج بشركة فان ذلك لا يعنى مطلقا اننا نجرده من كل معنى آخر سوى المعنى المادى للشركات ، وانما نفعل ذلك حتى نقرب معناه من بعض العقول التى قد لا تفهمه الا على هذا الاساس .. ثم ان وصفنا الزواج بالشركة يضفى عليه معنى آخر هو ان كلا من الشريكين لابد ان يمتاز عن الشريك الثانى بصفات ومزايا ، كما ينقص عنه فى صفات ومزايا اخرى ، مما يجعل كليهما فى حاجة ماسة الى معونة الاخر ومساعدته على السير بهذه الشركة نحو الكمال والتكامل ..

واذا كان الزواج بهذا المعنى او بما يشبه من المعانى ، فنحن نبخسه حقه اذ اعتبرنا المراة ، كما هى الحال ، مجرد كم تافه واذا لم نعتبرها جزءا من كل لا يتجزأ ، واذا انقصنا من قيمتها الفردية والاجتماعية والانسانية ونظرنا اليها مجرد نظرة الى خادم تقوم لنا بشئون هذه الشركة مقابل اجر تافه تتقاضاه عبارة عن رعايتنا لها ، واعالتها واطعامها ، تلك الرعاية والاعالة والاطعام المجردة من كل معانى السمو والانسانية والاحترام المتبادل ..

ان الواجب الانسانى والحياتى يفرض علينا ان نعتبر الزوجة جزءا لا يتجزأ من كيان زوجها وعاملا مهما فى حياته الخاصة والعامة لا يمكنه الاستغناء عنها ، فكما تفتقر المرأة الى الرجل فى حمايتها وتنظر اليه على انه سندها وعائلها ومرشدها ، كذلك يجب ان يرى الرجل فى زوجته ساعدا وسندا له على مواجهة مشاكل الحياة المختلفة ، وحل عقدها المتنوعة ، واقتحام مسالكها الوعرة الموحشة المخيفة ، **كما يجب ان يرى فى زوجه الصديقة والزميلة والخليلة ايضا** . والمراة لن يتأتى لها شىء من كل هذا الا اذا ربيت تربية صحيحة تتمكن بواسطتها من تشكيل شخصيتها امام زوجها بكل شكل ولون ..

فالرجل اى رجل ، تمر به مراحل ويجتاز فترات يحس فيها بضعفه وحاجته الى المرأة التى تقف الى جانبه تسهر على راحته وتبعث فيه الطمأنينة والسكينة ، وتغمره بالحب والعطف والحنان، وتملأ حياته بالامل والقوة ، وقلبه بالمودة ، فيحس بتجدد عزيمته

اذا خارت ، وانبعاث قوته اذا وهنت ، شأنه شأن المرأة ، وتلك سنة الله فى خلقه فلن تجد انت ولا انا لسنة الله تبديلا ..

ونحن حين نقول هذا لا اظننا نخرج بالمرأة عن محيط طبيعتها ونحملها مالم تحملها الطبيعة من مهام ، لاننا لو تتبعنا تاريخ المرأة فى كل فترة من فترات تطور البشرية ، وتركنا فترة الجاهلية حيث كانت تباع وتشترى تماما كما تباع وتشترى المواشى والاغنام لو تتبعنا تاريخ تطور المرأة بشىء من الدقة ، لوجدنا ان الحياة تضيف الى رسالتها كل يوم لونا جديدا وتضيف الى مهمتها كل يوم مهمة جديدة فى السير بالبشرية نحو التحرر والانطلاق من قيود الماضى ورواسبه .. فمنذ انبثاق فجر الاسلام اصبح للمرأة مكانة فى المجتمع وصار عليها واجب نحو الجماعة ، ولا يمكنها ان تحافظ على هذه المكانة ولا ان توءدى هذه الرسالة الا اذا تعاونت مع الرجل تعاونا وثيقا ، وتبعا لهذا التطور المستمر فى حياة المرأة ورسالتها وواجبها ، لم تعد المرأة مجرد الة بين يدى الرجل يصرفها كيف يشاء وحيث يشاء ومتى يشاء ، بل انها اضحت عقلا يفكر وساعدا ينتج ، تبعث على الرقى والتمدن ، وتنشر الطمأنينة والاستقرار وتشع النور فى الظلمة الموحشة والحياة المقفرة القاحلة .. وبذلك صار لوجودها معنى غير المعنى الذى كان يعرفه لها الجاهليون ، وصارت رسالتها رسالة سامية وواجبها واجبا مقدسا ، ومهمتها مهمة محترمة .. فاذا نحن نظرنا الى كل هذه الاعتبارات لوضح لنا جليا مدى الاثر الذى يمكن للمرأة المدركة والمتحررة ان تتركه لا فى حياتها وحياة زوجها والمحيطين بها فحسب ، بل وكذلك فى حياة الجماعة التى تعيش ضمن افرادها ايضا ..

فالمراة فى نظرنا على الاقل ، كل شىء فى الحياة الزوجية فى استطاعتها ان تجعلها نعيما محببا الى النفوس ، او تقلبها جحيما يلهب الارواح ويشتت العقول ، فلا يمكننا والحالة هذه ان نغض النظر عنها او نسلبها حقها فى اعتزازها بمقدرتها الفردية المنتجة ، او نسدل ستارا من الانانية الكاذبة عما يمكنها ن تقدمه لنا من جليل الاعمال اذا ربيت تربية زوجية صحيحة .. فعمل كهذا اى انكار مكانة المرأة واثرها وتأثيرها فى الحياة ، من شأنه ان يمدنا بنساء جامدات متبلدات متحجرات تسيرهن السخافات والتقاليد ، وتتحكم فى تصرفاتهن الاقوال الجوفاء وهذا كفيل بان يجعل من حيواتنا

الزوجية حياة هيكلية لا تمثل الواقع فى اى وجه من وجوه الحياة وليس منشأ ذلك الا جهل الزوجة بابسط قواعد تسيير هذه الحياة ذلكم الجهل الناشىء عن عدم تربيتها منذ الصغر ومنذ الحداثة تربية زوجية حقة ، تريها قدسية هذه الحياة وتعلمها اساليب تصريف شئونها الصغيرة والكبيرة ، وتلقنها انما الزواج تضحية وايثار وليس انانية واثرة ..

اتفقت كل الآراء الحديثة على القول بان الزواج :

اولا ـ (فى العصر الحاضر عبارة عن عقد انضمام وازدواج ، يتم بين الزوجين بمحض ارادتهما ومن غير ان يكون عليهما اى ضغط خارجى ، ايا كان مصدره ومهما كان مقداره .. والزواج على هذا الاساس من الواقعية وحدة او اتحاد بين شخصين اثنين متكافئين من حيث المكانة الاجتماعية والعلمية والثقافية والعقلية والفكرية والميول والآراء والمعتقدات .. تحث عليه جميع الاديان السماوية وتشجعه بل تحتمه القوانين الوضعية بقصد صون الانساب من التلوث ، ولتكثير النسل واستمرار الحياة والعمران ، ولمنع النفوس البشرية من الانزلاق والانسياق وراء الشهوات الدنيئة ولنشر الحب والاخاء بين الناس جميعهم.)

وقد قال النبى صلوات الله عليه ، فى الحث على الزواج **(من تزوج فقد اكتمل نصف دينه ، فليتق الله فى النصف الباقى)** وقال ايضا **(تزاوجوا تكاثروا، فانى مباه بكم الامم يوم القيامة)** ومن خلال هذه النظرة العقلية البشرية الى الزواج نفهم ان مهمة الزوجة فى الحياة الزوجية ليست هى فقط انجاب الابناء وخدمة البيت بل انها فى نظر عليه السلام ارفع مكانه واسمى منزلة من ذلك . انها حافز على الطهر والعفة والسمو بالنفس الانسانية.

ثانيا ـ وبما ان الزواج حسب التعريف الاول **(عقد انضمام بين الزوجين) و (شركة بين شريكين)** كل منهما يعمل لنجاحها وتقدمها وازدهارها ، فالواجب يدعوهما ، اذا ارادا ان ينجح زواجهما وان يسعدا فى هذا الزواج عليهما ان يضحيا ببعض الرغبات الفردية .. وعليهما ان يعملا على تكييف شخصيتهما حتى تتوافق امزجتهما وتتحد ميولهما ورغباتهما ..

ولكن كل هذه الشروط او القواعد لا تدركها المراة الا اذا كانت تنشئتها الزوجية مقامة على اساس من الفهم المتكامل

لمعنى الزواج ٠٠ فنصفنا الاخر لا يقيم ادنى وزن لمثل هذه الامور التى تعد جوهرية فى الحياة الزوجية ولا يعطيها ما تستحقه من عناية واهتمام ، ولا يلتفت الى مدى الاثر الفعال الذى تتركه فى خلق راحة الزوجة العائلية واستقرارها الزوجى ، وكل ذلك ناشىء عن عدم تنشئتهن تنشئة زوجية صحيحة ، وكذلك عن نظرة الاهمال والازدراء التى ينظر بها الزوج الى زوجته الجامدة المتحجرة التى لا تتفاعل مع الحياة ٠٠٠

فعلينا اذن ان نضع نصب اعيننا فى تربية فتياتنا تربية زوجية متينة ، الملاحظتين السابقتين ، اذ من الملاحظة الاولى نغرس فى عقل الفتاة وتفكيرها ان الزواج شرع لحفظ كيان الازواج وصون عفافهم والمحافظة على طهارتهم قبل ان يشرع لتحبيذ الاكثار من النسل ، وانما النسل ياتى فى المرتبة الثانية ، شرط ان يكون نسلا صالحا مهذبا مستقيما ٠٠

ومن الملاحظة الثانية ، نعلمها حقائق حول الزواج وحول ما تستطيع ان تتركه الزوجة لا فى حياتها وحياة زوجها فقط ، بل وفى حياة المجتمع ايضا ، وان هذا الاثر انما يتوقف على مقدار ما تمنحه لزوجها والمحيطين بها من عطف ومودة واخلاص وتقارب وتفاهم ، سواء كان هذا الاثر محمودا مقبولا او مرذولا مذموما٠٠٠

فاذا ربيت الفتاة على هذه الاسس ، فانها بلا شك ستكون تلك الزوجة المثالية التى ننشدها لمجتمعنا الافضل الجديد ٠٠

التربية التربوية :

ونقصد بها التربية التى نربى عليها الفتاة لتصبح فيما بعد ، مربية لابنائها مهيمنة هيمنة كلية على منزلها ٠٠ ولكى نصل بالفتاة الى هذا المستوى التربوى ، لابد لنا من الاعتماد على شيئين اثنين: **المدارس المتوسطة** ، اى ما فوق الابتدائى، ثم **كتب التربية** ، او كما يسميها رجال التربية والتعليم **(كتب التدبير المنزلى)** وهى الكتب التى تعلمها متى درستها ووعتها كيف تربى ابناءها تربية حديثة مؤسسة على قواعد واسس قويمة وتنشئهم على التقدير والاحترام المتبادل بينهم وبين غيرهم من الناس ، بعيدين عن الغطرسة والتعجرف والاثرة والانانية والكبرياء ٠٠٠

ان المدارس الابتدائية لا تمكن الطالبة من أخذ نصيبها المفروض من القراءة والكتابة الضروريتين ، فما بالك بالنصيب الواجب على الفتاة أخذه من معرفة واطلاع واسعين على اصول التربية وقواعدها الحديثة ؟ ..

فلا شك ان هذه المدارس لا تعطى الفتاة القدر اللازم من الاطلاع على اصول التربية التى ننشدها لجيلنا الجديد، فوجب علينا ان نفسح امامها المجالات لمواصلة ومتابعة دراستها فيما بعد الابتدائى حتى تتمكن من ان تكون فى يوم من الايام الام المثالية والمربية الحازمة الحاذقة المنتجة ..

ان مدارس ما فوق الابتدائى يمكنها بشىء من التعديل فى مناهجها الدراسية ان تخلق لنا هذا الجيل من الامهات والمربيات .. ولا نشك فى حاجتنا الى العناية كل العناية بالمناهج الدراسية فى تخريج المربيات والامهات ، ذلك لاننا نعلم انه لا البيت ولا البيئة ولا المحيط ولا اى شىء من عوامل التربية المعتمدة يمكننا ان نعتمد عليها فى خلق الجيل الصالح فى الوقت الحاضر ، واذن لم يبق امامنا الا المدرسة .. وما دمنا الى حد الان لا توجد لدينا مدرسة ثانوية سوى دار المعلمات (×) . فعلينا ان نوليها الكثير من عنايتنا واهتمامنا بمناهجها ، فنضع ضمن هذه البرامج التعليمية العناية الكافية بالشئون المنزلية والتربوية ، ولا يعنى قولنا هذا اننا ندعو الى اقتصار مناهج دار المعلمات على الشئون المنزلية ابدا .. لان وجود دار المعلمات يعنى انها تماثل او تقارب مدرسة ثانوية والمفروض فى خريجة المدرسة الثانوية ان تلتحق بالجامعة والدراسة الجامعية لا تحتاج فقط الى الدراسة المنزلية بل لا بد من دراسة بقية المواد المتفق عليها .. ومن ناحية اخرى فاننا لا يمكننا ان نطالب كما يفعل بعضهم ، بان تقتصر الدراسة فى دار المعلمات على الشئون المنزلية والتربوية فحسب ، لان المفروض فى خريجة الدار انها تصبح مدرسة ابتدائية ، والتدريس فى هذه المرحلة يحتاج الى الالمام الكبير بانواع كثيرة من المعارف المختلفة التى توهل المتخرجة لهذه المهمة ..

واذا انتهينا من واجب المدرسة فى مدنا بالام الواعية ، فان

(×) كان هذا قبل تصميم مدرسة البنات الثانوية بطرابلس

البحث ينتقل بنا الى استعراض ما يمكن للكتب والمطالعات الفردية ان تتركه فى هذا المجال ٠٠ فلا جدال ان خريجة مدارس ما فوق الابتدائى ، اى خريجة الثانوى ، والتى يكتب لها ا نتلم بعض الالمام باصول التربية ، فانه بشىء من التوجيه وبشىء من المطالعة الفردية الصادقة ، تستطيع ان تخلق من نفسها مربية بالمعنى الصحيح لكلمة مربية ، فعلينا نحن ان نشجع على هذا اللون من المطالعة حتى تكتسب الفتاة منها خبرة ومعرفة ودراية بالقواعد الاساسية لطرق التربية الحديثة ٠٠ ولا اظننا قد اتينا فى اعتمادنا على الكتب بشىء غريب ، ذلك لاننا نعلم ان كثيرا من المتفوقين والمبرزين فى مناحى كثيرة من الحياة ، انما اكتسبوا تفوقهم عن طريق الكتب والمطالعة اكثر مما اكتسبوها عن طريق الدراسة المنظمة ٠٠٠

ونعود فنقول : علينا ان نربى الفتاة تربية تربوية صحيحة ، ولكن كيف نربى الفتاة هذه التربية التى من شأنها ان تخلق منها أما مثالية تمد المجتمع بالنشىء الصالح ؟٠٠

اثبتت المشاهدات والتجارب اليومية ان علاقة الام بالطفل علاقة متينة قوية من شأنها ان تترك فى حياة الطفل اثرا اكبر مما يتركه الاب ، خاصة فى مرحلة نمو الطفل الاولى ، اذ انها تعاشره وتعيش معه ساعات من اليوم اكثر بكثير من الساعات التى يقضيها معه والده فى اليوم نفسه ، وبحكم هذه المعاشرة الناتجة عن طبيعة حاجة الطفل الى امه فى هذه السنوات ، يكون للام اثر واضح فى سلوك الطفل وتصرفاته واخلاقه وميوله ، وبحكم هذه المعاشرة ايضا وهذه الصلة المتينة القوية بين الطفل وامه ، ففى امكان الام ان تكيف نفسية طفلها وتكون شخصيته حسب ارادتها وحسب مشيئتها وحسب ما يميله عليها عقلها وما يراه تفكيرها ملائما للحياة ٠٠٠٠ فلا شك ان هذا التكييف وان هذا الخلق والتكوين لن يكون ابدا فى صالح الطفل ، ولن يكون ملائما لما تطلبه الحياة اليومية الخاصة والعامة ، الا اذا كانت الام مربية من الدرجة الاولى ، لها من الخبرة والاطلاع ما يساعدها على اداء هذه المهمة المناطة بها وتبليغ هذه الرسالة السامية ، رسالة الامومة الخالدة ، فعدم مواءمة تربية الطفل لمقتضيات الحياة ومتطلباتها يتوقف على مدى مقدرة الام واطلاعها وخبرتها ٠٠٠

فاذا كانت الام لا تعرف الا احد النقيضين فى فن التربيـــة ، اما التدليل المطلق ، واما التشدد التام ، نشأ الطفل ولا شخصية له واما اذا كانت عارفة مطلعة على نوع التنشئة المثالية المطلوبة منهـا والتى تتمشى وظروف الحياة ، فان النتيجة تكون ايجابية فى صالح الطفل والمجتمع ·· وبتعبير اخر فان حاصل تربية الطفل ، يتوقف على مقدار وعى الام وفهمها للرسالة التربوية المنوطة بهـــا ··

ولا نخال انفسنا واهمين حين نعطى الام كل هذه الميـــزات ونعتبرها الحجر الاساسى فى بناء كيان الطفل من حيث سلوكـــه واخلاقه وميوله وتصرفاته مع نفسه ومع الناس، فالطبيعة قد سبقتنا الى ذلك حين خصت الام بمهمة التربية والتنشئة ، وميزتها عـــن الرجل بالحنان والرقة وارهاف الشعور الذى منشأه قلبها وعاطفتها

ونحن فى كل خطوة من خطواتنا انما نبنى للمستقبـــل ، اى اننا نعمل لايجاد المجتمع الافضل ،الذى لا يقوم قبل ان نهيئها هى اولا لتقوم لنا بهذه المهمة ، حتى يصبح بامكانها ان تمدنا بما نطلبه منها من القوى الخلاقة المنتجة المبدعة ·· علينا ان نعد الام بتربيتهـــا تربية تربوية صحيحة ، لتتمكن من امدادنا بالجيل البناء ، الجيـل الصالح الواعى المهذب الساعى وراء البناء والعمل ··

اذا حصرنا بحثنا فى أثر المدرسة ومدى ما يمكن للدراســـة والمطالعة ان تتركه من نشئة حقة ، وتناولنا بالبحث قليل من اثـــر الام المباشر فى تكوين الطفل ، فان علينا ان نبحث نقاطا جوهريـــة اخرى لها آثارها فى التربية وفى شخصية الطفل وتكوينه وسلوكه يستوى فى ذلك الذكر والانثى ، وليس ذلك الاثر فى السنوات الاولى من حياة الطفل فحسب ، بل وكذلك فى قابل ايامه ايضا ··· ومن هذه العوامل المؤثرة :

(الوراثة) وان لم يتفق على مدى اثرها بعد ، فهناك من ينفيها وهناك من يثبتها من العلماء والمختصين ، (البيئة) او (المحيط) و المميـزات العقلية والاجتماعية التى تميز بين الوالدين) ، هذه ثلاثة عوامـل لها آثار واضحة فى تكوين شخصياتنا ، فلنبحث كلا منها بما يمكننا ان نبحثها بـــه ··
قالوا ان البيئة هى المؤثر الاول بعد (الوالدين) فى تكييف شخصية

الطفل وصقل طباعه وتمييزها بميزات حسنة أو مستهجنة ، اذ أن الطفل يأتى الى عالم الوجود وهو غير مسلح أو مميز ولا متصف بصفة عدا ما يكون قد ورثه عن والديه احدهما أو كليهما من حيث المميزات الجسمية المحضة ، ومنذ اللحظة الاولى التى يشرف فيها العالم يبدأ الصراع عنيفا بين الطبيعة البدائية وبين الطبيعة الحضرية ، وفى هذه المرحلة من حياة الطفل يبدأ يتلقى أولى دروسه الانسانية من المحيط الذى وجد فيه والذى يتمثل فى السنوات الاولى فى أمه التى لا تفارقه ولا يفارقها فى ليل أو نهار ، نظرا لحاجته الفطرية اليها فى مدة بالغذاء الضرورى لاستمرار حياته والمحافظة على كيانه .. والطفل فى هذه المرحلة اشبه ما يكون بقطعة لينة من (العجين) فى مكنة العجان (الأم) ان تخلق منها اى لون اى شكل من الناس تريد حسب وعيها وفهمها وارادتها ، والطفل كذلك يميل الى التقليد بفطرته وهو فى محيطه هذا الضيق المحدود بحدود الام لن يجد من يقلده سوى أمه وذلك يرجع لسببين اثنين :

عدم وجود غير الام فى حياته فى هذه الفترة يمكنه ان يقلده وان يتأثر به .

استجابة للفكرة التى تولد معه والتى توحى بصلاحية كل عمل أو تصرف يصدر عن احد والديه .

وبعد هذه المرحلة التى نسميها (مرحلة التكوين المنزلى) ينتقل الطفل من هذه البيئة الضيقة الى بيئة أوسع وأفسح وهو لم يكن مسلحا الا ببعض ما لقنته اياه امه من طباع وخصال ، ونعتقد ان هذا ما يفسر لنا كثرة سماعنا فى احاديث الاطفال الصغار لعبارات لا تصدر الا عن الكبار ومن النساء خاصة ينتقل الطفل من البيئة الاولى الضيقة الى بيئة اخرى جديدة لم يألفها ولم يتعود عليها من قبل ، فيتأثر بما يصدر من المحيطين به من الاطفال الاخرين ويبدأ مرحلة تقليد من نوع جديد ، فيقلد الاطفال الذين فى مثل سنه ، دون ان يكون لديه ما يميز به بين الخير والشر من الاعمال التى يراها والتى يأتى بها هو نفسه ، فللبيئة ، كما يقول علماء التربية وعلم النفس (اثر فعال فى تكوين شخصية الطفل الناشىء من حيث العادات والاخلاق والسلوك والتصرفات) .

ولنا ان نتساءل اذا كان للبيئة كل هذا التاثير فما مدى مفعولية الام اذن ؟ ..

وفى الاجابة على هذا السؤال تكمن مهمة الام وتتوضح مقدراتها التربوية ، فالام هنا تنحصر مهمتها فى التمييز بين بيئة صالحة وبيئة غير صالحة ، فى معرفة البيئة الموبوءة فتحاول ابعاد طفلها عنها ، والبيئة الحسنة تدفعه اليها والى الاختلاط والامتزاج بافرادها فى تقديرها بين الوسط السليم والوسط المريض المتعفن فى ان تختار لطفلها البيئة والمحيط اللذين ترغب لطفلها ان يعيش فيهما ويترعرع بينهما، ويتطبع بطباعهما واخلاق افرادهما .. وطبيعى ان الام لا تكتسب هذه الخبرة وهذه المقدرة فى الحكم على البيئة وعلى المحيط الا بالتعليم الصحيح والتنشئة القويمة والتربية الحقة

اما اثر الوراثة من حيث الاخلاق والميول والسلوك فان بحثا كهذا لا يصعب علينا نحن التحدث فيه بما فيه الكفاية ، بل ان علماء الوراثة ايضا لم يتفقوا بعد على هذا المقدار الذى يمكن ان يورث فان كانوا قد اتفقوا على ان الطفل يرث عن والديه كليهما او احدهما بعض الصفات الجسمانية المميزة فانهم لم يتفقوا بعد على هذا المقدار الذى يمكن ان يورث بل حتى على هل يرث الطفل هذه المزايا أم لا ؟ فالعلماء انفسهم مختلفين حتى الان فى وضع قاعدة عامة لذلك ، فبعض العلماء ينفى أى اثر للوراثة فى الصفات والمزايا المعنوية ومنهم من يرى عكس هذا ويقول ان كل تلك الصفات انما هى صفات موروثة ، ومنهم فريق ثالث يقول ان نسبة الوراثة نسبة مئوية لا يزيد مقدارها عن ١٠٪ أو ٢٥٪ مما يكتسبه الطفل عن طريق التربية والتنشئة والمحيط

اما اختلاف شخصيتى الوالدين واختلاف مدى تفكيرهما ووعيهما وعقليتهما ، فان لكل ذلك اثرا واضحا فى شخصية الطفل .. اننا لا نستطيع ان ننكر مدى اختلاف نظرة كل من الزوجين الى الحياة، ولا نتمكن من ان نقول ان كل زوجين اثنين متفقان على نوع التربية التى يريدانها لطفلهما ، فان مثل هذه الاقوال كفيل بتكذيبها نوع التربية والمحيط والبيئة التى نشأفيها كل من الوالدين انفسهما .. ان هناك دون جدال اختلافا بينا واضحا بين عقلية كل زوجين ، وتباينا فى اخلاقهما وميولهما وآرائهما وانطباعاتهما وتاثرهما ، وهذا الاختلاف لا شك يترك اثرا فى شخصية الطفل ، فاذا نشأ الطفل فى هذا الجو المضطرب المختلف الاراء والاتجاهات ، فأن شخصيته ستكون شخصية مضطربة مهزوزة مختلفة مذبذبة بين اليمين

والشمال ، وللحيلولة دون الطفل وهذا التذبذب فى شخصيته لابد من عملية مواءمة بين افكار الوالدين وآرائهما وعقليتهما ٠٠ وليس هناك من فى استطاعته ايجاد هذه المواءة المطلوبة الا المرأة التى تتجلى مقدرتها ويظهر تفوقها فى خلق هذه المؤامة المطلوبة بين ميولها التى غالبا ما تكون متحجرة نتيجة للتربية ، وبين ميول زوجها التى كثيرا ما تكون متحررة بالنسبة لها نتيجة للمطالعات والتأثر ببئات اخرى ، المراة هى التى يقع عليها العبء الاكبر فى ايجاد هذه المواءمة بين ميولها وميول زوجها وبين افكارها وافكاره ونظرتها الى الحياة والمراة التى تتمكن من مزج آرائها بآراء زوجها واخذ خلاصة هذا المزيج لبناء شخصية طفلها ، لا اعتقد انها موجودة الان فى كل زواج ينم فى هذا المجتمع الانفصالى والبيئة المحافظة على تقاليد وعادات بالية ، واذن فليس أمامنا الا الرجوع الى تربية الفتاة تربية تربوية تساعد على التمكن من ايجاد هذه الامور ٠٠٠

ان الاختلاف بين آراء كل زوجين وبين عقليتهما موجود فعلا فى كل زيجة نتيجة للتزمت الذى يعيشه المجتمع الليبى الذى لا يزال يقدس خرافة عدم اباحة الاختلاط بين الجنسين ، ويتمسك اكثر من ذلك بعدم السماح للخطيبين باللقاء والمقابلة الا بعد الزواج، ولا يسمح به حتى بعد العقد وقبل الدخلة بحال ، اذ ربما يكون فى هذا اللقاء بعد العقد وقبل الزواج ما يخفف من حدة التباعد العقلى والفكرى بين الزوجين ويقارب نوعا ما بين آرائهما وافكارهما ٠٠ ونتيجة حتمية لوجود هذا الخلاف بين الازواج (الخلاف فى الرأى والعقلية والنظرة الى الحياة) تحدث معركة بين كل زوجين تنبىء بعجزهما عن فهم الحياة فهما موحدا وعن عدم ادراكهما لمتطلباتها ادراكا واحدا ، فينشأ عن ذلك اختلال واهتزاز بين فى شخصية الطفل يتوضح فى تصرفاته الشخصية واضطرابه فى كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة ، واعتقد ان هذا الاختلاف وهذا الاهتزاز فى شخصية الطفل يتوضح اكثر ما يتوضح فى الطفل الاول لكل زوجين حديثى عهد بالزواج ، حيث انهما لم يطلعا بعد فى سنتهما الاولى على طباع كل منهما ولم يتفهما ميول كل منهما ، الاطلاع والتفهم الكافيين ٠٠

ان الصراع الذى أشرنا اليه حادث فى كل زيجة تقريبا ، مما ينشأ عنه تهلهل وتدهور شخصية الطفل وتداعى بنيانه ، وقد يكون ميدان هذا الصراع ميدانا واضحا بارزا أو يكون ميدانا رمزيا يتجلى

فى محاولة كل من الابوين تدليل الطفل وتمييعه لاجتذابه الى صفه وطبعه بطباعه ..

ومن صور الخلاف العقلى بين الزوجين ما نشاهده من دوران الطفل الذكر فى دائرة ابيه ودوران الطفلة الانثى فى دائرة أمها ، وأن كان مبعث هذا شيئا من التقليد الفطرى لنفس الجنس ، الا اننا نستطيع أن نؤكد بان مصدر هذا الانجذاب المضاد بين الاخوة والاشقاء يعود كذلك الى التنافر بين الابوين انفسهما ، وهذا التباعد الذى يحدث بين الاخت وأخيها ، ينتج عنه كثير من المضار ، فهو كذلك يولد ذلك التنافر والتباعد بين الجنسين فيما بعد ، وهو التباعد الذى يجب الا نراه فى مجتمعنا الافضل ، والذى نحن نحاربه الان بكل قوانا وامكانياتنا ، لاعتقادنا انه هو وحده سبب هذه الانفصالية التى يعيشها مجتمعنا الحاضر ، وهو الذى يصور افراد كل جنس فى نظر الجنس الاخر بصورة بشعة ويظهرهم بمظاهر منفرة لا تخرج عن محيط الجنس والغريزة المجردين من كل معنى آخر ... فالفتاة نتيجة لهذه التربية الانفصالية تنشأ وتكبر وهى لا ترى فى الفتى الا ذئبا متحفزا ، يريد ان ينقض ويستحوذ على كل ما يقع تحت يديه أو مخالبه ، واما انه فارس أحلام وفتى غرام يسكب فى مسامعها الاشعار والانغام .. والفتى لا يرى فى الفتاة نتيجة لهذه التربية الانفصالية أيضا ، الا على أعتبار أنها خادم فى البيت وآلة للتفريخ ودمية للعب والتسلية وجسد للفراش والاشباع من هاتين النظرتين المزريتين المنحطتين تنشأ الانفصالية باقصى مظاهرها وفى ابشع صورها ، فتسبب بدورها حدة الغرائز وشحذ الجنسية ..

ان العلماء يقولون :

ليس هناك ما يهذب من حدة الغرائز ويقلل من جموحها مثل الاختلاط والامتزاج المبنيين على الفهم الصحيح للظروف والاوضاع والاخلاق ، واذن فعلينا ان نعمل على ايجاد هذا الاختلاط حتى نسمو بغرائزنا وجنسيتنا ، بدلا من ان نسعى الى الزيادة من حدتها بالفصل بين الجنسين ، وهذا الاختلاط لا يمكن ان يحدث بين يوم وليلة ، بل لابد من ان يكون هناك عمل جاد لحدوثه ولتهيئة الجو الملائم له ، وليس ما يهيء الجو ، مثل التربية المختلطة التى تغرس فى نفس كل فرد من هذا الجنس او ذاك ان الفرد من الجنس الاخر

ماهو الا انسان مثله يجب احترامه وتقديره والتعامل معه على وجه المساواة، واعتباره جزءا متمما لاعضوا فاسدا يجب فصله واستئصاله ..

ومن هذا القول تظهر لنا اهمية تربية الفتاة تربية تجعل منها انسانة كاملة تتمكن من المواءمة الصحيحة بين عقليتها وعقلية زوجها التي لاشك اكثر من عقليتها ادراكا وفهما ووعيا للاوضاع ولمقتضيات الحياة اليومة العامة والخاصة ، فبذلك يمكنها ان تخلق جيلا واعيا على اسس من الفهم والادراك الناتجين عن فهمها هي للواقع وتمييزها بين الحقيقة والخرافة .. ومن الامور التي تدعونا الى الاهتمام بتربية الفتاة مثل هذه التربية ان شباب اليوم من الجيل الحاضر اكثر فهما ووعيا للحياة وتفاعلا معها واكثر انطلاقا وتحررا من الفتيات، نتيجة لتربية الفتيات تربية عقيمة تسد امامهن كل منافذ الفهم والادراك ،واذن وجب تغيير طرق تربية الفتيات بما يمكنهن من التجاوب التام مع ازواجهن .

قلنا على المراة ان تسعى جهدها للمواءمة بين طباعها وطباع زوجها ، حتى تربى ابناءها تربية حسنة مؤسسة اولا على قواعد تربوية صحيحة ،وثانيا في جو من التصادق والتقارب العقلي والفكري الذي تعيش فيه مع زوجها ، ولكن هذه الملاءمة المطلوبة ليست من السهولة بحيث يتصور اي انسان انه في امكانه ان يوجدها ويخلقها بينه وبين زوجه ، فهي لكي تتحقق تحتاج الى كثير من الخبرة والدراسة والاطلاع والمعرفة لظروف الحياة ومقتضياتها المختلفة المتباينة ،واذن فان المراة الحكيمة والزوجة المثلى هي وحدها التي تتمكن من تكييف طباعها وميولها الى ان تجعلها مطابقة او مقاربة لميول زوجها وطباعه سواء كان ذلك من حيث العقل والنضج او من حيث التفكير والتنفيذ والعمل ، او على الاقل تتمكن من ان تصوغ من تباعد وتنافر آرائهما واختلاف نظراتهما الى الحياة قاعدة تنشيء عليها الطفل الجديد ..فلا شك، كما قلنا سابقا، من اختلاف نظرة كل من الزوجين ومن اختلاف مقاييسهما للحكم على الحياة ، ومن هذا الاختلاف ينشأ اختلاف آخر في اصدار الاحكام على الظروف والعادات والامور الحياتية المختلفة اختلاف على نوع شخصية الطفل تكون نتيجته المنتظرة كنتيجة حتمية لتباعد نشأة الزوجين وتباين تجاربها

الفردية واختلاف حكمهما على الامور والتصرفات .. ومن هنا نقول ان واجب المراة الام ان تاخذ من خلاصة نظرتها هى ونظرة زوجها قاعدة حكيمة تساعدها على تكوين شخصية الطفل وصياغة كيانه الانسانى العام فى اطار متجاوب مع الظروف المحيطة به ربما نكون قد اسرفنا على المراة وحملناها من واجبات التربية مالا طاقة لها به، اذ نجرد الرجل (الاب) من كل مسئولية ونلقى على عاتق المراة بالحمل كله ، فمادام كل من الابوين قد شارك بنصيبه فى خلق هذا الطفل والمجىء به الى عالم الوجود ، بل ربما يكون الاب اسبق من المرأة فى هذه العملية .فلم نجعله بمنجاة من المسئوليه التربوية ؟ ..

غير ان المراة بطبيعة تكوينها وبطبيعة رسالتها الاساسية ، تحتم ان تكون هى المسئولة الاولى وربما الاخيرة عن تربية الطفل وتنشئته ، فالرجل تبعا لرسالته فى الحياة لم يعد مسئولا مسئولية كلية فى هذا المجال .. ونحن حين نقول هذا القول وحين نلقى على كاهل المراة بالمسئولية كاملة ، انما نجد انفسنا وجها لوجه امام المشكلة العريضة التى لا تزال تواجه المجتمع الليبى الى اليوم ، وهى مهمة الام فى تربية الاطفال ومدى اثرها المباشر فى تكوينهم ومقدار مسئولياتها الفردية لا امام الاطفال فحسب بل وايضا امام المجتمع الانسانى ، فاذا كانت الام تجهل (وهو الواقع فعلا) كل اوجل مقومات التربية القويمة فكيف نطالبها بان تمدنا بجيل صالح من الابناء ذكورا كانوا او اناثا؟ وكيف نطالبها بمدنا بجيل ناضج واع مدرك ومقدر للحياة مسايرا لتطورها وتقدمها ؟ .. كيف نطالبها بذلك وهى نفسها (فجة) غير واعية ولا مدركة ولا فاهمة فهما متكاملا لرسالتها التربوية ؟.. كيف نطالبها بذلك وكل ما تسلحت به لمواجهة الحياة التربوية لا يخرج عن ميدان الخرافات والاوهام ؟ .. كيف نطالبها بذلك وكل ما علمناها اياه لا يزيد على ما لقنتها امها او العجائز المقربات اليها ، او بحكم الفطرة والعادات من السخافات والترهات ؟ .. تلك السخافات والترهات التى تنشأ عنها معظم الاخطاء التربوية والتى تكون من نتائجها تخبط الابناء بين دروبها ومسالكها المظلمة ،فينشأون وهم ضعاف الشخصية ضعاف التاثير سهلى الانقياد ...

وجهل الام باصول التربية الحديثة هو ما يسوقنا للوقوع فى كل هذه الاخطاء الشائعة التى نلاحظها كل يوم وكل ساعة فى

حياتنا اليومية العادية ، وهو ماجعل اغلب ان لم يكن كل الرجال والنساء ينشأون وهم لا يعرفون عن الحياة بمعناها الواسع العريض غير البحث عن مسليات لتمضية اوقات الفراغ ،وغير البحث عن مجالات قد لا تكون نظيفة وقد تكون من عوامل تدهور الشخصية ان وجدت هذه الشخصية ، لقضاء الامسيات الطويلة المملة ·· وهو اى جهل الام باصول التربية الحديثة ، ما جعل اغلب شبابنا من فتيات وفتيان ينشأون جبناء يستولى عليهم الخوف والجبن والاتكالية والانهزامية ، تتحكم فيهم الرواسب المتعفنة النتنة ، وتسيطر على تفكيرهم التقاليد الوسخة ، من غير ان يكون لديهم اى استعداد لمواجهة الحياة فى كل ظروفها ، ودون ان تكون لديهم ذرة من الفهم والوعى وهكذا ينشأون ويدخلون الحياة الخاصة والعامة ، والعادات تكبلهم والتقاليد تغلهم والرواسب تتحكم فى سائر تصرفاتهم ، والخوف يسيطر على جميع اعمالهم والاتكالية تطبع كل حركاتهم وسكناتهم ··

فما هى الطريق التى تجنبنا كل هذه الاخطاء وتجعلنا بمنجاة من وقوع ويلاتها وتجرع نتائجها ومعاناة ما يترتب عليها ؟ ·

ليس هناك الا طريق واحد يمكننا اذا سلكناه ان نتحاشى كل هذه الاخطاء بجانب انه يبعدنا عن الغطرسة والاستبداد الابوى الذى يطبع بطابعه الممقوت كل بيت من بيوتنا، وهذا الطريق هو تربية الفتاة تربية تربوية قوية صحيحة مبنية على اسس متينة من الوعى والفهم لرسالتها التربوية ···

من هنا يمكننا اذن ان نتطلق لخلق الجيل الجديد ·· الواعى البناء الذى سيقام على سواعده صرح المجتمع الليبى الافضل المشود ···

الـزواج

قال الله تعالى فى كتابه العزيز **(ومن آياته ان خلق لكم مـن انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** ..

وقال عليه الصلاة والسلام : **(تناكحوا تكاثروا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة)** ..

وأما علماء الاجتماع فقد كتبوا يقولون فى تعريف الزواج :
(الزواج قوام العالم فهو الذى يملأ المدن والقرى والمعابد والبيوت) ....

(الزواج يجعل للحياة نظاما متينا ، ولهذا النظام طلاوة . اذا كنت قد شعرت فى هذه الحياة بشىء من السعادة ،ففى الاوقات التى **قضيتها فى بيتى بين زوجتى واولادى)** ..

بهذه الاقوال يعرفون الزواج ، وبهذه الدوافع يدفعون اليه ، ولو اننا تفحصنا كل هذه الاقوال لوجدناها كلها تدفع وتشجع وتحث على الزواج سواء فى ذلك الشرائع السماوية او القوانين الوضعية ألارضية .. وهل فى ذلك غرابة ؟.. فلو لم يكن الزواج الذى هو اصل التناسل والتكاثر ، لما كانت هنا كحياة ، ولا موت ولا عالم ولا وجود على الاطلاق .. فالزواج **اصل هذه الحياة التى نعيشها** وهو السبب فى عمران الكون وهو منبع الحركة والانطلاق . .

واهمية الزواج هذه هى التى جعلته يحتل مكانا مرموقا فى عقول المفكرين والساهرين على سعادة البشرية ، والعاملين على رقى الانسانية فى كل مظاهرها وسائر الوانها واشكالها وأوضاعها **والسير بالانسانية والانسان** نحو الرقى **والتمدن والوصول بهما الى** اعلى مراتب الكمال الانسانى ..

غير انه يجب ان نلاحظ فى دراستنا البسيطة هذه ، ان الزواج فى الحاضر لم يعد هو الزواج فى الماضى ولم يعد من الامور السهلة الميسورة ، يمكن لكل راغب فيه أو مدفوع اليه ، ان يصله بمجرد ان يشعر بان هناك حالة ما ، جعلته يفكر فى الزواج ذلك لانه مع تقدم البشرية ، وتنوع الوان الحياة ، وتطور اساليب العيش ، تطور معنى الزواج ، مما جعل له شروطا وقواعد ، لا بد من اتباعها والعمل بمقتضاها والسهر على توفرها ، فى الزيجات المختلفة ، حتى يمكنها ان تسير فى طريقها الطبيعى القويم ، وتحقق الاغراض المنشودة من ورائها ...

واذن فواجبنا فى هذا البحث المختصر ، ان ندرس تلك القواعد والاسس، التى**يجب ان يشاد عليها، صرح كل زواج يرجى له**السعادة والدوام والاستقرار .. تلك الاسس التى يجب توافرها فى كل زيجة حتى يمكن للزواج ان يكون سعيدا بالمعنى الكامل لكلمة (سعيدة)لا مجرد ارتباط يربط بين جسدين غالبا، ما يكون غير رابط بين عقليتين .. مجرد زواج يربط بين طرفيه خيط واه فى حياة مملة مكررة مكروهة لا شىء يحافظ على كيانها وهيكلها الخارجى سوى عقد مكتوب او مجموعة من الانباء . علينا ان نبحث عن تلك الاسس التى تجنب الازواج الملل والنفور والخمول الناتج عن لون من حياة روتينية لا تجدد فيها، وانما هى على شكل واحد كل يوم وكل لحظة .. وحتى **نجعل من الازواج ازواجا سعداء بالمعنى الكامل للسعادة** ، يشعرون بالهناء والاستقرار ، والرفاهية الناتجة عن التفاهم المتبادل بين كل زوجين اثنين ..

علينا ان نبحث عن كل هذه المعانى ، فى عقولنا وافهامنا ومداركنا وقلوبنا ايضا عندما نفكر مجرد التفكير فى الزواج وقبل ان نقدم عليه ..

فنحن نعلم ان من**اهم عوامل الملل فى**حياة الانسان، الاستمرار المتكرر الخالى من التجديد ، وان اقرب شىء الى هذا اللون من الحياة **الحياة الزوجية، وهذا اهم عامل**من عوامل**فشل اغلب الزيجات**فى كل **المجتمعات ونحن نعلم كذلك ،ان كل**واحد منا **يعقد امالا كبارا عراضا** على حياته الزوجية ، نتيجة حتمية لما يمليه عليه خياله الخصب بعد المطالعات ، أو لما يتمناه المحروم من كل متع الحياة .. ونعلم كذلك ان

الانسان اى انسان لابد وان تنعكس ظلال حياته الزوجية على كل تصرفاته وحركاته واعماله وانتاجه ،وتؤثر فيها تاثيرا مباشرا ،ليس فى مكنة الانسان تجنبه اوالابتعاد عنه، واذن ان الزواج امر له خطورته لا فى حياة الافراد فحسب بل وايضا فى حياة المجتمعات والامم والشعوب ، يتوضح فى رقيها وتقدمها ، او يتجلى فى تأخرها وانحطاطها ..

ونحن فى هذا المجتمع الانفصالى الاتكالى لنا اخطاء كبيرة وكثيرة نقع فيها عندما نفكر ونقدم على الزواج اذ ننظر اليه نظرة مجردة من كل معنى اللهم الا المعنى التجارى بالنسبة للاباء ،والمعنى الجنسى المحض او الممزوج بالمادية الصرفة بالنسبة للاباء من ذكور واناث . وننظر الى الزواج على انه عمل بسيط وبسيط جدا يمكن لاى كائن ان يؤديه ، وفى استطاعته الجاهل ان يقوم به ، تماما كما يقوم به العالم والمطلع ، وانه امر ميسور لا تقف دونه اية عقبة اللهم الا بعض العقبات المادية .. فى حين انه اصبح فنا من فنون الحياة التى لا تزدهر بدون فهمها فهما حقيقيا مؤسسا على العقل والتفكير والنضج والادراك والوعى والتفهم الكامل ..

ويمكننا ان نحكم على لون حياة اى مجتمع ، اذا نحن القينا نظرة عميقة على حيواته الزوجية ، وازدهارها اذا ما القينا هذه النظرة على المجتمع ، فاثر كل من الزواج والمجتمع واضح متجل فى الاخر بصورة ظاهرة .. وهل فى ذلك ما يستغرب ؟..

فما دام الزواج هو الاصل فى المحافظة على الحياة وعلى النوع الانسانى من التلاشى والانقراض ، وهو الواسطة بين الانسان وبين استمراره فى هذه الحياة ، وما دام هو الوسيلة الوحيدة لازدهار الحضارات وانتشار العمران ، فلا شك ان كل ذلك جعل للزواج قيمة واية قيمة ..

قلنا لا بد من البحث عن الاسس والقواعد التى تساعدنا على ايجاد حيوات زوجية وان تراءى لنا ان هناك زيجات سعيدة ، فاننا لا نقيم لها اى وزن ،لان ذلك انما هو مظهر خارجى وطلاء لايمكننا ان نعتد به ولا يجوز ان نقيم له اى وزن ، ذلك لان الزواج الذى نبحث له عن الاسس والمقومات الصحيحة ، ليس هو هذا الزواج الذى يدل

مظهره الخارجي على السعادة ، بل ان السعادة يجب ان تكون سعادة عميقة متأصلة لها جذور وفروع واصول، ولان مقياس الزيجة الناجحة فى نظرنا لا يتوقف على مدى استمرار الرابطة بين الزوجين فحسب ، كما يتوهم الكثيرون ، وانما مقياس النجاح فى الـــزواج شيء اخر لا يحس به المتزوجون انفسهم ... فكثير وكثير جدا من بين المتزوجين من نظنهم سعداء ونغبطهم على ما يتراءى لنا من الـــوان السعادة التى يعيشونها ، ونظنهم راغبين عن الانفصال ، فرحين بمـــا هم فيه من استقرار وارتباط ..

.. كثير من بين هؤلاء الذين تغرنا مظاهرهم الخارجيـــة ، من هم فى حقيقة واقع حياتهم اتعس الف مرة من المطلقين واشقى الف مرة مـــن الذين يصبحون ويمسون امام القضاء والمحاكم طلبا للانفصال او وراء مطالبة بنفقة او محاولة ارجاع ابناء .. وكثير من هؤلاء التعساء ، من لم تحل دونهم ودون الانفصال المادى ، وفصل عرى الرابطة الوهميـــة التى بينهم وتمزيق تلك الوريقة التى يسمونهـــا (عقد زواج) سوى اعتبارات مادية اقتصادية او خوفا من دفع نفقة فلولا تلك الاعتبارات المادية الصرفة التى لا تمت الى السعادة ولا الى الانسجام الزوجى بصلة لرأينا كثيرا من هذه الزيجات تأخذ طريقها الى التفسخ والطـــلاق ، ولشاهدنا كثيرا من البيوت التى صورها لنا الخيال او المظهر الخارجى جنة وارفة الظلال ، ينعم فيها ساكنوها بالراحة والهدوء والاستقرار ، تتهدم على رؤوس اصحابها لتفرق بين الزوجين اللذين لم يعرفا السعادة والانسجام والتفاهم ولتشرد ابناء ابرياء لا ذنب لهم الا ان والديهم لم يتفاهما ولم ينسجما ، فيخرجون الى الحياة يملأون الازقة والشوارع والحارات .

وكما يقولون (ان الشعور بالشقاء ، والشعور بعدم امكانيـــة التخلص منه ، عامل نفسى بالغ الخطورة فى الحيوات الزوجية) ذلك لان الشقاء الذى لا مصدر له ، ولا مبعث عليه ، الا عدم انسجام الزوجين وعدم تفاهمهما ، وذلك العجز عن الخلاص من هذا الشقاء ، الذى لا اساس له ، الا اعتبارات مادية واجتماعية .. هذا العامل النفسانى الذى يملاء النفوس ويحرقها فيضاعف من الهنات البسيطة ويصورها فى صور خيالية ، لهو ما يجعل كلا من الزوجين عدوا للاخـــر ، او متربصا بـــه الفرص ، ومنتظـــرا الظروف المواتيـــة للانقضاض واخذ الثأر ..

ولكى نوجد الزواج المقام على التفاهم والانسجام ، لا بد من ان نضع فى اعتبارنا عدة شروط ونعمل على توافرها وايجادها وخلقها ، فى كل زيجة نريد لها الدوام والاستمرار . واننا واجدون هذه الشروط فى امور كثيرة ، فى الدين وفى العلم وفى العقل .. فالدين يقول (واحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم) ومن هذه الاية نضع ايدينا على مبعث الانسجام الزوجى الاول ، اذ اننا نرى ان الاصل فى الاباحة .. اباحة التعدد يشترط فيها العدل كما هو ظاهر فى بقية الاية (وان خفتم الا تعدلوا فواحدة) ولا شك ان العدل هنا يتناول الناحية المادية التى كثيرا ما كانت سببا فى الشقاء الزوجى ،وعدم العدل هو ما يحذرنا منه القرآن ويظهر عجزنا عن تحقيقه (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فالعجز عن تنفيذ العدل سيمة من سمات البشرية لا يمكن انكاره او تغافله ، هذا اذا نحن لم نقل مع القائلين بان العدل يشمل الناحية العاطفية تماما او قريبا من شموله للناحية المادية ، فلو اننا اعتبرنا العدل يجب ان يكون فى الناحية العاطفية ايضا لامكاننا ان نقول صراحة ان الجمع بين الزوجات من الامور الغير مرغب فيها من وجهة نظر الدين ، ولكننا لا نستطيع ان نحكم بذلك لان الميل العاطفى القليل مباح بحكم القرآن **(ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة)** ويكفينا هنا ان نأخذ بهذا القول اى عدم الميل الكلى ، فاذا نحن قلنا ان الاسلام يحرم بظاهر هذه الاية ، الميل العاطفى الكلى الذى يذر المراة كالمعلقة ، فان ذلك يجعلنا نفكر ونقر بان الانسجام الزوجى لا يتاتى فى بيت رجل يجمع اكثر من امراة واحدة فى عصمته ...

وقال النبى صلى الله عليه وسلم للمغيرة **(انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما المودة والالفة)** ومن هنا نجد سببا آخر من اسباب الانسجام الزوجى والتفاهم ، وذلك فى ان يكون كلا الزوجين راضيا عن الاخر قابلا لان يكون له زوجا يشاركه الحياة والعيش مدى العمر ، فاهما له ، مطلعا عليه ، متفقا معه ، لا من حيث القيم المادية فحسب ، وانما من حيث المظاهر ايضا ، فالنبى عندما امر المغيرة بالنظر انما كان يقصد ان يكون المغيرة راضيا عن مظهر التى سيتخذها زوجة وشريكة طيلة الحياة ...

واذا كان النبى عليه صلوات الله قد امر المغيرة بالنظر الى فتاته ، فانه لم يقصد ان يحدث هذا النظر خلسة ودون علم الفتاة

نفسها « ويؤيد هذا قول العلماء ان النظر – يشمل اليدين والرجلين والوجه » بل انه اراد ان ينظر المغيرة الى فتاته بعلمها فيتيح ذلك للفتاة ان تراه هى الاخرى ، فاذا وقع الرضاء بعد ذلك كانت الحياة الزوجية اقرب الى الانسجام، منها لو تم الزواج دون نظر وبدون اختيار ...

والاسلام يبيح للفتى ان يجالس خطيبته وان يحادثها شرط وجود محرم من اهلها ، ففى هذا الاختلاط بين الخطيبين ما يساعد على حدوث التفاهم الزوجى اذ يتيح لكليهما الاطلاع على آراء الآخر وميوله ومعرفة عقله وتفكيره ونضجه ووعيه ، فاذا تم الزواج بعد كل هذا لا جدال انه يكون زواجا مقاما على شىء من التفاهم والتقارب ...

ونحن مرة اخرى لا نستطيع ان ننكر ما لجمال الوجه من اثر مباشر فى احداث التناغم الزوجى ، ولو اننا لا نضعه فى المرتبة الاولى ولا نعطيه كثير اهتمامنا ، لا نستطيع ان ننكرذلك لان طبيعة الحياة تجبرنا على الا نهمله اهمالا كليا ، وقد سبقنا عمر الخطاب رضى الله عنه فى الحث على البحث عن الجميل اذ قال (لا تزوجوا المراة القبيح الذميم ، فانهن يحببن لانفسهن ما تحبون لانفسكم)

ان ذمامة الخلقة وقبح المنظر والتشوهات الخلقية الظاهرة ، امور تتنافى مع الانسجام الزوجى الذى نبحث عنه ولا يمكن مطلقا ان تجتمع مع الانسجام على صعيد واحد ..

هذا من الوجهة الدينية ، او القواعد الدينية التى تجلب الانسجام بين الزوجين ، واما من الناحية الاجتماعية فقد وضع علماء الاجتماع قواعد لحدوث هذا الانسجام والتناغم المطلوب ومن بين هذه الشروط :

الصحة العامة ووجوب توفرها فى كل من الزوجين الرجل والمراة ..

الجمال وخفة الروح بحيث يكون كل منهما له روح خفيفة تجعله مستساغا مقبولا لدى الثانى وله قدر من الجمال ..

الاعتماد على النفس ، فى الاختيار وفى النفقات فليس ما يسرع بهدم

البيوت الزوجية ويسوقها الى الانحلال مثل اعتماد احد الزوجين او كليهما على غير نفسه فى اختيار شريك حياته ، او اعتماد الفتى على والديه فى نفقات زواجه ..

الاكتفاء الذاتى ، وهو ما تحدثنا عنه فى فصل سابق يتعلق بالتربية الزوجية والمنزلية ..

الايثار والبعد عن الاثرة ، تقارب مستوى العمر ، وتقارب المستوى الثقافى والعلمى والاجتماعى والمالى ..

اتحاد الدين والجنسية ..

هذه هى الاسس المتينة التى يجب الا يقام زواج الا على اساس من فهمها ووعيها والعمل بها ، ولست هنا فى حاجة الى شرحها ، اولا لانه سبق لى ان تعرضت لها على صفحات جريدة (طرابلس الغرب) سنة ٩٥٢ وثانيا ربما تعرضت لها فى الفصول القادمة بصورة او باخرى ..

ولكن يجب ان نلاحظ ان هذه الشروط التى وضعها علماء الاجتماع ليست من الامور السهلة التى يمكن ان تجتمع فى انسان ما مهما بلغ هذا الانسان من درجات الكمال ، لانها فى حقيقتها شروط وصفات تدل على الكمال المطلق الذى لم يتصف به انسان بعد، واذن فالمهم ان نقول ، انه يكفى ان يسود الحب والحب المتكامل المتبادل بين الزوجين المبنى على الانسجام والتفاهم والتقارب حتى تحدث السعادة بينهما ، على شرط ان يكون كل منهما خلوا من العيوب الظاهرة والنقائص البارزة .. فواجب كل مقدمة ومقدم على الزواج ان يضع نصب عينيه عدم وجود الانسان الكامل ، الانسان الذى اكتملت فيه كل الصفات الحميدة المرغوبة وبعدت عنه كل نقيصة وعيب ..

وعلى الرغم من هذا كله ، فاننا نذكر هنا بعض الصفات التى يمكن ان تتوفر فى الانسان والتى يجب ان نوليها اهتمامنا ، والسيدة انصاف سرى تكفينا مؤونة البحث عن هذه المواصفات حيث تقول فى احدى اعداد جريدة المصرى تحت عنوان **(الاسرة وما يجب ان تكون عليه)** :

«ينبغى ان يراعى فى بناء العائلة ان يكون قوامها المودة والرحمة.. ولكى يمكن ان يحسن كل من الزوجين العشرة مع صاحبه ، يجب ان يكون بينهما تشابه فى الاتجاهات والرغبات ، وانسجام فى الاوضاع العائلية ، وتلاقى فى الاذواق والعقائد والتفكير ، وفى كل ما يؤكد عقد الزواج» ..

(فالزواج الناجح لابد له من توافر الانسجام بين الزوجين من الناحية الثقافية والعاطفية ، وان يتوفر فيه صدق القصد وصدق النية فى بناء العائلة المستديمة المبنية على اخلاق الصون والعفاف والوفاء ، فى تقديس الرابطة الزوجية والصبر والتسامح والتعاون باوسع معانيه وخصوصا فيما عساه ان يصادف الزوجين او احدهما من محن الحياة وخطوبها) .

وقال بعض المفكرين (ثلاثة اشياء ينبغى ان يتدبرها الشاب المقبل على الحياة الزوجية ، **ماذا يريد من شريكه الحياة ؟ ماذا يحتاج منها ما مستوى الزوجة التى يستطيع الظفر بها ؟**

لا شك لو تدبر كل شاب مقبل على الزواج هذه الامور الثلاثة قبل زواجه بعقله وفكره ، لاستطاع ان يخلق من حياته الزوجية بعد ذلك ، حياة سعادة وهناء واستقرار ، اذ لا جدال ان كل عاقل انما يريد من شريكة حياته ان تكون له زوجة وصديقة وزميلة وصاحبة ، يفهمها وتفهمه وتتجاوب معه كما يتجاوب معها ، قبل ان تكون انثى للفراش وخادما للمطبخ واما للولادة .. وهو يحتاج منها بعد ذلك لان ترعاه فى شخصه وفى منزله وفى عواطفه..

وهذان الشرطان لايتوفران الا اذا تدبر الانسان اى مستوى اجتماعى يريد زوجته ان تكون عليه حيث ان للمستوى الاجتماعى هنا دخلا كبيرا لا يمكن غض النظر عنه ، والانسان انما يطلب الزوجة التى تساويه او حتى تقاربه من حيث المستوى الاجتماعى والثقافى والعلمى والمالى ...

ولا شك ان عدم تدبر مثل هذه الامور الجوهرية هو ما يطوح بكثير من الزيجات بعيدا عن الهدوء والسكينة والاستقرار ، اذ يكون الدافع الى الزواج مجرد رغبات جامحة ، دون تفكير ومن غير تروٍ ولا

وعى وفهم ، أو تدفع اليه دوافع اخرى كسلطة الوالدين أو الحاجة الملحة لقضاء بعض الشؤون فى قليل من الحالات ٠٠ وكل هذه عوامل كفيلة بأن تجعل الانسان يقدم على الزواج دون تفكير ويختار شريكته من غير اتزان ٠٠

واذن فلا بد من الدراسة والدراسة الوافية المستفيضة قبل الزواج اذا كنا نريد اقامة حيواتنا الزوجية على أسس من الفهم والادراك ، ومن هذه الاسس أو فى مقدمة هذه الاسس : (تكافوء البيئة والعقلية) بين كل زوجين فالازواج المختلفون فى بيئاتهم المتباعدون فى عقلياتهم ، قل ان يحدث بينهم التفاهم الزوجى الذى هو طريق الاستقرار العائلى ، وأنك لتستطيع أن تحكم على نوع حياة اى زوجين داخل بيتهما ، بمجرد ان تعرف مقدار تقارب أو تباعد مستوى تفكيرهما ومستوى عقليتيهما ٠٠ فلا انسجام ولا تفاهم بين عقلين متباعدتين وفكرين متنافرين ٠٠

قد نكون اعطينا او اطلنا الكلام حول الزواج ، ولكن ذلك امرا لا مفر لنا منه لان الزواج كما نراه عماد الاسر التى هى بدورها اصل المجتمعات ، ونحن عندما نعالج الزواج ، انما نريد من ذلك ان نخلق الاسس المتينة للزواج التى يصعب علينا الالمام بها كلها، ولكننا لا اقل من ان نبحث الجوانب التى يمكننا بحثها فى شىء من الافاضة والاسهاب بعد ان نقسمها الى اقسام ثلاثة فى شكل اسئلة ، أولها :

لماذا نتزوج ؟ ٠٠

سؤال غريب ان نسألك لماذا تتزوج ٠٠ اليس كذلك ؟
أليس أنت تتزوج لانك وجدت من سبقك من الناس يتزوجون؟
٠٠ ام انك تتزوج لانك فى حاجة الى انثى تنام الى جوارك على الفراش؟
٠٠ ام تتزوج لان والدتك كبيرة السن واخواتك لا زلن صغيرات وانتم فى حاجة الى من يطبخ لكم الطعام وينظف لكم البيت ؟ ٠٠

كل تلك اعذار مقبولة ودوافع وجيهة تدفعك للزواج كما دفعت غيرك ، والغريب اننا بعد ذلك نسألك لماذا تتزوج ؟ ٠٠ ان الجواب لا يحتاج الى كثير عناء ولا الى كثير تفكير ، هكذا تقول ٠٠٠ وانه سؤال (بايخ) ولكننا رغم كل هذا نقول ، انه مهم وانه حيوى وانه ضرورى ان نوجهه الى عقولنا وقلوبنا ومداركنا قبل اقدامنا على الزواج وقبل

ان نخطو خطوة واحدة نحو الارتباط بانسان اخر معنا طيلة الحياة ..يجب ان نوجه هذا السؤال الى عقولنا حتى يمكننا على ضوء اجابتنا عنه ان نقدم على الزواج او نحجم عنه ، ونحن نؤكد لك اذا كان جوابك على سؤالنا هذا مجرد الاجوبة التي ذكرت فوق ، فاننا ننصحك بعدم الزواج ننصحك بالابتعاد عن الارتباط بمخلوقة ما لتتخذ منها مجرد خادمة وآلة ومتعة ..

قد تعجب لماذا نوجه هذا السوال الى القراء ، لان العادة جرت ان نتزوج بدون اسئلة ولكن .. اليس من المخجل ان نسأل انفسنا ونفكر اذا اردنا ان نبتاع حذاء او قميصا ، ولا نفكر مطلقا اذا اردنا ان نتزوج ؟..

أن عدم الصراحة مع انفسنا، المتجلي في عدم توجيه هذا السؤال الى عقولنا ، هو ما جعل جلنا ان لم يكن كلنا ندخل الحياة الزوجية من بابها الخلفي .. ندخل محرابها المقدس دون ان نفكر في الدوافع الحقيقية التي دفعتنا الى الدخول ..

ربما يكون بعض من شبابنا قد وجه هذا السؤال الى نفسه ، ولكننا نجزم ان واحدة من فتياتنا لم توجه الى عقلها لانه لم تخلق بعد الفتاة التي تستطيع ان تحكم عقلها او حتى قلبها في زواجها ، لان الزواج مفروض عليها فرضا بقوة قانون الابوة المجحف ...

نقول بعض من الشباب ربما وجه مثل هذا السؤال الى نفسه ، ولكننا نجزم في الوقت نفسه ان واحدا منهم لم يصل فيه الى نتيجة يتغلب بواسطتها على الحيرة والاضطراب الذي يراوده ،وذلك لان كل من وجد الجرأة وساءل نفسه لماذا (اتزوج)؟ لم يوجه هذا السؤال الى عقله المجرد وانما هو يوجهه الى قلبه وعواطفه وخياله .. القلب والعاطفة والخيال التي تسيطر عليها الرغبة وتتحكم فيها رواسب الحرمان المزمن .. وطبيعي ان يجر عدم التفكير المنطقي هذا وعدم التركيز والانتباه وعدم الاهتمام بما يمليه العقل ...

طبيعي ان يجر هذا التسرع في الحكم على الاشياء والامور عددا كبيرا من الزيجات الى الفشل والى انقلاب احلام الزوجين التي كانا ينتظران من الزواج ان يحققها لهما ، الى واقع مر وحقيقة صعبة

الاستساغة ، وليس من باعث لكل ذلك الفشل سوى التسرع والانخداع للعواطف الجامحة والشهوات العارمة .. واذا قلنا فشل الحياة الزوجية ، فاننا لا نعنى ابدا ذلك المعنى الضيق المحدود لكلمة (فشل) بحدود (الطلاق) والفراق ، وانما نقصد أيضا ذلك النوع من الفشل الذى اشرنا اليه فى فصل سابق ، وقلنا لم يحل دون ظهوره الا عوامل مادية أو اجتماعية ..

ان الزواج الموفق لم يكن أبدا، كما أشرنا ، متوقفا على الاستمرار فى وجود ذلك الرباط الذى يسمونه (عقد الزواج) واذا نحن فهمنا الاستقرار الزوجى على هذا الاساس فانما نكون مخطئين فى فهمنا ومخطئين فى تقييمنا للسعادة الزوجية ، اذ ننظر اليها من الزاوية المادية الصرفة ، نقول هذا لاننا لا نشك فى ان سائر فتياتنا نتيجة للتربية كما المحنا سابقا ، لا يجهلن معنى السعادة الزوجية فحسب، بل ومعنى الزواج ايضا ، فيتزوجن وهن لا يرين من الزواج الا جانبه المادى الصرف ، وفى صوة شهوة وغريزة وجنس مجرد من كل معنى للتعاطف والتحابب بين الزوجين ، ولا ينظرن اليه الا من خلال هذه المعانى التى تحط من قيمته وتنقص من قدره وتجرده من سموه ورفعته ويحسين مجرد التحدث عنه وتصبغ وجوههن الحمرة القانية اذا ما طرق اسماعهن لفظ (زواج) لانهن لا يرين فيه الا المتعة الحسية البعيدة عن كل معانى الفضيلة والخلق والادب ،شانهن فى ذلك شان الكثيرين من الشباب المحروم ، ومن هنا صرنا نتزوج ولا نعرف (لماذا نتزوج) اذا لم يكن زواجنا استجابة لاحدى رغبات ثلاث ؟..

١ ـ اما ان يتزوج الشاب منا لانه فى حاجة الى من تقوم له بهام بيته بعد ان عجزت امه عن القيام بتلك المهام ، فتعتنى بالطبخ والكنس والتنظيف .

٢ ـ واما لحاجته الى آلة تمده بالبنين والويل لها ان اخطأت ومدته بالاناث ..

٣ ـ واما لحاجته الى وجود انثى تدفىء فراشه وتطفىء غرائزه التى تضطرب بين جوانبه بما تمنحه من جسدها وشبابها وانوثتها ..

ونحن لا ننفى بقولنا هذا دافع الجنس الى الزواج ، ذلك لاننا بعمل كهذا وبتجريدنا الحياة الزوجية من قيمها الجنسية ، نقلب

الاوضاع الطبيعية رأسا على عقب ونقف امام الطبيعة البشرية وجها لوجه ، فنخلق من الحياة الزوجية حياة قاحلة ماحلة لا لذة فيها ولا متعة اشبهما تكون العلاقة فيها بين الزوجين بالعلاقة بين الاباء والابناء او الاخت باخيها ، ولكننا لا نرضى ان يكون الدافع الجنسى هو كل شيء ما يدفع الى الزواج ، وذلك لاننا نؤمن بالتجارب التى تقول ان الظمأ الجنسى حالما يروى والجوع الغريزى سرعان ما يشبع ، وعندها تصبح الحياة الزوجية حياة خالية من كل المتع ومن كل مقومات الاستقرار ، وتنقلب الى سعير لا يلطفه الا حب متبادل موءسس على التفاهم والتقارب والانسجام ..

قلنا ان جل شبابنا لا يدفعه شيء الى الزواج مثل ما تدفعه تلك الدوافع الثلاثة ، ولكن الفتيات عندنا لايدفعهن الى الزواج الا شعورهن واحساسهن بافتقار الواحدة منهن الى ممارسة لون جديد من الوان الحياة وتحت ظل وحماية رجل غير والدها او أخيها ، وغير رغبتها فى الاحتماء بهذا الرجل الذى يضمها فى نطاق الدين والفضيلة بين ذراعيه المفتولتين ، فيحميها ويدافع عنها ويشبع رغباتها فى مقابل افتراسه لها واستحواذه على جسمها وجمالها وشبابها ..

كل هذه الدوافع تقلل من معنى الزواج وتنزل به الى مستوى الحيوانات وتجرده من كل معانيه الانسانية وتنزل به الى مرتبة الحيوانية المحضة ، فى وقت اصبحت فيه الحياة الزوجية حياة صعبة الفهم على ذوى العقول الضيقة ، متشعبة الفروع والاتجاهات ، يجب ان يشارك الزوجان كلاهما فى القيام باعبائها ..

واذا نحن نظرنا الى هذه النقطة الجوهرية فى ضرورة تغيير خط سير حيواتنا الزوجية ، نظرة جادة ممعنة فانا لا شك سنجد منطق الحياة وضروریاتها يجبراننا على ان نغير من قيمنا الفردية والجماعية التى تعودنا ان نقيم عليها الزواج فى هذا المجتمع ، فنعتبر الزواج شيئا مقدسا وان الحياة الزوجية حياة قائمة على التفاهم المؤسس على التحابب والتقارب والتوادد بين الزوجين ، يجب ان يشارك كل منهما بنصيبه فى السير بها نحو الغاية المطلوبة منها ..

وما دمنا قد اشرنا الى (الحب بين الزوجين) فعلينا ان نتناول هذه الناحية بشيء من الدراسة والبحث حتى نكون قد اعطينا كل شيء حقه ....

فالحب بين الخطيبين اولا وبين الزوجين ثانيا ، الحب المتبادل المؤسس على التفاهم والتقارب والتعقل ، من الدعائم المتينة التى نشك كثيرا فى نجاح زواج لا يقام عليها ويتم بدونها ، اذ الحب هو الطريق الصحيح لحدوث التناغم والامتزاج بين الزوجين ، سواء كان هـــذا الامتزاج ماديا غريزيا او معنويا عاطفيا ..

وبديهى اننا لا نقصد بالحب هنا، ذلك الحب الرخيص المبتذل حب الشوارع والازقة والحارات المظلمة ، الحب الذى قوامه المتعـــة العابرة والشهوة التى تتحكم فى صاحبها ... لا نقصد بالحب ذلك الحب الافتراسى الذى يعتمد على الافتراس والغلبة والخديعة والوعـد الكاذب ، وانما نقصد ذلك الحب الهادف الذى يدفع اليه الشعـــور بالحاجة الى انسان يفهمنا ونفهمه ويتجاوب معنا كما نتجاوب معه ، الحب المؤسس على التقدير والاحترام والتضحية والايثار .. الحـــب الذى قوامه الاعتراف بفضل المحبوب عـــلى المحب .. الحب الذى هو وسيلة الى غاية ، وغايته الارتباط برباط مقدس مدى الحيـــاة والى الابد ...

فالاول والذى نحذر منه لم يكن ابدا حبا وانما هو افتـراس وخديعة وفرق بين الحب والافتراس ، وفرق بين التعاطف والاشتهاء (فنحن عندما نشتهى المراة ناخذ منها ونستخدمها)ويجب هنـا (الا ننسى ان الحب غير الاشتهاء فالاول تعقلى والثانى غريزى ، بل هما احيانا متناقضان ، بحيث اذا زاد حنان الحب ضعف عدوان الغريزة) (واساس الزواج السعيد هو الحب.. الحب الذى لا ينبنى على الشهوة وجمال الجسم ، ولكن على التعقل) (١)

ومن هنا نجد ان الحب ، هوما دفع اليه العقـل المجرد ،وامـــا مـــا تدفع اليه الغريزة والشهوة فهو اشتهاء او اقتناء لا يعنى فى كثير ولا قليل من الحب شيئا ، ذلكلان الاشتهاء تدفع اليه الغريزة واما (الحب فهو عاطفة معقدة يشترك فى تكوينها القلب والدين والعقل والخيال)

(وهو قبل كل شىء علاقة روحية سامية تؤلف بين قلبـــين وتجمع بين نفسين ، وكلما كان حبنا من قبس روحنا ، ووحـــى اخلاقنا وصياغة فضائلنا وابداع الجانب الطيب فى نفوسنا ، كان حبنااقرب الى البقاء وادنى الى الثبات والاستقرار) (٢)

---

(١) سلامة موسى

هذا هو الحب الذى يجب ان تتكون منه لحمة حيواتنا الزوجية ونسيجها ، فكلما كانت الحياة الزوجية قريبة من العقل والفكر والثقافة ، كانت اقرب الى البقاء والنماء والاستقرار ، حيث انه (ما الحياة الزوجية الا فكر وثقافة واخلاق يتالف منها عقل وقلب وضمير .. فمتى استطاع الفرد ان يوسع آفاق ثقافته ويضاعف من قوة تفكيره ، وحرص على نبل اخلاقه ، استيقظ فيه العقل والقلب والضمير ، فاستطاع متى احب ان يغلب فى الحب عنصر الروح على عنصر المادة) (٣)

ونحن هنا لا نريد من شبابنا وفتياتنا ان يفهموا الحب على اساس انه متعة وجنس ، ولكننا (نود ان يفهموا ان الحب السامى الطاهر ، مرادف للعفة والطهر ، لا غواية الفتيات واغرائهن) (٤)

واذا كان هذا هو لون الحب الذى نبحث عنه فى تكوين وتاسيس حيواتنا الزوجية ، حتى نضمن لها البقاء والاستقرار فان ذلك لا يعنى مطلقا ان نلتفت بكليتنا الى الحب ونركز كل تفكيرنا واهتمامنا فيه وبه ، دون ان نلتفت الى الجوانب الاخرى ، التى يجب ان نوليها الكثير من العناية والاهتمام والتى نوهنا عنها منذ قليل حيث ان لكل من تلك العوامل اثرها المباشر فى خط سير الحياة الزوجية بصورة خاصة ، والحياة الاجتماعية بصورة اعم ..

وعلى هذا الاساس ، نصل الى جواب يمكننا ان نجيب به اذا سئلنا (لماذا نتزوج ؟) :

اننى اتزوج لاننى اشعر بنقص لا يكمله الا هذا الشخص الذى اخترته بمحض ارادتى ،والذى املى على اختياره عقلى وثقافتى وضميرى وقلبى قبل ان تملى على ذلك شهوتى وغريزتى .. اتزوج لاننى احس بحاجتى الى من ابثه اشجانى واحكى له احلامى ، فيشاركنى سرائى وضرائى ، ويحزن لحزنى ويفرح لفرحى ، لانه يشعر بنفس مشاعرى ، ويحس بنفس احساساتى وله نفس آمالى ورغباتى .. فهو يفهمنى وافهمه ويقاربنى واقاربه فى التفكير والمعتقدات ،فيعاوننى على تحمل مشاق هذه الحياة الدنيا .. اننى فى حاجة الى روح وعقل وقلب ، تماما بقدر حاجتى الى جسد ....

(٢ ـ ٣) ابراهيم المصرى
(٤) الدكتور محمد فتحى

وليس هناك من استكمل كل هذه الشروط الا زوجي او (زوجتى) الذى احترمه واحبه ويبادلنى هو نفس هذا الحب والاحترام

اذا اجاب من يسال لماذا تتزوج بهذا الجواب ، فنحن نكفل له ان حياته الزوجية ستكون بلا مراء حياة هدوء واستمرار واستقرار ..

غير ان معنى هذه الاجابة ، او ان هذه الاجابة لا تصدر الاعن (اختيار) واذن فهل هناك فى بيئتنا من فى استطاعتها او من فى استطاعة ان يجيب بهذه الاجابة التى تدل على الاختيار الحر المطلق؟..

لا نعتقد ذلك ، لان الزواج هنا لا زال يتم على شكل (تزويج) لا على اساس (زواج) .. فالاختيار الحر المبنى على الدراسة والاطلاع ومعرفة الآراء والميول ،لا يمكن ان يحدث فى مجتمعنا هذا قبل ان نثور رجالا ونساء ، ثورة جامحة على اوضاعنا الاجتماعية البالية العتيقة ، وعلى تقاليدنا المتبعة فى الزواج ، ذلك لاننا مؤمنون بان الاختيار الصحيح .. الاختيار المقام على العقل والمنطق والواقع والحقيقة ، لا يحدث الا اذا كان هناك اختلاط .. اختلاط بين الجنسين ، ومالم يكن هناك عدم اجبار من الوالدين او ضغط من احدهما .. وماد منا نعانى مصيبتى الاجبار الابوى ، والانفاصلية المشئومة ، فاننا لن نتمكن من اقامة زيجات على اسس من الواقعية ، التى يمكننا ان نواجه بها الحياة فى صلابة وعناد وتصميم ..

وهذه الانفصالية وهذا الاجبار ، لا يمكن ان يزولا ولا يمكن ان ينمحى شبحهما ، الا اذا ثرنا على الاوضاع والتقاليد والعادات ..

اذا كنا قد اجبنا على السؤال الاول (لماذا نتزوج ؟) بما نعتقد فيه الكفاية ، فان مساق البحث يجرنا الى توجيه سؤال آخر :

ممن نتجوز ؟ .

وهذا السؤال فى نظرنا لا يقل اهمية عن السؤال الاول ، وان كان لاحقا له من حيث الترتيب الزمنى ، ففى اختيار ازواجنا

تكمن سعادتنا الزوجية ، وبدون هذا الاختيار فلا يصح لنا ان نقول اننا تزوجنا زواجا ناجحا موفقا ..

ممن نتزوج ؟ سؤال يجب ان نفكر فيه قبل ان نفكر فى ليلة (الدخلة) وما يتبعها من ليالى العسل او البصل ان كان هناك شهور بصل فى الزواج الموفق الناجح .. وقد يتراءى للقارىء العادى ان الاجابة عن هذا السؤال اجابة سهلة ميسورة فى مكنة الجميع ان يجيب بها بما تمليه عليه رغباته وميوله .. وبالعكس قد يرى البعض ان الاجابة على هذا السؤال غير ممكنةولا مستطاعة فىمجتمع انفصالى لا يزال ينظر الى الزواج نظرته الى احط الامور وعلى اعتبار انه صفقة تجارية قد تربح وقد تخسر ، اذا اقمنا كبير وزن لما تكبلنا به العادات التى تحول دوننا ودون الانطلاق الحر والتعبير الصحيح عما يخالجنا من رغبات وميول ..

غير ان هذا التضارب سرعان ما يزول اذا علمنا اننا لا نقصد من الاختيار ان نختار الجمال بقدر ما نقصد اختيار الاخلاق(مبدئيا) فى الظروف الراهنة وقبل ان نرفع راية الثورة والعصيان على الرواسب والخرافات .. وعلى هذا الاساس واذا عرف القادم على الزواجلماذا يتزوج، فانه سرعان ما يجد جواب سؤالنا ممن يتزوج فاختيار الزوجة او الزوج يتوقف الى حد كبير على معرفتنا ما الذى نبغيه من زواجنا ؟ واذن فان اى فتى او فتاة فى استطاعته ان يختار (ممن يتزوج) اذا فهم ووعى الغرض الحقيقى من زواجه ودافعه الاساسى الى هذا الزواج .

ان عدم التفكير المركز فى الشخص الذى نقبله ونرضى ان يقاسمنا الحياة ويشاركنا اياها مدى العمر ، امر كفيل بالقضاء على كل امل فى احداث الانسجام الزوجى بين كل زوجين ، فاختيار الزوج المناسب طريق اول نحو السعادة الزوجية ، ووسيلة اولى لاسعاد كل من الزوجين ، وعامل (موجب) لاحداث التناغم والتفاهم بينهما .

والاختيار الذى نقصده من ناحية اخرى ، يعنى توفر شروط فى كل من الزوجين ، وان كنا لا نعتقد انه فى مكنتنا ان نذكر كل هذه الشروط التى يجب توافرها فىالزوج حتى يصبحمحلا لاختيارنا

فنبحث عنه ونفضله على غيره من الازواج ، حيث ان ذلك يتوقف الى حد كبير على مدى وعى الفرد وشخصيته بين القوة والضعف ، وتأثره بالبيئة التى عاش وربى فيها ، والثقافة التى يتمتع بها والتى تميزه عن غيره من الناس .. فكل هذه عوامل لها دخلها المباشر فى التاثير علينا عندما نفكر فى اختيار ازواجنا ..

ولكن رغم كل ذلك ، فاذا كان لابد لنا من وضع قاعدة عامة يمكن ان تتخذ اساسا بين سائر الناس ، فان كل ما نستطيع عمله هنا ، ان نورد بعض الشروط التى اتفق لفيف من علماء الحياة والاجتماع على وجوب توفرها فى الزوج المناسب ،ومن هذه الشروط:

١ ـ اتفاق المستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى، اوعلى الاقل وجود تقارب بين الزوجين فى هذه النواحى .

٢ ـ تقارب الآراء والميول والافكار والمعتقدات الاجتماعية والاخلاق .

٣ ـ تشابه البيئة والمحيط والتربية .

٤ ـ اتحاد الدين والجنسية .

٥ ـ تقارب سنوات العمر

٦ ـ الصحة العامة .

٧ ـ خلو كليهما من العيوب والنواقص الظاهرة المشينة ، وتمتعه بشىء من الجمال .

هذه نقاط سبع يتحتم ان يتأكد وجودها وتوفرها كل قادم على الزواج فى الطرف الثانى ، ويجب ان يبحث عنها بين من يرشحهن او (ترشحهن) للزواج الا ان واقع الحياة وواقع الناس ، يدعواننا الى ان ننبه الى القول بان هذه الشروط يكاد يكون توافرها فى شخص واحد من الامور المستحيلة عمليا فى واقع الحياة ، فلا يجب علينا ان نندفع وراء الخيال وطلب الكمال المطلق ، فنتعب انفسنا فى البحث عمن تكاملت فيه هذه الشروط جميعها وانما يكفى ان يفوز المرء باكثريتها حتى يكون أهلا لبحثنا عنه ولاتخاذنا اياه زوجا الى جوارنا

ونعود الى التساؤل (ممن نتزوج ؟) وما هو الجواب الصحيح الذى يجب ان نجيب به اذا سئلنا مثل هذا السؤال حتى نتمكن من التغلب على حالة الحيرة والتذبذب التى يعيشها شبابنا من ذكور واناث؟

ولا نعتقد ابدا انه يصح ان يكون جوابنا من جانب الغريزة والجنس فحسب ، فنحن نعلم ان هناك نقطة ضعف تتحكم فى جل الشباب وتجعلهم مساقين الى الزواج تحت تأثيرها البحت ، وهو الشعور الجنسى الخالص الذى يدفع صاحبه للبحث لا عن عقل وفكر وادراك وفهم ، ولكن للبحث عن جسد لين طرى ، او عضلات صلبة قوية مفتولة .. لا نعتقد ابدا انه يصح لنا ان نجيب ونحن تحت تأثير الغريزة والجنس ليس الا ، بل لا بد ان يكون هناك فى جوابنا للعقل والمنطق المكان الاول ، فنحن عندما نبحث عن انثى كذلك يجب ان نبحث عن انسانة .. انسانة تكمل لنا النقص الذى نحس به والذى لا يمكن لاحد ان يكمله لنا الا نصفنا الثانى الذى نختاره بمحض ارادتنا وبكامل حريتنا ، فيساعدنا على السمو بغرائزنا والارتفاع بجنسيتنا، ولان وجود هذا الشخص الثانى الى جوارنا مدى الحياة حتى يتحمل معنا ويعيننا على تحمل اعبائها الكثيرة المتعددة المتنوعة شىء ضرورى لنا

والان هل نستطيع ان نجيب على سؤالنا جوابا يكون للعقل وللضمير فيه المكان الاول؟ نعتقد ان ذلك صار ممكنا خاصة بعد ان عرفنا لماذا نتزوج ، فنحن انما نتزوج من الشخص الذى نراه قادرا على محو نواقصنا او على الاقل قادرا على مساعدتنا فى التغلب على هذه النواقص ونتزوج ممن يعوضنا بحبه وحنانه وعطفه عما نحس به من ملل وضجر وضيق بالحياة العامة الكادحة .. نتزوج ممن نراه محققا لامالنا واحلامنا ، بعد ان يفهمنا ونفهمه ويتجاوب معنا ونتجاوب معه .. ممن تتمثل فيه صورة فتى او (فتاة احلامنا) وممن نراه كفؤا لنا فى بعض النواحى ودوننا فى بعضها الاخر واكمل منا فى نواح اخرى .

وبتعبير اشمل واسهل واعم ، اننا نتزوج نصفنا المفقود الذى طالما بحثنا عنه حتى وجدناه متكاملا فى هذا الذى قررنا بمحض ارادتنا وبكامل حريتنا الزواج منه .

اذ اقتنعنا بان هذا هو الجواب الصحيح او القريب من الصحيح الذى يمكننا ان نقيم عليه صروح حيواتنا الزوجية ، فان هذا الجواب وغيره من الاجوبة ، وان هذه الشروط التى قلنا يجب التأكد من توفرها فى الشخص الذى عزمنا وقررنا الزواج منه ، تتوقف معرفتها والتأكد منها على الحرية الفردية التى يتمتع بها كل من الفتى والفتاة زمن الخطبة وقبلها وبعدها . فيجب اذن ان يكون كلاهما حرا متمتعا بكامل حريته الفردية حتى يمكنه ان يختار وان يحكم ، اختيارا وحكما مؤسسين على الاختبار الشخصى والدراسة الفردية لا على الاقوال او كلام اولياء الامور من والدين او غيرهما ، بل نعتقد ان مهمة الوالدين هنا وفى مسألة الزواج بالذات لا تتعدى محيط النصح والارشاد والتبصير بالحقائق فى لغة صريحة بعيدة عن التلميح والتعسف والارغام ، اذ لا يمكن بحال ان تقام حياة زوجية يرجى لها الدوام والاستمرار اذا كان احد طرفيها مرغما او مجبرا او مغررا به فى اختيار شريك حياته وعشير عمره .

ولكن هذه الحرية التامة هى التى يجب ان نبحث عنها وفيها بحثا طويلا وطويلا جدا ، ذلك لانه بمقدار الحرية التى يتمتع بها الانسان ايام قدومه على الزواج ، تتوقف سعادته الزوجية على مر السنين وكر الايام .. فما هى هذه الحرية التى نريدها لشبابنا فى اختيار ازواجهم سواء بالنسبة للذكور او للاناث .. وما نوع هذه الحرية التى نريد الا يقام صرح زواج الا عليها ..؟

وما مقدارها هذه الحرية التى ننادى بها ؟ ..

هنا يجب ان نفكر بعقولنا وان نحكم بافكارنا ، لا ان نعتمد على العواطف او نحكم بالغرائز .. يجب ان نميز بين الحرية التى نعنيها ، وبين الاباحية التى ننفر منها ، وان نفرق بين الحرية المنبعثة من شعور الانسان بحريته ، وبانه يتصرف كما يشاء وكما يريد ما دام تصرفه لا يتعارض مع حرية الاخرين ، وبين الاباحية المطلقة التى تدفع الانسان الى التصرف بما تمليه عليه رغباته على حساب حريات الاخرين ..

اننا حين ننادى بالحرية الفردية ، لا نعنى مطلقا تلك الاباحية الماجنة ، وحين نقول بالتحرر ٠٠ تحرر الانسان ، انما نعنى تحرره من اغلال وقيود المجتمع والغريزة الناتجة عن الحرمان والكبت والحجز ٠

وهذه الحرية التى ننادى بها ونتخذها اساسا وطريقا الى سعادتنا الزوجية ، لا يمكن ان تكون ، ولا يمكن ان تحدث ، ما لم يكن هناك اختلاط ٠٠ اختلاط بين الجنسين المتنافرين المتباعدين ، فى البيت ، وفى المدرسة ، وفى الشارع ، وفى السوق والمعمل ، وفى كل مكان ٠٠

فالانسان بالغا ما بلغ من الذكاء والفطنة والمهارة والحيلة ، لا يستطيع ان يحكم على اخلاق اى انسان اخر حكما صحيحا مبنيا على العقل والمنطق ، الا اذا عاشره وخالطه وامتزج به وخبر كل صغيرة وكبيرة من خصاله وسجاياه ٠٠

وهذا ما يدعونا للمناداة بالاختلاط٠٠ ونقول اختلاط رغم علمنا ان هناك كثيرين سوف يثورون وينقمون لمجرد قراءتهم هذه الكلمة ، ولكن ثورتهم ونقمتهم ، لم تعد بالنسبة لنا ذات موضوع ، ولم يعد لها ذلك الاثر البالغ الذى كانوا يحلمون به ٠٠

فنحن هنا نريد ان نتحداهم ، ونريد ان نبرز لهم اخطاءهم التى كنا نحن ضحيتها ، فالذى يريد ان يتحدى وان يقيم اسسا جديدة ومفاهيم جديدة ، عليه الا يخشى ما يوصف به من قبل المتحجرين ٠

فالحياةو ظروفها ومتطلباتها ، كلها تؤيد ، وتحث على هذا الاختلاط الذى ننادى به ، ونراه طريقنا الوحيد الى التحرر والى بناء صرح مجتمعنا الجديد ٠٠

اننا نشكو من احتدام الغريزة الجنسية بين الشباب ، ونحاول ان نجد لها مبعثا ومحركا ، واننا نشكو من كثرة العزوبة المنتشرة بين الشباب ونحاول ان نجد لها مصدرا ، فنردها الى غلاء المهور تارة والى

عزوف الشباب عن الزواج وتحبيذهم للعزوبة تارة ثانية ، والى حب الشباب للتجرد من المسئولية تارة ثالثة ، وكم نكون اغبيـــاء عندما نحاول تعليل هذه الظاهرة بكل تعليل يخطر على بالنا ، الا ان نردها الى مصدرها الاصلى ٠٠ مصدرها الحقيقى ، عدم ايمان الشباب بزواج يتم عن طريق الخاطبة او الام او احدى القريبات ٠

لسنا من البلادة بحيث نقول، ان اولى خطوات الاختلاط سوف تمر بسلام ، بل اننا نؤمن انه لا بد ان يذهب ضحية الفترة الاولى من فترات الاختلاط ضحايا كثيرة من ذكور واناث ،ولكن التضحية هنا امر ضرورى جدا لا بد من تقديمها ، اذا اردنا ان نصلح المستقبـــل ، وان نعمل للمستقبل ، وان نقيم حياتنا القادمة على اسس من الواقعية ٠٠ فما ضرنا لو ذهبت بعض الضحايا نتيجة طفرة من طفرات الحياة فـى سبيل اسعاد مجتمع كامل ؟ ٠٠ وايهما افضل ان نضحى بعدد قليل، او ان يذهب مجتمع باسره ؟٠٠

اننا اليوم ، وحين نتشبث باقوال سخيفة ومعتقـدات باليـــة وتقاليد نخرة ، انما نحن نقدم اجيالا واجيالا على مذبـح الانانيـــة والكبرياء و النفاق ٠٠ فلماذا لا نكون صرحاء مع انفسنا ، ومع الواقع ومع الاجيال القادمة ، ولماذا لا نعترف بالواقع الذى نعيشه ، ولماذا لا نسلم بان ما كان صالحا لايام زمان ، لم يعد صالحا فى ايامنا هذه

ان الزمن الذى كان يقدم فيه الشاب على الزواج من فتاة لـــم يعرفها ولم يرها ولم يسمع بها الا مجرد سماع ، قد مضى الى غيـــر رجعة ونرجو الا يعود ، واصبح اليوم اى شاب مهما كان مستـــوى تفكيره لا يقدم على الزواج الا اذا كان على اساس من الواقعيـــة ، ولا يفكر فى الزواج من فتاة حتى مجرد التفكير الا اذا كان قد رآها وقد اعجب بها وناقشها واطلع على ارائها ومستوى عقليتها وتفكيرها ٠

فلماذا لا نعترف بهذا المنطق الواقعى ، ولماذا لا نسلم به صراحة رغم اننا نؤمن به فى داخلية انفسنا ؟ ٠٠

ان اختيار الزوجة او الزوج اصبح من اصعب الامور واكثرها تعقيدا ، ولم يعد كما كان سهلا ميسورا ٠٠ أليس من الغريب ان الواحد منا اذا اراد ان يبتاع قماشا لبدلته ، يحاول ان يختاره بنفسه والا ينخدع لكلام الناس مهما كانت ثقته بهم ، ولا يختاره الا بعد أن يحكم فكره وعقله وقلبه وضميره وذوقه ، ثم نجد هذا الفتى نفسه اذا اراد ان يتزوج لا يجد هذا المجال مفسوحا امامه ليختار رفيقة حياته ، وممنوع عليه ان يبدى رغبته فى التعرف بها والاطلاع عليها؟٠

ان الاعتماد على ذوق واختيار الامهات او الاخوات كان فيما مضى من السنين امرا مستساغا ، لان الشاب كان يتزوج اذ ذاك ، لان امه فى حاجة الى من تعينها فى القيام بمهام المنزل ، ومن تعاونها فى شئون الاسرة واما اليوم فانه يتزوج وهو يريد من الزوجة ان تكون له شريكة وصديقة وزميلة ، ولانه يريد منها ان تمثل معه تلك الادوار التى يشاهد بطلات الشاشة يمثلنها مع ازواجهن وعشاقهن ، ويريد منها ان تمثل معه نفس الدور الذى تمثله زوجة صديقه الاجنبى او المصرى او السورى فى الحياة ، يريد منها ان تقرأ له الجريدة وتناقش معه القصة والمقال ، وتنتقد معه الافلام ٠٠ انه يريدها شريكة وزميلة بالمعنى الصحيح للشريك والزميل لا مجرد تابع له يتبعه اوتوماتيكيا فى كل آرائه ومعتقداته دون نقاش ومن غير ابداء رأى ٠٠٠ وكل محاولة للحيلولة دونه ودون معرفة كل هذه الامور فى الفتاة التى سيتخذها زوجة ، تعد عقبة تمنعه من الزواج ٠

هذا من ناحية الحرية الفردية التى يجب ان نمنحها لكل من الفتى والفتاة عند اختيار الازواج ، واذا تركنا هذه الناحية ، والتفتنا الى هذا الشاب الذى منحناه (على سبيل المجاز) هذه الحرية ، فانا نحذره فى الوقت نفسه بالايغتر بالمظاهر الكاذبة والا يندفع وراء العواطف الجياشة ، لانه سوف لن يختار رفيقة رحلة لسنة او سنتين او عشر سنوات ، ولكنه سيختار فتاة المفروض انها سترافقه رحلة العمر وطيلة الحياة ٠

فعلينا الا نختار الجمال والفتنة ، او المظهر والمكانة ، بقدر ما نختار العقل والادراك والنضج والتفكير، وبقدر ما نختار دما سيمتزج بدمائنا ويسرى فى عروق ابنائنا ٠٠ فليحذر اذن كل شاب من ان توصف سلالته بانها سلالة رجل سكير عربيد او امرأة فاجرة فاسقة، ومثلنا العامى يقول (اختار لولدك خال) فان الانسان عندما يتزوج وينجب، فان ابنه قد يكون اشبه بخاله او عمه منه هو نفسه ٠٠

فالعقل وحده هوما يجب ان يسيطر علينا عندما نفكر فى الزواج والعقل وحده هوما يجب ان نوجه اليه هذه الاسئلة: (كيف نكون ونحاول اختيار ازواجنا ٠٠

معا انا وهذه الفتاة بعد خمس سنوات ، بعد عشر سنوات ، وكيف يكون اولادنا معنا ؟٠٠ كيف نتحدث ، كيف نتفاهم ، كيف يعاشر احدنا الاخر ؟ ٠٠ (١)

ان اختيار الازواج ، كاختيار العمل ، نصف المعركة ، فاذا لم نحسن الاختيار ، واذا اندفعنا وراء العاطفة الجامحة، واذا لم نعط العقل المرتبة الاولى ، لا جدال نعرض زواجنا الى الوان من الشقاء والتعاسة ، التى من شأنها ان تقلب هناءنا العائلى الى جحيم كان فى امكاننا تجنبه والابتعاد عنه لو لم نندفع وراء عواطفنا العطشى وغرائزنا الظامئة اندفاعا اعمى ٠٠

فباختيارنا الزوج الصالح الملائم المتفق معنا فى كثير من اوجه الحياة المختلفة ، نتجنب الكثير ، والكثير جدا من المتاعب التى قد تعترض حياتنا الزوجية وتلقى حجرا فى بحر سعادتنا العائلية المؤملة التى كنا نحلم بها ٠٠

ومن اهم الامور التى يجب ان نهتم بها عند الاختيار ٠٠ اختيار الازواج ، ان يكون اختيارنا حرا طليقا من كل قيد مهما صغر ٠٠ وحرا طليقا من كل سلطة مهما قربت ٠٠ وحرا طليقا من اعتبارات المال والجاه والسلطان ٠٠٠ وحرا طليقا من تأثير الاباء وذوى القربى ٠٠

---

(١) سلامة موسى

فالمال والثروة والجاه ، التى ينشدها بعض من المقدمين على الزواج فى ازواجهم ، كثيرا ما تكون سببا فى التعاسة العائلية ومنبعا للشقاء الزوجى ٠٠ فاى زواج يقام على اعتبارات المال والجاه ، يجعل من احد الزوجين سيدا امام الزوج الاخر ، وبذلك ينتفى التكافؤ المفروض بينهما ، وينتفى تبعا لذلك التناغم والانسجام المقامان على التقدير والاحترام المتبادلين ٠

بعد هذا الشرح للحرية التى نطالب بها لشبابنا من الجنسين فى مسألة الاختيار ، ننتقل الى القسم الثالث من هذا البحث :

كيف نتزوج ؟٠٠

سؤال ثالث يجب ان نوجهه الى عقولنا وافهامنا ، قبل ان نفكر فى الزواج ، بل قبل ان يستقر رأينا على ممن نتزوج ٠٠ سؤال يرتكز عليه الكثير من استقرارنا الزوجى فى حياتنا المقبلة التى نؤملها من زواجنا ، فعلينا ان نفكر فى الاجابة عليه اجابة صريحة بعقولنا وافكارنا ، حتى لا نقع فى (لخبطة) الارتجال الممقوت ٠

والتفكير فى هذا السؤال مرحلة ثالثة ، لا مفر لكل شاب ، من مواجهتها ، واجتيازها بنجاح تام ، قبل ان يحقق فكرة زواجه ، ممن استقر رأيه على الزواج منها ٠٠

وبتعبير اخر ، اذا عرفنا لماذا نتزوج ، وممن نتزوج ، بقى علينا ان نعرف كيف نتزوج ، فهذه مرحلة من مراحل التكوين الزوجى لا تقل اهمية ، عن المرحلتين السابقتين ، فى مستقبل حياتنا الزوجية ٠

وهذا السؤال ، كما تراه ، ينحصر فى الناحية المادية والمالية البحتة ، ونحن ما كنا لنهتم به ، الا لاننا نلاحظ ان من الشباب ،خاصة ابناء الذوات ، (يزوجون) ولا (يتزوجون) وفرق بين الزواج والتزويج ٠٠ اى ان آباءهم أو اولياء امورهم ، هم الذين يقومون بدفع نفقات

زواجهم ، وهذا لعمرى ان ساق الى شيء فانما يسوق الى احدى اثنتين من العواقب الوخيمة التى نسعى جهدنا لتجنيب الزواج منها ، وهما :

١ ــ اما ان يجبر الفتى للاقتران بفتاة لا يميل اليها ولا يرغب فيها ، وانما يجبر على الاقتران بها جبرا او شبه جبر لا لشيء الا لان والده مثلا تكفل بدفع نفقات زواجه ، ان هو تزوج هذه التى اختارها له ٠٠ وما اكثر الامثلة على ذلك ٠٠

١ ــ واما ان يجبر على فراق من لا يرغب فى فراقها ، لا لذنب جنته هى او جناه هو ، وانما لانها لم توافق مزاج احد الوالدين او كليهما الامر الذى يدفعهما للتأثير المباشر على ابنهما والالحاح عليه بل جبره على طلاقها ٠٠ وما اكثر القصص الواقعية التى وقفت عليها بنفسى تمثل على مسرح الحياة والواقع ٠٠

ان الاعتماد على الوالدين كليهما او احدهما فى دفع نفقات الزواج سبيل الى القضاء على الحياة الزجية لاقل الاسباب واتفهها ، سواء كان ذلك عند اختيار الزوجة ، او فى التأثير على الزوج لطلاقها ٠٠

واذن فعلى اى شاب مقبل على الزواج ، وبعد ان يمر بمرحلتى (الدافع الى الزواج ، واختيار الزوجة) وبعد ان يختار فتاته بمفرده وبمحض ارادته من بين مجموعة الفتيات اللائى تعرف عليهن ، نتيجة التفكير المركز والعقل النير والارادة الحرة ، بقى عليه ان يدخل المرحلة الثالثة فيوجه الى نفسه هذا السؤال : (كيف اتزوج) من هذه الفتاة التى اخترتها وفضلتها ، وعقدت العزم على الاقتران بها واوقفت كل سعادة فى حياتى المقبلة على الحياة معها مدى العمر ؟ ٠٠

كيف اتزوج من هذه الفتاة دون ان اعتمد فى دفع نفقات زواجى على احد ، ومن غير ان يكون لاى كائن من كان دخل فى امر من امورى الخاصة ؟٠٠٠

فاذا كان جوابه بعد ذلك ، سأتزوج معتمدا على نفسى ، ومن غير

ان انتظر معونة مادية من احد ، ولو كان والدى او اقرب الناس الى وسأكون اسرتى بالطريقة التى اختارها انا ٠٠ اذا اجاب بهذه الاجابة او بما يشابهها ، فاننا ننصح لمثل هذا الشاب بالاقدام على الزواج وهو مطمئن لنجاح تجربته هذه التى لا تعيد نفسها مرة اخرى نجاحا يكاد يكون مضمونا مائة فى المائة ، اذا روعيت فيه بقية الاعتبارات ٠

اما اذا تحاشى توجيه هذا السؤال ، او وجهه الى نفسه واجاب عليه بقوله : لم التفكير فى مثل هذه الاشياء ولم نحاول تعقيد المسألة **الى هذا الحد ٠٠ ان ابى هو الذى سيتكفل بنفقات زواجى) فان** نصيحتنا الى مثل هذا الشاب او الطفل فى حقيقته ، الطفل الاتكالى الانهزامى ، ان يبتعد عن التغرير ببنات الناس ومحاولة ربط عجلة حياة فتاة بريئة بعجلة حياته الاتكالية المتميعة ٠٠

ان اى زواج يقوم على الاتكالية والهروب من مواجهة الواقع ، انما هو زواج فاشل من اول يوم ٠٠ ولسنا نسخر من احد سخريتنا من شاب تسأله (متى تتزوج ؟) فيجيبك وكله عدم اهتمام (لم افكر فى ذلك حتى الان ٠٠٠ ان هذا من اختصاص امى) ٠٠ فامه هى التى ستختار وابوه هو الذى سيدفع ، وما عليه هو الا ان (يحسن رأسه ويدخل) يتزوج متى زوجوه ويطلق متى طلقوا منه ٠

اية حياة زوجية بربك يمكن ان يحياها زوج مع زوجته يشعر بان لاى مخلوق فضلا عليه فى زواجه ؟؟ خاصة اذا كان هذا الفضل فى شكل دفع نفقات الزواج ٠٠

واى نعيم يمكن ان يحس به وهو يعلم ان هناك من كان سببا فى تكوينه لهذه الاسرة ؟ ٠٠ مهما كانت صلته او قرابته به ٠٠

ان ايا من هؤلاء الاتكاليين ليحس بالضعة والمهانة كلما فكر فيمن كان له الفضل فى زواجه ٠٠

ما ضرنا لو اننا اخرنا زواجنا سنة او سنتين حتى نكون قد هيأنا انفسنا تهيئا ماليا كافيا يجنبنا الوقوع فى مثل هذه المآزق الحرجة ؟ ٠٠

لم لا نفكر فى الاقلاع عن هذه العادة المتبعة فى كثير من الزيجات خاصة بين ابناء الاغنياء ، وهى عادة لا نشك فى ان مضارها اكثر بكثير من فوائدها ، ان صح ان لها فوائد على الاطلاق ؟ ٠

لو قدر لنا ان نطلع عما وراء الجدران ، وما تخفيه الصدور من عوامل الندم والحسرة ، لظهرت لنا مشاكل عدة ما كانت لتكون لولا الاعتماد عمن ينفق علينا فى حالة زواجنا بعامل الرأفة او بعامل التدليل ٠ ٠

هذا بالنسبة للذكور ، فعلينا ان نتناول حالات زواج الاناث ، اذ ان ما ينطبق على ذكورنا لا ينطبق على اناثنا نتيجة للانفصالية التى تفصل بين اوضاع الذكور والاناث وتباعد بين نوع حياة كل منهما ٠

ان بعض الاباء الذين لا يجدون طريقا للسيطرة على ابنائهم يتجهون بهذه السيطرة الى بناتهم ، وان كل الاباء انما يزوجون بناتهم دون مشورتهن ومن غير اخذ رأيهن ، اعتمادا منهم على القاعدة السخيفة (ليس للبنت راى فى زواجها ما دام والدها موجودا) ٠٠

ونحن لا نشك ابدا فى انهم حين يتعمدون ارغام بناتهم على الزواج ممن لا يرغبن فيهم ، انما هم يخالفون بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم **(لا تنكحوهن الا باذنهن)** وقوله لجارية حبشية اشترتها (عائشة) ام المؤمنين من عتبة ابن ابى لهب بعد ان زوجها ـ عتبة ـ من عبد كانت لا ترضاه لو كان لها امرها ٠٠ اشترتها عائشة واعتقتها ،فقال لها صلوات الله عليك **(ملكت نفسك فاختارى)** وكان زوجها يمشى خلفها ويبكى وهى تأباه ، فقال لها النبى **(اتقى الله فانه زوجك وابو ولدك)** فقالت **(اتأمرنى؟)** قال **(لا ٠٠ انما انا شافع فقالت (اذن فلا حاجة لى اليه)** ٠

بهذا المنطق من الواقعية كان النبى عليه الصلاة والسلام يجادل امرأة فى زوجها ، فهل اباء بناتنا يجيزون شيئا من هذا مع بناتهم ؟٠ ام انهم يزوجوهن دون رضاهن ومن غير حتى علمهن ، ودون ان يسمعن بانهن قد خطبن الا يوم (البيان) ٠٠

بل ابعد من هذا فان النبى عليه الصلاة والسلام ، قد جعل زواج البنت فى يدها ولم يبح ذلك الحق لاحد من اقاربها ولو كان والدها ، اسمعه وهو يقرر هذا المبدأ حين قال للخنساء بنت خزام الانصارية عندما جاءته تقول: **(ان ابى زوجنى من ابن اخيه وانا لذلك كارهة)** فقال لها: **(اجيزى ما صنع ابوك)** قالت: **(مالى رغبة فيما صنع ابى)** وهنا وقف يعلن مبدأ حرية زواج البنت حين قال لها : **(اذهبى فلا نكاح له .. انكحى من شئت)**.. ووقفت الخنساء الانصارية تعلن للاجيال القادمة حرية المرأة المسلمة فى اختيار زوجها ، اذ قالت : **(اجزت ما صنع ابى.. ولكنى اردت ان يعلم الناس انليس للاباء من امور بناتهم شىء)** ..

ويقول صاحب المبسوط صفحة (٩٩) الجزء (الخامس) : **(لم ينكر عليه الصلاة والسلام مقالها)** ..

يا له من مبدأ عظيم قرره النبى العربى ورسمه للعرب يعلن فيه حرية اختيار الازواج لا للابناء فحسب ، بل وللبنات ايضا ..

واذا كان هذا هو مبدأه صلى الله عليه وسلم ، فى حرية اختيار المرأة زوجها ، زمن كانت المرأة لا تعرف من امور دنياها اكثر مما تعرف عن الابل التى ترعاها وتعاشرها ، ولاتفهم من امر الزواج والحياة الزوجية اكثر مما يعرف الرجل ساكن الخيمة المتتبع للمرعى المترقب للغزوات والحروب حتى يتمكن من الحصول على اكثر من امرأة واحدة .. اذا كان هذا هو قول النبى فى ذلك الزمن ، فهل يجوز لنا اليوم ان يجبر الاباء بناتهم على الزواج ممن لا يرغبن ولا يملن اليه ، فى زمن تعلمت فيه البنت الكثير من العلوم واطلعت على الكثير من الشئون ..

ان مثل هذا الاجبار لا شك يسوقنا ، شئنا ام لم نشأ ، الى مواجهة ازمات وحالات من الطلاق او عدم الاستقرار لا يعلم نتائجها الا الله وليس ما يجنبنا الوقوع فى مثل هذه الويلات الاجتماعية الا ان نترك للبنت حرية اختيار زوجها بمحض ارادتها وبكامل حريتها ، شأنها فى ذلك شأن الرجل سواء بسواء ما دامت تتمتع مثله بالعقل والارادة وملكة التفكير .

ونحن هنا حين ننادى بمبدأ الاختيار بالنسبة للفتاة تماما كما ننادى به بالنسبة للفتى، فاننا لا نعنى ابدا بقولنا هذا ان نترك للبنت الحبل على الغارب ، فنعطيها الحرية المطلقة فى اختيار زوجها ورفيقها، حيث اننا بقول كهذا نكون اشبه بمن لا يعرف واقع مجتمعه ولا يقدر العقبات التى تحول دون تحقيق هذا المبدأ رغم سلامتـــه من جهة ، وحيث انه يظهرنا بمظهر الاباحيين فى ميدان التربية من جهة اخرى ، ولانه من جهة ثالثة يستحيل تنفيذ هذا المبدأ بصورة عملية فى الزمن الحاضر الذى لم ينتشر فيه الاختلاط بين الجنسين الذى ننادى بـــه كحل حاسم لجميع مشاكلنا الاجتماعية ، ولم تنضج فيه العقول ولـــم يرتفع مستوى التفكير .. وانما كل ما ندعو اليه فى هذه الظروف الراهنة بالذات ، هو أن نساعد بناتنا على اختيار ازواجهن بما نقـــدم لهن من نصح وارشاد وتوجيه وان نأخذ رأيهن ونستشيرهن قبل ان نقرر ربط مصائرهن وقبل ان نتخذ قرارا فى أمر من امورهن الخاصة فبذلك نتفادى الكثير من النكبات الزوجية التى لم يكن مبعثها الا هذا الاستبداد الابوى والدكتاتوريـــة المسلطـــــة على البنات من أولياء أمورهن ..

ويلوح لنا ان سبب تشبث الاباء بمبدأ (التزويـــــج) راجع الى حرصهم على سعادة بناتهم الزوجية ، اذ يعتقدون ان تفكير البنت لـــم يصل بعد درجة من النضج والوعى بحيث يؤهلها لاختيار الـــزوج المناسب ، ولكننا نعتقد ان هذا الرأى بعيد كل البعد عن الصـــواب ، ذلك لان السعادة والاستقرار واستمرار الحياة الزوجية لم يعد متوقفا على تفضيل ابن (فلان) على ابن (علان) بقدر ما هو متوقف على توفر شروط سبق لنا ان شرحناها فى الصفحات السابقـــة ، ولان بلوغ البنت درجة من النضج العقلى تؤهلها للتمييز والاختيار المركز ، شىء يمكن ان نوجده ونخلقه فى مجموعة البنات او لا بالتعليم والتربيـــة ، وثانيا برفع سن الزواج ، الى ما بعد العشرين ...

هذه اسس ثلاثة قدمناها فى شىء من الاطالة والافاضة لاعتقادنا انها طريقنا الصحيح الى ايجاد وخلق الزواج (السعيد) الـــذى نهدف اليه وراء هذه الدراسة فى هذا الفصل، ولنا الان أن نلقى نظرة شاملة عامة على هذه الاسس بعد أن قدمناها متفرقة ، ذلك لان كل ما تعرضنا اليه سابقا وما أوليناه العناية والاهتمام انما كان يهدف الى ايجاد شىء واحد وهو (الزواج السعيد) بالمعنى الواسع العريـــــض للسعادة

الزوجية ، لاعتقادنا ان الزواج السعيد الموفق ، انمـــا هو الطريق الوحيد لايجاد المجتمع الافضل الذى نحاول جهدنا أن نخلقه ليس لنا نحن فحسب ، ولكن للاجيال القادمة أيضا ، واذن فلنتناول بشيء من السرعة وألاجمال ألاسس التى يمكننا أن نقيـم عليها صرح السعادة الزوجية بعد أن قدمنا طرفا من ذلك فيما تقدم من بحث ٠٠ وهـذا الزواج السعيد الذى نتحدث عنه او نحن بسبيل التحدث عنه ، يكاد يكون وجوده بين سائر الازواج أمرا مستحيلا لا فى مجتمعنا الناشيء فحسب بل وكذلك فى الكثـــير من المجتمعات الانسانية المتقدمـــة الاخرى ٠٠٠

وهنا قد يحلو لمعترض ان يقول : ما دام الزواج السعيد غـــير ممكن التحقيق تقريبا ، فلم نتعب انفسنا فى البحث وراءه ؟

ولكن اذا لم نتمكن من جعل كل زيجاتنا سعيدة كل السعادة، فلا اقل من ان نجعلها ببحثنا هذا قريبة الى السعادة التى نرجوها٠٠

وقد يحلو لآخر ان يقول : اننا لم نر ما يثبت لنا عدم وجـود السعادة فى كثير وكثير جدا من الزيجات ، بل ان هناك ازواجا كثيرين يعيشون فى سعادة زوجية تامة وفى استقرار زوجى يكاد يكون كليا، وان هناك زيجات نراها ناجحة فى المحافظـــة على كيانها ٠٠٠ فلم التشاؤم ؟٠٠

ويخطىء من يظن ويعتبر ان الاستقرار الزوجى معناه السعـادة المنشودة المطلوبة بين كل زوجين ، ويخطىء أيضا من يعتقد ان الطلاق والفراق وحده دليل عدم الانسجام الزوجى ، فكما قلنا فى فصـــل سابق ، ان عدم الطلاق لا يدل ابدا على سعادة زوجية موجودة وقائمة فعلا بين غير المطلقين ، فالسعادة الزوجيةالتى هىوحدها مقياس نجاح كل زيجة ، لا يدل على وجودها وجود ذلك الشيء الذى يسمونه (وثيقة عقد الزواج) أو عدم خروج كلمة (انت طالـــق) من فم الزوج ، وهى بالتالى لا تتوقف ابدا على استمرار الحياة الزوجية بين الزوجين ٠٠ فبين من يعيشون تحت سقف واحد وفى بيت واحد ، من هم فىحقيقة واقعهم اتعس واشقى من المطلقين ، ولولا اعتبارات مر ذكرها لرأينـا نتيجة لذلك تشرد عدد من الابناء الذين لا ذنب لهم ، الا ان السعادة الزوجية لم تعرف طريقها الى من انجبوهم ٠٠

ومن هنا صار لزاما علينا ان نبحث عن اسباب السعادةالزوجية التى من شانها ان تيسر للازواج الحياة فى جو زوجى ممتع فيه شىء من الهدوء وفيه شىء من الاستقرار ...

وهنا يقفز الى اذهاننا سؤال يقول فى الحـــاح : (ما مجلبات السعادة الزوجية التى نبحث عنها ؟) .

وجوابنا على ذلك ان نعود الى الصفحات السابقة حيث نجـد الجواب الكافى مفصلا ، ونضيف هنا فنقول :

من اسس السعادة الزوجية ، الحب .. الحب المتبادل بـين الزوجين .. الحب النابع من لعقل والتفكير السليمين والذى مصدره الثقافة والعلم والاطلاع والمعرفة .. الحب المتشعـــع من الضمير الضمير الانسانى الحى ..

والحب ، هذا الحب الذى ينشأ بين الخطيبين اولا وبين الزوجين ثانيـــا ، شىء ضرورى لايجـاد السعادة الزوجيـــة وخلق الزواج السعيد ، وهذا الحب الذى ننادى به ونعده من الاسباب الرئيسية لحدوث السعادةالزوجية بين كل زوجين ، لا يحدث عفوا ولا يكون نتيجة الصدفة ، وانما لا بد لحدوثه ولترعرعه فى الضوء ، من ان يسبقه تعارف وأن يكون نتيجة دراسة وبحث وأستقصاء ومعرفة للميول والآراء والافكار والمعتقدات الاجتماعية والتقليدية ، وهـــو لا يحدث بهذا الشكل وعلى هذه الاسس الا اذا كان هناك اختلاط بين الجنسين شريطةان يكون اختلاطا مهذبا هادفا وهذا ما دعانا الى المناداة بالاختلاط حتى نتمكن من خلق الزواج السعيد ، فيوم ان يتحقق هذا الاختلاط يوم يتحرر الفتى والفتاة من ربقـــة العادات والتقاليد والخرافات وسلطة الوالدين ، يومها فقط يمكننا ان ننـادى بوجوب اقامة صرح الزواج على دعائم من الحب العف النزيه ... حب هادف يسبق الزيجة ويدفع اليها ويكون سببا فى حدوثها وما دمنا لم نصل الى هذه النقطة من التحرر ، فالواجب يحتم علينا ان نعمل ليل نهار على الوصول اليها ، ولا نترك انفسنا ومصائرنا بين يدى الزمـــن والتطور الزمنى ، كما ينادى بعض الاتكاليـــين ، وليس ذلك لاننا ننكر سنة التطور ومقدرة الزمن على تغيير الاوضاع المجتمعية ، ولكن لان التطور الزمنى الرتيب ، يحتاج الى كثير من الوقت ، والجهد والكفاح

الشيء الذى لم نكن مستعدين للتضحية به ،ونحن نجتاز مرحلة خطيرة من مراحل نمونا الاجتماعى وتطورنا الحياتى ، فلا بد لنـــا اذن من **الطفرة والسرعة والثورة** ، مهما كان مقدار التضحيات ، ومهما كان عدد الضحايا ، اذ لا يجب ان نهتم بعدد الضحايا ومقدار التضحيات ، بقدر ما تهمنا النتيجة التى سنصلها من وراء تضحياتنا ..

ورأينا هذا هو ما جعلنا ندعو الى الاختلاط بالاضافة الى ايماننا بان الاختلاط وحده هو ما يجعل فى مقدور الفرد ان يختار زوجـــه اختيارا صحيحا مقاما على الاختبار الشخصى لا معتمدا على الاقـوال المنقولـــة ..

ونحن حين ندعو الى الاختلاط لم نكن من الغفلة بحيث ننكر او نحاول انكار الاخلاق السيئة المنتشرة بين بعض من الشباب ، ولـــذا فنحن عندما ندعو الى الاختلاط انما ندعو اليه ونحن فى نفس الوقت نحث على ايجاد واتباع اسس قويمة فى التربية والتنشئة ، تساعدنا على تغيير ما خلفته الرواسب فى عقولنا واذهاننا ، اذ جعلتنا لا ننظر الى المراة لا من خلال الشهوة المجردة والغريزة العمياء ، فكان ذلـك سببا فى جهلنا الكلى لمعنى الحب، وفى الا نرى فى الاختلاط والدعوة اليه ، الا دعوة الى الاباحية تحت ستار المدينة ..

وهذا ما يجعلنا نحذر كل الحذر عندما ندعـــو الى الحب بين الخطيبين من الوقوع فى مهاوى الشهوة المجردة من كل معنى انسانى آخر .. فرغم ايماننا بان الحب هو الطريق الصحيـــح الى الـزواج السعيد ، أو على الاقل هو احد دعائم الزواج السعيد ، الا اننا نشك فى نزاهة حب يقوم على الجهل التام لمعنى الاختلاط الذى ندعو اليه، ومن هنا علينا ان نهىء العقول والنفوس الى هذا الاختـــلاط بالصقل والتهذيب ...

ونعتقد ان من وسائل هذا الصقل والتهذيب التعليم المختلط، منذ مرحلة (الرياض) الى نهاية التعليم الاعدادى . فان ذلك لا جدال يساعدنا كثيرا فى التخفيف من حدة الغريزة فى كلا الجنسين ويغير من نظرة كل منهما الى الاخر .

ومن هنا نستطيع ان نقول ان دعوتنا الى الاختلاط انمـــا تنصب أساسا على أفراد الجيل القادم ، ونكتفى بالنسبة للجيل الحاضر بنشر

السفور وبتهيئة العقول لتقبل الاختلاط بمعناه الواسع ..

اذن لقد كان كل بحثنا ينصب على افساح مجالات الحب امام الخطيبين من الجيل القادم، وكل ما نستطيع أن نعمله بالنسبة للجيل الحاضر انما هو الدعوة الى وجوب حدوث حب بين الزوجية ولو بعد زواجهما ، ولا نشك أبدا فى ان مثل هذا الحب شيء ممكن الحدوث لو توفرت له الاسباب التى ذكرناها آنفا كعدم تدخل الوالدين فى الاختيار ، وعدم الاعتماد عليهما فى النفقات، وانتشار السفور ولو للتعارف .. الخ .

ثم أن هناك عوامل اخرى يمكن ان تساعد على خلق الحب بين الزوجين ،بالاضافة الى العوامل السابقة كالتقارب الاجتماعى والثقافى والعقلى والمالى ..

فاذا كان الحب من اسباب السعادة الزوجية فان الحب وحده لم يكن الاساس الوحيد فى هذه الناحية ، بل ان هناك اشياء كثيرة يجب توفرها فى كل زيجة حتى تنتج السعادة المرجوة ، وحتى يحدث ذلك الاستقرار والانسجام بين كل زوجين .. ومن هذه الاسس الكفيلة بمساعداتنا على ايجاد الزواج السعيد :

١ ـ ان تكون الحياة الزوجية حياة ديمقراطية اشتراكية ،ان صح التعبير ، بكل ما تحمل كلمة الاشتراكية من معنى انسانى تنعدم معه ارتقراطية الرجل ودكتاتوريته وانفراده بالرأى والسلطة ، ويعترف فيها بمكانة المراة ووجودها فى هيكل الاسرة على اساس انه وجود ضرورى ، لا مجرد كونها انثى يجب عليها الا تسير لا فى الطريق الذى يرسمه لها زوجها ولو كان طريقا معوجا ، ولا تتصرف الا بما يلائمه هو دون النظر الى ما يلائمها هى ..

فلا يصح ان يستبد الزوج او احد الزوجين برايه ولا ان يتمسك بما يعتقده صوابا دون ان يقبل مناقشة فيه من الطرف الآخر ..

فالانسان ، اى انسان كائنا من كان ، ومهما بلغت منزلته من العلم ومهما حصل من المعرفة ومهما سمت خصاله وطباعه ،لايمكنه ابدا الاعتماد على آرائه فيما يتعلق بحياة يشاركه فيها طرف آخر ..

فاذا كان التعاون بين افراد المجتمع الواحد والامة الواحدة امرا ضروريا لسعادة الجميع ، افلا يكون ذلك واجبا فى حياة الازواج الذين لا يتقدم المجتمع ولا تزدهر الامة الا بما يقدمون لها من اعمال نتيجة تشاورهم وتعاونهم وعملهم المشترك ؟ ..

وكذلك ان الانسان مهما اوتى من سعة الاطلاع فهو قاصر عن معرفة ما يعتمل فى نفس شخص ما ، وما يخالج تفكيره وعقله اذا لم يطارحه الحديث ويشاركه الاحساس باللذة والالم ويقاسمه الشعور بالفرح والحزن ..

واذن فالاشتراكية والدمقراطية بين الازواج من مجلبات السعادة الزوجية بدون منازع ، فعلينا ان نعمل على غرس بذورهما فى نفوس الرجال والنساء حتى نضمن لهم سعادة زوجية صحيحة ..

والاشتراكية التى ننادى بها بين الازواج لا تقتصر على الناحية العاطفية الانسانية فحسب ، بل انها تشمل الناحية المادية من الحياة الزوجية ايضا ، فعلى الازواج ان يعملوا على ان تشاركهم زوجاتهم فى النواحى المادية الصرفة المتعلقة بالمعيشة وبشئون الحياة الزوجية من كل نواحيها ، فعمل كهذا كفيل بان يشعر الزوجة بانها جزء مهم فى حياة زوجها وفى حياة اسرتها ، ومن ثم يشعرها بالمسئولية الملقاة على عاتقها كانسانة لها دور فى الحياة العامة الاجتماعية وفى حياة زوجها وحياة ابنائها فتتمكن من السيطرة على تسيير هذه الحياة نحو الكمال ..

والاشتراكية الزوجية التى ننادى بها ، لا تعنى رفع الحدود بين اختصاصات كل من الزوج والزوجة ، لان ذلك كفيل بان يخلق نوعا من الفوضى فى نظام هذه الحياة ، بل لابد ان يكون هناك شىء من الاختصاص ، وناحية من الحياة يشرف عليها احد الزوجين دون تدخل الزوج الاخر ، فالمرأة لا يجوز لها التدخل فى مهام الزوج والزوج كذلك لا يصح له التدخل فى شئون المراة ، فواجبه ان يترك لها القيام بشئون المنزل والسيطرة عليه وتسيير اموره كما تملى عليها عقليتها من مسئوليات ويجعلها هى المسئولة الاولى فى نجاح هذه الحياة وعن طريق النصح والارشاد والتوجيه ليس غير وبذلك يشعرها بكبر ما عليها من مسئوليات ويجعلها هى المسئولة الاولى فى نجاح هذه

الشركة وفى فشلها ، تماما كمسئوليته الخارجية فيما يتعلق بهذه الشركة ..

٢ ـ ومن مجلبات السعادة الزوجية ايضا ، ان نلم الماما كليا بالطرق التربوية الحديثة ، فلا نرتكب من الحماقة ما يجعل الزوج منا يدخل الى منزله وعلى زوجه واولاده ، فيدخل معه الخوف والانكماش ، وتنتشر بوجوده الكابة والحزن فى جو البيت بدلا من ان تنتشر الطمأنينة ويعم السرور النفوس والارواح .

ان الوجوم والخوف والرهبة التى تخيم كلها على جو المنزل بمجرد دخول الرجل اليه ، من اكبر اسس الشقاء الزوجى والعائلى وان الكآبة التى تنتشر فى البيت عند قدوم الزوج من اعظم اسباب فشل الحياة الزوجية .. فصمت الزوجة الذى لا منشأ له الا عدم محادثة زوجها لها وعدم استماعه الى حكاياتها واخبارها مهما كانت تافهة .. وهروب الابناء وانزواؤهم فى اركان البيت الذى لم يكن سببه الا خوفهم ورعبهم من الوالد ، الذى لا يلاعبهم ولا يلاطفهم ولا يحادثهم .. وتلعثم الخدم وشرودهم الذى لم يكن مصدره الا ترقب السب والشتم والتجريح .. كل ذلك من اهم اسباب الشقاء الزوجى والعائلى والبيتى ، وهى من الامور التى تعجل بنهاية الحياة الزوجية .

لا شك ان بعض الازواج يضطرون لعدم محادثة ازواجهم نظرا لعدم انسجام عقلياتهم ، ولكن ذلك لا يمنعنا من القول بان من واجب الزوج ان يحاول التغلب على مثل هذه الحالات ، سواء كان ذلك بالاختيار الذى اشرنا اليه ، او بمعاونة الزوجة على رفع مستوى تفكيرها

ان الانسجام الزوجى لا يتأتى فى جو خانق مقبض للارواح ، فمن كان يعيش فى مثل هذا الجو وفى مثل هذه الحياة القاحلة المملة لا بد ان يأتى عليه يوم يحس فيه بالسآمة ويتأكد ان كل ما كان يتصوره من سعادة فى الزواج لم يكن الا مجرد خيال وقبض الريح ، وعندئذ يثور ويضطر لترك البيت والبحث عن مكان اخر يقضى فيه اوقات فراغه ، سواء كان هذا الهروب من البيت بالجسم والعقل ، او بالعقل فقط ، لانه فى قرارة نفسه يحس بمدى اغتراره يوم رضى ان

يرتبط بهذا الرباط السخيف ، الذى يجبره مكرها ، على حياة يشعر ان كل ما فيها ومن فيها بعيدون عنه ، فيلعن الحياة الزوجية والزوجة والابناء ...

اذا كان كل ما ذكر يهم الرجل ، اكثر مما يهم المرأة وان اشتركا فى بعض النواحى ، فان ما يجب على الزوجة فى هذه الناحية لا يقل عما يجب على الزوج بحال ، ونحن نكتفى هنا بذكر هذا الحديث الشريف الجامع الذى يقول : **(لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها)** ففى هذا الحديث ما فيه الكفاية لمن ارادت ان تكون مثال الزوجة الصالحة الوفية ، وفيه ما يجلب السعادة الزوجية ، فهو دستور وحده يمكن للزوجة اذا اتبعته ان تجعل من حياتها الزوجية حياة مثالية بلا جدال ..

وقول النبى هذا ، رغم ما فيه من حث على وجوب طاعة الزوجة لزوجها ، فانه لا يعنى مطلقا ان تكون الزوجة خادما طائعا لزوجها ، يوجهها اين يشاء ويسوقها حيث يريد دون ان تكون لها ارادة ولا رأى ولا تفكير ، يحركها بين يديه كالالة الصماء .

فمثل هذا القول او مثل هذا القصد ، لا يمكن ان يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو اول من اوصانا بالنساء ، واول من جعل للمرأة حقا على الرجل كحق الرجل عليها ، ولان هذا مما يحط من قيمة الزوجة وينقص من قدرها ، ويعود بها الى زمن الجاهلية حيث كان شأنها شأن الاغنام والماشية ، ولان الدين الاسلامى انما جاء ليحرر الناس ومن بينهم المرأة ، ولم يجىء ليستعبدهم ، ولان هذا الدين قد ساوى بين الرجل والمراة ، ولان هذا الدين قد حملها من المسئوليات مثل ما حمل الرجل من هذه المسئوليات .

٣ ـ ومن اسباب السعادة الزوجية ، كما اسلفنا فى فصل سابق التربية .. التربية منذ الصغر ..

سألنى صديق متزوج ذات مرة فقال : (انى احب زوجتى واولادى حبا لا حد له ، واتمنى ان اقضى معظم اوقات فراغى فى بيتى بين

زوجتي واولادي ، لولا شيء واحد يحول دوني ودون تحقيق هـذه الرغبة الملحة .. ذلك هو حب زوجتي للعزلة وكرهها للحياة الزوجية المشتركة ، لا لانها تكرهني ولكن لانها تميل الى ان تهتم بشئون البيت اكثر من ان تهتم بي انا ، الشيء الذي يجعلني اتأكد من انها لا تشعر بوجودي على الاطلاق ، حتى كنت اضطر لان اطلب منها ان تتزين لي كلما اردت ان ارى فيها الانسانة والزوجة والانثى معا) .

وذهب الصديق في سرد حكايته الى ان قال : (ولست ادري كيف اجعلها تحس بوجودي الى جوارها ، فلا تهملني كل هذا الاهمال؟

واجبته : ان الذنب في ذلك لم يكن ذنب زوجتك ولا ذنبك انت بقدر ما هو ذنب والديها اللذين نشاها هذه التنشئة الفردية الخاطئة فلو ان والديها اهتما بها منذ الصغر وعلماها معنى الحياة الزوجية ، واوليا مثل هذه الامور التي تتراءى لهما تافهة قليلا من عنايتهما واهتمامهما ، لما كنت انت وامثالك كثيرون تحسون بهذا الفراغ بينكم وبين ازواجكم فعلينا اذن لخلق الزواج السعيد ، ان نتبع الكثير من الاساليب والطرق التي تساعدنا دون غيرها على تحقيق هذه الامنية وان نقيم زيجاتنا على التقدير والاحترام المتبادلين ،فبذلك فقط يمكننا ان نطمئن نفوسنا يوم نقدم على الزواج باننا سوف لن نشقى في زواجنا بل انه سيساعدنا على السمو بأخلاقنا وتهذيب نفوسنا في حياة لا تقوم على الخوف والكبت او الاجبار والاتكالية ..

ومجمل القول من كل ما تقدم من بحث، ان السعادة الزوجية لا يمكن ان تحدث بين اي زوجين بمعناها الصحيح الا اذا عملنا بكل قوانا ومجهوداتنا على اتباع الطرق والاساليب التالية :

١ ــ ان يسود الحب القوي السامي الهادف بين كل زوجين .

٢ ــ ان تكون الحياة الزوجية ، حياة مؤسسة على الرغبة الفردية الشخصية المحضة ، وان تكون حياة اشتراكية ديمقراطية لا استبداد فيها ولا دكتاتورية ولا غطرسة .

٣ ـ ان نحاول بكل قوانا التقريب بين عقولنا وعقول زوجاتنا او ازواجنا ، وان نجعل الضعفاء منهم يصعدون الى مستوى الاقوياء ، لا ان ينزل الاقوياء الى مستوى الضعفاء ٠

فاذا نحن ضمنا هذه الامور ، او على الاقل آمنا بوجوب العمل على توفرها فى كل زيجة ، فاننا نكون قد ضمنا بلا جدال السعادة الزوجية لكل الازواج ٠٠٠

وحتى لا يذهب شباب ونضارة الكثيرين من الفتيان والفتيات على مذبح الانانية والعادات والتقاليد البالية التى تحول دوننا ودون الزواج السعيد المقام على الحب المتبادل الهادف ، علينا ان نعلنها ثورة جامحة لاهبة لا تبقى ولا تذر على انصار الرجعية والخمول ودعاة الاتكالية والهروب فنلقنهم درسا فى اصول معاملة المراة ولنقل لهم ان الزمن الذى نعيش فيه نحن غير الزمن الذى كانوا يعيشون فيه هم ٠٠ وان الظروف التى لم يكن الرجل ينظرفيها الى المرأة، الامن خلال الشهوة والغريزة ، وعلى اساس انه : **(لم يبق لها الا ما اشتد ظلامه من زوايا المنازل . واختصت بالجهل واحجبت بستار من الظلمات واستعملها الرجل متاعا للذة يلهو بها متى اراد ٠٠ لـه الحرية ولها الرق والعبودية ، له العلم ولها الجهل ، له العقل ولها البله ٠٠ لها الظلمة والسجن وله الضياء والفضاء ، له الامر والنهى وعليها الطاعة والصبر ٠٠ له كل شىء فى الوجود ، وهى بعض ذلك الشىء الذى استولى عليه ٠ (×)**

لا يمكننا التحرر والانطلاق الا بعد ان نلقن هؤلاء الناس ان الزمن الذى نعيشه اليوم، ليس هو الزمن الذى وصفه صاحب كتاب (تحرير المرأة) بهذه الاوصاف٠٠٠ وقبل ان نعلمهم ان المرأة جزء لا يتجزأ من كيان الرجل وهى عضو فعال منتج فى الحياة والمجتمع ، ولا تنتج الا اذا شعرت بانها حرة طليقة تحس بان عليها مسئوليات لا تقل عن مسئوليات الرجل الذى تكون معه المجموعة البشرية ٠٠

---

(١) قاسم امين

لا يمكننا التحرر من الخمول والكسل والاتكالية ،التى اجبرنا على الحياة داخل اطارها ،الا اذا اعلناها ثورة على الخوف والجبن ٠

ويوم ان نتحرر من هذه الرواسب العالقة باذهاننا والمعششة فى عقولنا فتتحكم فى كل تصرفاتنا واعمالنا ، يوم نتحرر من كل ذلك ، يومها فقط يمكننا ان نقيم زيجات على مستوى عال من الفهم والادراك والتقدير للمسئوليات التى تترتب على الزواج ، ويومها فقط يمكننا ان نخلق الزواج السعيد بالمعنى الصحيح للزواج السعيد

واخيرا وعلى الرغم من وجود هذه العوائق ، فاننا نستطيع ان نقول محذرين الشباب من الجنسين ، ان فن الزواج فن صعب وان اختيار الازواج ليس من الامور السهلة الميسورة ، فاحذر واحذرى الانخداع للظواهر والانسياق وراء العواطف والميول الارتجالية الطارئة ، واياك والخفة والطيش فى تقرير مصير حياتك الزوجية فانت حين تتزوج وانت حين تتزوجين ،انما انت تربط نفسك برباط مقدس لدى سائر الاديان السماوية والوضعية ، فعليك ان تراعى شروطا كثيرة سبق ان قدمناها لك ، وان تعلم انك حين تتزوج،انما انت تزرع بذور جيل جديد ، فحافظ على ان يكون هذا الجيل جيلا صالحا مفيدا ٠٠

معاول هدم .. يجب ان تبعد

اذا كان ما قدمناه فى الفصل السابق من اسباب ايجاد الزواج السعيد والبيت الزوجى الهادىء ، فلا بد لنا من ان نبحث هنا بعضا من الاسباب الكثيرة التى تسوق الى عدم الاستقرار الزوجى ، ومن اول هذه الاسباب :

الطلاق :

فالطلاق ظاهرة اجتماعية مخيفة مرعبة تهدد كيان الاسرة **والمجتمع بالانهيار والتحطم** .. والتداعى، وهو امر لا يقدم عليه غير الجهلة بحكمة مشروعيته او الذين تسوقهم اليه ظروفهم الشخصية مجبرين غير مخيرين ، ونحن هنا لا نريد ان نبحث فى اسباب الطلاق التى تدفع اليه الظروف ،وانما سنبحث بشىء من الايجاز والاختصار الطلاق الصادر عن جهل بحكمة مشروعيته فى الدين الاسلامى ....

ان الطلاق لا شك لون من الوان عدم الاستقرار الاجتماعى والعائلى والزوجى ،وهو حالة انحلال اجتماعية تبين بصورة واضحة جلية مقدار ما يتمتع به المجتمع من احلال او من تماسك وترابط ، لدرجة اننا نستطيع ان نحكم على اى مجتمع بالتدهور او بالاستقرار من خلال دراستنا لوقوعات الطلاق ولموجة الطلاق التى تجتاحه وتسيطر عليه ، ونتمكن من معرفة الانسجام والتوافق الموجود او المعدوم بين افراد اسره من خلال النظرة لتى نوجهها الى حالات الطلاق وكثرتها وقلتها «**وان كنا لا نؤمن كما اشرنا فى غير هذا الفصل بان عدم الطلاق يدل على الانسجام والتوافق بين كل الازواج**» .

ان الجهل بمفاهيم الحياة ، والجهل بحكمة مشروعية الطلاق هما ما جعل الطلاق ينتشر اكثر ما ينتشر بين الطبقات الدنيا من الشعب

وبين الافراد القليلى الدخل الذين لم يساعدهم دخلهم على الدراسة والتثقف ، فعلى الرغم مما يكلفه الطلاق من نفقة وما يكلفه الزواج الجديد من صرفيات ، فاننا نجد ظاهرة الطلاق بين الطبقات الاجتماعية الدنيا اكثر وقوعا واكثر انتشارا ..

والتسليم بهذا القول ، اى انتشار الطلاق بين الفقراء اكثر من انتشاره بين غيرهم ، يجعل للمشكلة وجهة اجتماعية اخرى حقيقة بالدرس والمناقشة لعلاجها وتلافيها ، تلك هى ظاهرة انتشار وتشتت ابناء هذه الاسر نتيجة الطلاق والفراق ، حيث تتشتت اسرهم وتنفصل عرى الارتباط بين والديهم ، فيضطرون للتشرد ..

ولعلاج هذه الامور ، نرى ان ننظر الى المسألة نظرة جدية وان نحاول العمل فى سبيل القضاء عليها ، اى على الحد من كثرة وقوعات حالات الطلاق ، ولا نظن انفسنا نكون بذلك مخالفين لروح الدين الاسلامى فى وجه من الوجوه ، فما دام الطلاق رخصة شرعية تستعمل عند الحاجة الماسة التى لا يفيد معها اى علاج آخر الا الطلاق، حيث ان الاسلام يأمرنا فى حالة وقوع خلاف بين الزوجين ، بان نحاول الاصلاح بينهما بقدر الامكان ، فيحاول الزوج اولا هجر زوجته فى المضجع اذا خاف منها نشوزا ، ويضربها ضربا غير مبرح ان لم يفد الهجر ، ويبعث بحكم من اهله وحكم من اهلها اذا لم يفد الضرب الخفيف ايضا، وبعد كل هذه المحاولات السلمية اذا استمر الخلاف ، يصبح لامندوحة عن الفراق بطلقة واحدة حتى يبقى باب العودة مفتوحا ..

ما دام الدين الاسلامى بهذا المعنى، وما دام النبى يقول (ان الطلاق ابغض الحلال الى الله) فواجبنا ان نعمل من جانبنا عملا ايجابيا يمكننا ان نعالج به الاوضاع ويمكننا ان نصحح به المفاهيم بين الافراد والجماعات سواء كانت هذه المفاهيم دينية صرفة او اجتماعية حياتية معا ..

وهانحن اولاء نبادر فنضع هذه الخطوط العريضة القابلة للزيادة والنقصان والتهذيب ، والتى يمكنها لو اتبعنا شيئا منها ان

تعيننا على الوصول الى ما نبتغيه من تكوين اسرة سليمة مستقرة ..
.. واول هذه الخطوط :

١ ـ العمل المشترك بين الحكومة والشعب والهيئات للحد من عادة (تعدد الزوجات) فرغم ان هذه ظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها سنتناولها بالبحث فى موضع اخر ، ورغم ان التعدد مباح شرعا عند الضرورة الا اننا نرى انه لا يجوز مطلقا ان نستغل رخصة التعدد فنتخذ منها وسيلة لاشباع رغبات جنسية محضة او لقضاء امر تافه لا فائدة منه ان لم تكن مضاره اكثر بكثير من فوائده « وان كان التعدد فى هذا المجتمع لا يمثل ظاهرة نخشى عواقبها بالمعنى الصحيح» .

٢ ـ العمل على نشر الثقافة الدينية والزوجية بين سائرالطبقات والافراد ، الذكور والاناث ، حتى ينشأ جيل جديد مطلع على هذه النواحى وعارف معنى شرعية الطلاق والتعدد ، فلا يكون بعد زواجه عرضة للهفوات .

وهنا وجب علينا ان نطالب المسئولين بالعمل من جانبهم على ادخال الثقافة الجنسية ضمن البرامج المدرسية المقررة فى سائر المراحل التعليمية بعد المرحلة الابتدائية ، وان تخصص لتدريس ذلك اساتذة مختصين .. اذكر بهذه المناسبة ، اننى انتدبت سنة ١٩٥٥ للتدريس فى مدرسة البوليس لطلاب من خريجى السنة الخامسة والسادسة الابتدائية ، تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشر والعشرين وكان ضمن المنهج حصتان فى الاسبوع لمادة (الصحة) وهنا وفى اثناء هذه الحصص اكتشفت جهل كل الطلاب بكل ما يتعلق بالحياة الزوجية وبالعلاقة بين الرجل والمرأة، لدرجةانهم كانوا يسألوننى (كيف يتكون **الجنين فى بطن امه)؟.**

وعليك ان تقدر مدى الضرر الذى يلحق بزوجين يجهل احدهما او كلاهما كل ما يتعلق بالجنس حتى فى ابسط مظاهره .. وهنا لم اجد بدا من ان اخصص حصة فى الاسبوع ارد فيها على اسئلة الطلاب

الجنسية بطريقة علمية محضة ، والغريب فى الامر اننى كنت الاحظ **علامات الخجل متجلية على وجوههم وهم يوجهون اسئلتهم حتى** اقترحت ان يقدموها مكتوبة على اوراق ، وكذلك خجلهم وهم يسمعون الاجوبة اواجههم بها ..

وهذا مما دعانا لان ننادى بوجوب ادخال الثقافة الجنسية ضمن برامجنا الدراسية يستطيع الطلاب بواسطتها ان يلموا ولو الماما بسيطا بحقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة، فينشأ الواحد منهم وهو يقدر هذه **العلاقة تقديرا انسانيا ولا** ينظر اليها نظرة حيوانية بهيمية صرفة .

٣ ـ غرس روح التعاون والتعاطف بين افراد المجتمع من كلا الجنسين ، وذلك بالقضاء على التفرقة الجنسية المفروضة ، وهو امر **ميسور اذا بدىء فى تنفيذه بالتعليم المختلط بين الجنسين منذ** المرحلة الابتدائية ، خاصة وقد اثبتت التجربة التى اجرتها نظارة المعارف اخيرا نجاح هذه النظرية ، فالتعليم المختلط نغرس فى نفوس الاطفال روح التفاهم والتقارب ونزيل تلك النظرة الوراثية التى ينظر بها افراد كل جنس الى افراد الجنس الثانى فينشأ كل فرد من الجنسين شاعرا بوجود الاخر الى جانبه ، مطلعا عليه دون وجود ذلك الغموض الموجود الان ، وذلك لا شك يكون له اكبر الاثر فى حياته المستقبلة الزوجية والعائلية والاجتماعية .

هذه نقاط ثلاث يمكننا ان نركز عليها بحثا طويلا مفصلا فى هذا الخصوص ، نقدمها كخطوط عريضة لعلاج هذه المشكلة ، مشكلة الطلاق، فادخال هذه الوسائل فى محيط حياتنا العامة يمكنها ان تقرب من وجهات النظر والتفاهم بين الزوجين فنتفادى او نحد من انتشار موجة الطلاق .

والان يمكننا ان ننظر الى المسألة من زاوية اخرى ، تعيننا على تفهم الاوضاع .. فنتساءل :

ما سبب سوء التربية المنتشرة بين ابنائنا ، خاصة الطفل الاول لكل زيجة ؟ .

اننا نعتقد ان السبب فى ذلك يعود الى تدليل الام ابنها تدليلا مبالغا فيه ، وهذا التدليل بدوره يعود الى شعور المرأة بالخوف من سوط الطلاق المسلط فوق رأسها ابدا ، فهى دائما مهددة فى بيتها وفى عاطفتها وفى حبها وفى اخلاصها بهذا السوط الملتهب الذى فى يد رجل قد يكون جاهلا لمعناه ، ومن هنا فهى تبالغ فى تدليل طفلها حتى تكسبه الى صفها وتضمن قربه منها وتؤمن على حياتها المربوطة بخيط واه لا يمسكه الا كلمة صغيرة تخرج من فم الرجل فى ساعة من ساعات الغضب والثورة ٠

ومن جراء شعور المرأة هذا تنشأ حالتان اجتماعيتان لهما خطرهما فى الكيان الاجتماعى بصورة عامة ، والكيان العائلى بصورة خاصة ، وهما عدم شعور المرأة بالراحة والاطمئنان ، وسوء النتيجة التربوية التى تقوم بها ام تحاول كسب ابنها الى صفها ليمنع عنها سقوط السيف القاطع ذى الحدين ٠

ان الاستاذ ابراهيم المصرى قد تناول موضوع الطلاق بشىء من التوسع فى كتابه (مدرسة الحب والزواج) وقد رأينا ان ننقل عنه هذه الاراء التى لا نشك فى فائدتها ، فهو يقول :

(المرأة نزاعة الى الامن ، تواقة الى الهدوء والاستقرار ، ولكنها تعيش وسيف الطلاق مسلط فى يد الرجل على رأسها يهدد بيتها ويهدد امنها ويملأ نفسها خوفا من الخيانة وتوقعا للغدر ٠

(لذلك فهى تجمع كل قوى عاطفتها وتركزها فى شخص ابنها ، فتسرف فى حبه ، وتسرف فى تدليله ، وتسلس له القياد ، وتترك له الحبل على الغارب ، عسى ان تربحه الى نفسها ، وتضمنه لمستقبلها ، وتلجأ اليه فى الساعة المرهوبة التى يمكن ان تفاجأ فيها بغدر الزوج)

(فسلاح الطلاق المشهور ابدا فى يد الزوج يسوقها بالرغم منها الى تدليل طفلها والتعلق به والافراط فى حبه وتدليله ٠٠ وهكذا تفقد نفسها ومستقبلها ولكن على حساب ابنها)٠

ولا جدال اننا لو بحثنا ظاهرة الطلاق فى مجتمعنا لوجدنا صلة قوية بين ما ذهب اليه صاحب (مدرسة الحب والزواج) وبين ما هو واقع فى ربوع هذا المجتمع بالذات ٠٠ فانا اذكر ان شابا من اعز اصدقائى تزوج وانقضت عدة اشهر على زواجه دون ان تحمل زوجه ، فهل تعرف فيما بدأ يفكر ، مع ملاحظة ان زواجه لم تنقض عليه سنة تامة ؟٠٠ لقد بدأ يفكر فى طلاقها واستبدالها بغيرها لانها لم تحمل وظن انها عاقر ، دون ان يفكر فى عرض نفسه هو على طبيب اخصائى عله يكون هو سبب العقم لا الزوجة ٠

وهذا التفسير الفج الذى يدل على السطحية وعدم العمق بل عدم النضج الانسانى ، هو ما تفكر فيه المرأة ، اذ تخاف من الطلاق ، ولا مراء ان امرأة يستولى عليها الخوف من الطلاق لمجرد انها لم تحمل فى الوقت المناسب ٠٠ ان خوف المرأة هذا لاغرابة اذا ساقها الى التفكير فى امور اخرى ٠٠ فالمرأة اذا كانت متأكدة من صلاحيتها للاخصاب ولم يواتها الحظ فلم تحمل فى الوقت المناسب لسبب من الاسباب ، كأن يكون زوجها نفسه غير صالح او عاقر لا يلد ، وتعلم ان زوجها بدافع حبه للولد يفكر فى التخلص منها والزواج من غيرها ، اليس ذلك مما قد يسوقها الى ارتكاب جريمة ما فى سبيل المحافظة على حياتها الزوجية واستمرار هذه الحياة ودوامها ؟ ٠

اذكر اننى قرأت قصة بهذا المعنى للاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله ٠٠٠

ونعود مرة اخرى الى كتاب (مدرسة الحب والزواج) فنجده يقول فى معرض الحديث عن الخوف من الطلاق ومدى تأثيره فى خلق جيل مائع لزج مدلل :

(ليس من شك اننا لو قيدنا الطلاق واحكمنا الروابط العائلية بين الرجل والمرأة ، فلا بد ان تشعر المرأة بنوع من الحب الاسوى نحو طفلها ، ولا بد ان تدرك ان من واجبها ان تكون كما قيل : عاقلة فى حبها ، رشيدة فى عطفها ، صارمة فى حنانها ، قاسية فى تربية

ابنائها ، اعتمادا منها على بقاء زوجها فى جانبها يرعى مستقبلها ومستقبل الاسرة ويشرف بنفسه على مصيرها) ٠

ونحن لا نشك فى انه لو قيد الطلاق ، ولو احكمت روابط الاسرة ولو قدرت الحياة الزوجية حق قدرها ، واعطيت من القداسة ما تستحق ، ٠٠ لا نشك فى ان تغييرا كبيرا سيحدث فى ميدان حياتنا الاجتماعية نتيجة لاستقرار الاسرة فلم نعد نرى هذه الحالات من الطلاق والخصام فى المحاكم ، ولم نعد نرى هذه الجيوش الجرارة من المشردين الذين يملأون الشوارع والازقة والحارات يفترشون الارض ويلتحفون السماء لا لذنب جنوه سوى ان اباءهم استغلوا رخصة شرعية منحت لهم بغير قيد او شرط فلم يحسنوا التصرف فيها شأنهم شأن القصر من الابناء ٠

ان المرأة التى تكون مهددة فى ليلها ونهارها بكلمة تخرج من فم رجل مخمور ، او رجل سافل ساقط لا اخلاق ولا حرمة له ، تفصل بسببها اقدس الروابط وتفصم اسمى العلاقات الانسانية ٠٠ ان هذه المرأة التى تشعر بمثل هذا الشعور وتفكر فى عواقب فعل زوج مستهتر ليل نهار ، لا يمكنها ابدا ان تكون عامل بناء فى صرح الاسرة والمجتمع بل انها تكون فى اغلب الاحيان معول هدم وتخريب ، ويكفينا المثل العامى الذى يخاطب المرأة الزوجة بقوله **(الرجل زى عبود الزميطة،** خليه ديمه فى يدك ، اذا زاد من هنا او من هناك اقطعيه) ٠٠ فما معنى هذا المثل ؟ ٠ اليس الخوف من الطلاق ومن الضرة ؟ ٠

واذن فلا بد من وضع حد لهذه المهازل التى تمثل على مسرح حياتنا الواقعية فى كل يوم بل فى كل لحظة حتى لا تبقى لا المرأة وحدها ، بل الابناء والاسرة والمجتمع بأسره فى ايدى اناس يجهلون اقل قواعد وقداسة الرباط الزوجى ٠

لا بد من وضع تشريع جديد يضرب على ايدى العابثين بهذه الرخصة الدينية التى لم يحسنوا استعمالها لانهم لم يفقهوا حكمة مشروعيتها ، فلا يحجمون عن استغلالها استغلالا سيئا ، وينطق الفرد

منهم بهذه الكلمة لاقل الاسباب ، كأن يعود (الرب) الى مملكته فيجد الطعام لم يعده (العبد) ٠

ونحن حين نطالب بوضع تشريع لعدم التلاعب بمشروعية الطلاق ، وباقدس العلاقات بين الرجل والمرأة ، لا نقصد من وراء قولنا هذا ، ان نحرم الطلاق ولا نبيحه ، ذلك لان الطلاق حق للرجل اباحه له الشارع والدين لحكمة لا تخفى على عاقل مفكر ، ونحن لا نريد ولا نرغب فى ان نخرج فى تصرفاتنا واعمالنا عما رسمه لنا الدين من حدود واسعة مادام يمكننا ان نلائم بين مقتضيات الحياة والدين ٠

ولذا فلا ننادى بمنع الطلاق وتحريمه ، لاننا نعلم ان الدين عندما اباح الطلاق ، كان يقصد من ذلك وجود التوازن الضرورى بين الرجل والمرأة ٠٠

ولا ننادى بتحريم الطلاق لاننا نعلم ان الطريقة التى تتم بها اغلب حالات الزواج ، لا يمكن معها الاستغناء كلية عن الطلاق ٠

ولا ننادى بتحريم الطلاق ، لاننا نعلم ان الشرائع التى كان محرما فيها ، بدأت تبحث عن طرق كفيلة باعادة عدم التحريم ، فاوجدت طرقا تقيد الطلاق وتحول دون التلاعب به من قبل اناس مستهترين جاهلين ٠٠

لا ننادى بتحريم الطلاق ، وانما نحن نلح فى ايجاد طريقة تحد من هذه السهولة التى يتم بها الان ، وذلك لا يكون الا اذا وضع تشريع او قانون يجعل الطلاق لا يتم الا على يد هيئة مختارة تبحث عن اسبابه وتحاول تلافيه بكل الطرق والوسائل ، فاذا لم تجد الا الطلاق وسيلة لراحة الزوجين كليهما او احدهما ، اباحته ووافقت عليه ، اذ بهذه الطريقة او ما يشبهها يمكننا المحافظة على بناء الاسرة من التداعى والانهيار ، وحفظ الابناء من التشرد والضياع ٠٠

اننا لا ننادى بتحريم الطلاق ، وان كنا نصيح بوجوب الحد منه والتضييق عليه ،فعاداتنا وتقاليدنا وخرافاتنا المتبعة فى الزواج تفرض علينا ان نترك الباب مفتوحا امام زوجين لم

يتعرفا على بعضهما الا ليلة الدخلة ، ولم يطلع احدهما على الاخر ولا عرف آراءه وميوله ومستوى تفكيره الا من خلال الاحاديث والاقاويل .. فمادمت لم اطلع على زوجتي ولم اعرفها، ولم تطلع هي على ولم تعرفني فأليس من حقي ان اجد الباب امامي بل امامنا مفتوحا للانفصال؟ واليس من الخير لكلينا ان ننفصل اذا اكتشفنا عدم امكان حدوث انسجام بيننا قبل ان نسير في هذا الطريق ؟..

ولكن بعضنا قد يظن ان الشرائع التي لا تبيح الطلاق، يتم فيها الزواج بشكل واوضاع تخالف اوضاعنا اذ انها تبيح الإختلاط والتعرف والاختبار ، فلا يكون الزواج نتيجة حيلة او خدعة او اندفاع ... فما دمت قد اخترت زوجتي بمحض ارادتي وحسب رغبتي ، فلم يعد لي هناك حق في المطالبة بالطلاق لان احدا لم يجبرني على الزواج منها ...وكلا المنطقين معقول ومقبول ...

غير اننا نشك في ان الحب لا يحدث الا في فترة الخطوبة او الفترة التي تسبق الزواج او انه لا يكون الا نتيجة اختلاط وتعارف وامتزاج ليس غير ، كما نشك في ان حدوث الحب بعد الزواج غير ممكن الحدوث ...واذن فلا داعي للاعتماد على احد القولين السابقين سواء في تحريم الطلاق او في اباحته اباحة مطلقة غير مقيدة ، بل نرى ان مثل هذا العمل من شأنه ان يجمد الحياة ، ويبعث على عدم استقرارها ، فتدفع اباحية الطلاق المطلقة على عدم الاستقرار والاستمرار والخوف الدائم المستمر ، كما يدفع تحريمه المطلق الى الشعور بالملل والضجر دون التمكن من التخلص من مصدرهما فيكون ذلك سببا في اضطراب الحياة الزوجية وطريقا للبحث عن العشيقات او العشاق ..

واذن فان كل ما نطالب به هنا انما هو الحد من الاستهتار بهذه الرخصة الشرعية ، حتى لا يبقى الطلاق لعبة في يدي العابثين والمغفلين والجهلة من الناس ..

وهذا القيد لا يمكن ان يكون ذا فائدة الا اذا جعل الطلاق في يدي اناس عقلاء يقدرون مضاره وعواقبه فيبحثون عن جذوره وعن الدوافع اليه ، ويحاولون اصلاح ذات البين ، قبل ان يبيحوه لطالبيه ..

واما القول برفع قيمة الصداق المؤجل كحل لهذه المشكلة ، او رفع النفقات المترتبة عليه ، فاننا لا نقره ولا نسلم به فاى انسان لايمكنه الاستمرار فى معاشرة زوجة لايمنعه من الانفصال عنها سوى عجزه عن دفع ما يترتب عليه من نفقات وصرفيات فاية علاقة زوجية لا يكون سبب عدم انفصالها الا العجز المادى انما هى حياة الانفصال خير منها واية حياة زوجية لا تدفع الى استمرارها الرغبة المتبادلة ، لايصح بحال ان تسمى حياة سعيدة مهما كان الدافع الى استمرارها ودوامها على هذا الوضع المخجل المشين الذى من شأنه ان يجردها من كل المعانى السامية ويحط من قيمتها ويجعلها فى مرتبة البيع والشراء ..

ومن الامور الاجتماعية الهامة التى تدفعنا للتشبث برأينا فى المناداة بالحد من الطلاق ، تلك الظاهرة التى تتبع كثرة الطلاق ، وهى (تعدد الزواج) الذى ينشأ عنه مظهر اجتماعى اخر مزرى ، وهو : (كثرة التناسل) هذه الظاهرة الاجتماعية التى لم يعد يسلم بوجاهتها وصحتها عقل سليم وفكر واع ، وهنا لا بد لنا من التعرض الى مسألة :

تحديد النسل :

هذا التحديد الذى اصبح من مستلزمات الحياة العصرية ، والذى ينادى به العقل والتفكير السليمان الواعيان ويدفع اليه الوعى الصحيح والفهم الكامل لاوضاع الحياة فى الزمن الحاضر ثم هذا التحديد الذى لا يمانع فيه الدين الاسلامى ايضا ....

ان التشبيث بالحديث (تناكحوا تكاثروا ، فانى مباه بكم الامم يوم القيامة) لا يكفى ان يكون دليلا وحده على تشجيع الاسلام على كثرة التناسل ، ثم ان النبى صلوات الله عليه ، عند ما قال هذا الحديث ، كان ينظر الى وضع الاسلام من زاوية خاصة توحى بتشجيع عملية التناسل .. ففى الفترة الزمنية التى قيل فيها هذا الحديث كان الاسلام فى مسيس الحاجة الى كثرة العدد نظرا الى الظروف التى يواجهها ايام انتشاره ثم انه فى تلك الفترة بالذات ، لم تكن ظروف الحياة كما هى فى الزمن الحاضر بل انها كانت تساعد على الاندفاع فى عملية (التفريخ) دون حد ومن غير حدود اذ يكفى ان يلد الانسان «**دستة**» او «**دستين**» من الابناء ثم يتركهم مع السبيل

خلف الاغنام ، وراء البحث عما يقيم اودهم من الجوع ، ويقي اجسامهم من البرد والحر ،ويحفظ حيواتهم من التلف والانهيار .. فلا تعليم ، ولا تثقيف ، ولامسئوليات تترتب على الوالدين من جراء الابناء مطلقا ..

ثم ان كثرة الحروب ، في تلك الفترة من فترات تطور المجتمع الاسلامى الناشىء ، التي كانت تحصد الارواح كل يوم وكل ساعة فى سبيل نشر الهداية واليقين ، والقضاء على الظلم والجور والظلام ، كانت تستدعى الاكثار من النسل ، وتدفع الى عملية التناسل ...

واذن فتلك ظروف استثنائية جعلت النبى يحث على التناسل ، تماما كما اباحت له الزواج باكثر من واحدة ، وباكثر مما اباحته لمتبعيه ، عملا على صيانة ونظام وحفظ المجتمع الجديد ..

واما اليوم، وبعد ان تغيرت الحياة، وتطورت كل هذا التطور والتغير ، واصبحت ظروفها وضرورياتها ، اصعب من ان تدعو الى التناسل الغير المحدود ، فلانظن ان هناك ما يجعلنا نتشبث بذلك الحديث الشريف ..

وهل من المعقول ، ان نفرخ بطريقة غير منظمة ، وان نلد بالجملة ، لنترك ابناءنا عرضة للمرض والفقر والجهل والتشرد والضياع؟ ..

هل يجوز ان نلد بدون تعقل ، معتمدين على ان (الرزق على الله) ؟...

اننا لا ننكر ان الرزق على الله ، ولكن ، هل هذا الاعتقاد يسوقنا الى التوكل المطلق فنظن ان مجرد التوكل على الله يكفينا مؤونة المشقة والسعى وراء مايكفل لابنائنا حياة سعيدة مستقرة ؟

واذا كنا نؤمن بان الرزق على الله فان ايماننا هذا لا يجعلنا فى زمرة الاتكاليين ، فنخال ان مجرد مجيء عدد من الابناء كفيل

بان يغير اوضاعنا المالية بما يساعدنا على اعالتهم والسهر على تربيتهم وتنشئتهم ..

وهل مما يقبله العقل ، ان نعتقد باننا سننتقل من الدرجة السابعة مثلا الى الدرجة الاولى ، بمجرد ان نتوكل ونتسبب في خلق مجموعة من الابناء ؟؟..

ان الدين الاسلامي دين يسر ، وان الله لا يكلف نفسا الا وسعها ، فاذا لم يكن في وسعي تربية سبعة ابناء ، فهل يجبرني الدين على ان اكون سببا في مجيئهم الى عالم الاحياء ...

في وسعي ان اتزوج ، وفي وسعي ان ألد ثلاثة ابناء ، ولكن ليس في وسعي ان اكون ابا لـ(دستة) فهل اجبر على ذلك ؟..

(انه لا يكاد يوجد بين المسلمين من يقول بتحريم الدين لتحديد النسل ، وكل ما يملكه المتزمتون القائلون بالتحريم من الدليل ، هو الحديث النبوي القائل :
«تناكحوا . الخ» وحتى ولو تغاضينا عن ضعف هذا الحديث فانه لا يقوم دليلا ..

(ان الحديث قيل في وقت كان المسلمون فيه احوج ما يكونون الى التكاثر ، لانهم يومئذ كانوا بصدد تكوين دولة اسلامية تقيم دين الله في الارض ، وتنشر الدعوة الاسلامية بين ارجاء العالم وتصونها من طغيان اعدائها في الداخل والخارج .

(وهل يعقل ان يكون المسلمون اليوم في حاجة الى التكاثر وقد بلغوا زهاء اربعمائة مليون مسلم او يزيدون ؟ وهل استطاعت كثرتهم هذه ان تنهض بهم كدولة لها وضعها ولها كيانها ، ولها كلمتها بين صفوف الدول الغربية الكبرى ؟..
«وهل يعقل ان يباهي الرسول ـ صلوات الله عليه ـ بهؤلاء المسلمين يوم القيامة وهم على ماهم عليه من الذلة والتفرقة ؟..

«ان رسول الله لسوف يخجل منهم ويتوارى بوجهه عنهم لانهم كانوا في حياتهم غثاء كغثاء الغنم» (١) .

---

(١) محمد عبد الله السمان ـ نحو اسرة مستقرة

وهل تعتقد ان فى استطاعةانسان ما ان يكفل حياة سعيدة رخية لمجموعة من الابناء قد تزيدعلى عدد اصابع اليدين ، الا اذا كان ذا يسر ومال وفير؟.

وهل من الدين او العقل ان نلد ونلفظ الى الطريق ابناء هزيلى التكوين مرضى الاجسام جهال العقول ، ثم نقول رزقهم على الله ؟..

أمن المنطق والفهم الصحيح لمعنى الحياة ، ان نتسابق فى ايجاد اكبر عدد ممكن من المشردين وذوى العاهات والامراض ، ثم نتركهم حفاة عراة ليس ثمة ، اوبدون ان نكفل لهم ما يقيهم البرد والحر وتقلبات الزمن ، سوى ما يجود به عليهم المحسنون من عباد الله ؟..

هل من الوعى الناضج ، ان نلد ونلفظ الى الطريق ابناء نخلق منهم معاول هدم واشباح خوف تملأ المجتمع بالمشردين ، او تملا السجون بالجناة ، او تملأ الملاجىء بالعجزة ، او ينشرون البؤس والفقر والفاقة بين ربوع المجتمع الامن ؟ ...

هل تعتقد ايها العاقل ذلك او شيئا من ذلك ، ممكنا او جائزا او مستحبا ، وراء ايمان عجائزى ، وهو قول (الرزق على الله)؟.. نحن لا ننكر ان الرزق على الله بدون شك **(ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم** ولكن اليس هذا الرزق فى حاجة الى من يسعى الى جلبه ، ويتعب فى الاتيان به .. ام ان السماء تمطرنا ذهبا بمجرد ان نلد ابناء جددا ونضيف الى المجموعة الكادحة ، ثقلا يرهق كاهلها ونجعلها تنوء به وتلعن من كان سببا فى وجوده ؟..

«ان الهدف الاساسى من الزواج هو صيانة كل من الزوجين نفسه والى ذلك اشار حديث الصحيحين : (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءه فليتزج ، فانه اغض للبصر واحصن للفرج) (والهدف الاساسى الثانى ، بناء اسرة لها وضعها فى المجتمع ، والى ذلك اشار كتاب الله (ومن **آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)**.

(ولو فرضنا ان التناسل من اهداف الزواج الاساسية ، فان هذا الهدف يكون اشبه بفرض الكفاية ، اذا قام به البعض ، سقط عن البعض الاخر .

(واذا فرضنا ان التناسل من اهداف الزواج ، فلا يمكن ان نفرض ان التكاثر من أهدافه الاساسية التى يجب ان نقيم لها وزنا .

(الاسلام اشترط فى الزواج القدرة عليه ، ووضح القرآن هذا الشرط فقال :

«وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله» .

كما وضحه حديث الصحيحين ايضا .. يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءه فليتزوج والباءة هى القدرة على الزواج ، فاذا كان الاسلام قد اشترط هذه القدرة ، حتى لا يقام بناء الاسرة على اسس ضعيفة فلا يلبث ازاءها ان ينهار ، فمالنا نقر تكاثر النسل لمن يعجز عن ان يعول نفسه وزوجه معه ؟؟..

(ان الانسان الذى لا تسمح له امكانياته المالية بان لا يعول الا عددا محددا من الافراد ويعمد الى الاكثار من النسل ، ليدفع الى مخالب التشرد نسلا هزيلا من ناحية ، ويدفع بنفسه هو الى خضم الاضطرابات فى حياته ومعيشته من ناحية اخرى .. هذا الانسان فى نظر العقول الناظرة المرنة ، آثم فى حق نفسه ، وفى حق مجتمعه ، وفى حق وطنه ، وحسبنا دليلا قول الرسول فى حديث ابى داود ، **(كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت)** (ان التهاون فى تحديد النسل هو الذى دفع الى الشارع والميادين هذه الاشباح المتحركة من الطفولة البريئة ، التى تتعفف عن حياتها ومعيشتها ، القطط والكلاب ....

«والتهاون فى تحديد النسل هو الذى ضم الى احصائية الاوطان الاسلامية نسلا هزيلا شاحبا لاتشغله الا لقمة العيش ، يستبد به الجوع والفاقة والحرمان» ..

«والتهاون فى تحديد النسل هو الذى الف فى الاوطان الاسلامية جيوشا جرارة من البطالة ....
هذه الجيوش الخاملة المتواكلة » «١»

---

(١) محمد عبد الله السمان

وبعد : ان تحديد النسل اصبح ضرورة اجتماعية لابد منها وليس من المعقول العمل بدونها.

فى تنظيم الحياة وتخطيطها.. غير ان الشىء مدار البحث والذى يجب دراسته وتفهمه ، هو كيفية وطريقة تطبيق عملية التحديد هل نترك المسألة فى يد الافرادونحن نقول انه لم يدفع لذلك الا جهل الافراد ، بالدين وبالحياة.. ام نضع له قواعد واسسا يسير على ضوئها ، وتطبقها هيئة دينية اجتماعية مالية تدرس امكانيات الفرد واستعداده ثم تقرر العدد الذى تسمح له بانجابه ؟..

ام ان شيئا من ذلك لايمكن ان يحدث لانه فوق طاقة البشر ، ولان تطبيقه من الامورالصعبة الغير ميسورة ، واحسن وسيلة لبث فكرة تحديد النسل وربط عدد الابناء بالامكانيات الفردية ، انما هى العمل على نشرالوعى والثقافة، الدينية والعصرية بين مختلف طبقات الشعب ؟.. نظن ان هذه الطريقة اضمن من غيرها ، وان كانت تحتاج فى تطبيقها والعمل بها ، الى كثير من الوقت والجهد ، غير ان الشىء الذى يمكنه ان يساعدنا على هذا ايمان أئمة المساجد وخطبائها والمرشدين الدينيين بنظرية تحديد النسل وتقيده بالقدرة الفردية فيعملون من جانبهم على توجيه الرأى العام ، واطلاعه على ان الدين لا يتنافى مع هذه النظرية فمثل هذا العمل من جانب المرشدين والعلماء ، يمكن ان ينشر الوعى بين الطبقات الاجتماعية فتعمل من جهتها على الحد من هذا السيل الجارف من الابناء المشوهين اذا علمت ان الاسلام لا يمانع فى تحديد النسل ولا يحرمه ، هذه بعض الخطوط العريضة التى يمكن ان تقوم على اساسها دراسة واسعة واعية وبحث تفصيلى فى موضوع تحديد النسل..

فما دام ليس هناك تعارض بين الدين والعقل، فى هذه الناحية فالواجب يحتم علينا ان نشغل عقولنا ونوجهها الوجهة الصحيحة التى يمكنها ان تساعدنا على خلق **غد مشرق** ..

لا نشك ان فى عملية تحديد النسل شيئا من الاجحاف، وشيئا من الحد فى الحرية الفردية التى ما فتئنا ننادى بوجوب توافرها

فى فصول هذا الكتاب.. الحرية الفردية التى يجب ان تكون مكفولة موفورة لكل الناس ولكل الافراد.

وقد يكون فى عملية تحديد النسل شىء من الانانية وحب الذات ، اذ يشعر الانسان ، وهو يقوم بخنق حياة جديدة ، ومنعها من التكون ، بأنه يحاول تغليب مصلحته الفردية وسعادته على مصلحة وسعادة المجموع ويحس بشىء من تأنيب الضمير، وهو يحاول منع حياة جديدة من الوجود والنماء ..

غير ان هذه الاحاسيس ،وهذه المشاعر ، لا يصح ان تتخذ اساسا ومسوغا لترك الحبل على الغارب لمجموعة من الناس ، لو تركت وشانها لكانت سببا فى الاكثار من البؤساء والمشوهين ولفرخت مجموعة من الابناء الابرياء ، فى بيئات معوزة فقيرة كادحة ، لتلفظهم الى الشوارع يملأونها بؤسا وفقرا ...

فالواقع الذى يغفل عنه الكثيرون ، هو اننا حين ننادى بوجوب العمل الجاد على ايقاف سيل البؤساء من الابناء ، انما تدفعنا الى ذلك المحافظة على المصلحة الفردية المجردة ...

فمن مصلحة المجموعة البشرية ، ان يقل عدد افرادها ليعيشوا سعداء منعمين ، على ان يكثر هذا العدد ، على انقاض سعادتها ورفاهيتها واستقرارها وشىء آخر يبرر لنا الدعوة الى تحديد النسل ، فى مجتمعنا هذا ولو لفترة قصيرة من الزمن ، ريثما يرتفع الدخل الفردى العادى بما يلائم متطلبات الحياة ، فيرتفع تبعا لذلك مستوى المعيشة العام.

شىء آخر يشجعنا على هذه الدعوة ، وهو سوء اوضاعنا الاقتصادية ....

ان مجتمعنا ، مجتمع فقير كادح ، ينقصه الكثير ، والكثير جدا من مقومات الحياة وضرورياتها المختلفة المتجددة ..

وهذا الوضع لا شك يبرر الدعوة الى تحديد النسل ، ولا نعتقد اننا نكون شاذين غير عاديين اذا استندنا على هذا الرأى

ودعونا دعوة صريحة ، الى الحد من سيل الابناء الجارف الذى ينذر بيوتنا ومجتمعنا، وكياننا بالانهيار حيث ان مبدأ الحد من الاكثار ، مبدأ سليم فى ذاته ، ومن شأنه ان يساعدنا على رفع دخول الفرد والاسرة ..

وليس من المعقول ان نعتمد على القول القائل بان اتساع رقعة اراضينا ، وقلة عددنا مما يجبرنا على التناسل ... فعلى الرغم من ان هذا قول فيه شىء من المنطق ، الا انه يجب الا يغيب عن اذهاننا ان قلة مواردنا الطبيعية ، لا تكاد تكفى عددنا المحدود الموجود مما اضطررنا للاعتماد على غيرنا من الدول فى مساعدة ميزاننا وحفظ توازنه ..

واننا لنشاهد ، رغم قلة عددنا ، كل سنة لم تسعفنا فيها السماء بالمطر الذى نعتمد عليه فى معيشتنا اليومية اعتمادا كليا .. نشاهد من المناظر المحزنة فى النزوح الى المدينة وامتلائها بالهياكل البشرية ، ما يجعلنا لا ننادى بتحديد النسل فحسب، بل ما يحدونا للمناداة بمنع التناسل منعا كليا ، ريثما تتحسن الاوضاع الاقتصادية ، ويرتفع مستوى المعيشة اليومى ، وذلك لا يكون الا يوم تمدنا صحراواتنا الشاسعة الواسعة التى نريد ان نملاها باشباح أدمية ، بما يبررلنا خلق اجيال جديدة ، بعد ان نكفل لها حياة مستقرة ، ولا نقول سعيدة ...

واما الان ... وحالتنا فقر وعوز وحاجة ..

واما الان ، وحياتنا مرض وجهل وتشرد ..

واما الان ، واعتمادنا على ما تجود به علينا السماء والايدى السخية ، فخير لنا الف مرة ، قلة عددنا ، على كثرته ، لتفتك به الامراض والعلل ، ويحطمه الجهل ، ويقدمه الفقر لقمة سائغة لكل مستغل كاذب افاك ...

تعدد الزوجات :

وتعدد الزوجات ظاهرة اجتماعية لها شأنها ولها خطورتها ولها

اثرها فى التكوين الاجتماعى ، ومن الاجحاف ان نقول (انها ظاهـــرة تكاد تكون غير موجودة فى مجتمعنا هذا) فرغم اننا نقر انها ظاهرة غير منتشرة انتشارها المروع فى هذا المجتمع، الا اننا لا نستطيع ان نغرس رؤوسنا فى التراب ولا نوليها عنايتنا واهتمامنا ..

فاذا كان الطلاق ظاهرة اجتماعية لها اثرها وخطورتها ، حيث انه يساعد على تشرد الابرياء من الاطفال فان تعدد الزوجات لا يقـــل فى هذا الشأن عن الطلاق ، فى تشرد وضياع الابناء الابرياء ..

(وان كان الطلاق من شأنه ان يقذف الى الشوارع بالالوف مـن الاطفال الضائعين سنويا ، فان من شان تعدد الزوجات ايضـــا ، ان يقذف من الاطفال الضائعين بامثال هذا العدد ،لينشأوا النشأة التعسة ويستقلوا مراكب التشرد الى غير ما وجهة ولا غاية ..

«فالمعروف ان الطبقة الكادحة ، هى من ابرز المساهمين فى مأساة تعدد الزوجات ، وهنا .. تحدث المشكـلـة ، او المأساة بوجه اصح ، فان عجز الرجل عن القيام بتبعات اسرتين او اكثر ،يحمله عجزه هذا على التهاون فى فلذات اكباده ليواجهوا حياتهم بانفسهم ،كما يختارها القدر لهم ، لا كما يختارونها هم بانفسهم، ولن يواجهوا حياتهـــم – بالطبع – فى الحقل او المصنع ، وانما يواجهونها على الارصفـــة او فى اصلاحيات الاحداث ثم السجون) (١).

لقد رخص الله لنا الجمع بين اربع نساء ، وبذلك امكننا ان نجمع هذا العدد ، ونحن مطمئنون من ناحية الدين .. ولكـــن .. يجب الا ننسى ان الله تعالى عندما اباح التعـــــدد ، ورخص للجمع ، قيد هذا الترخيص ، وجعله مشروطا بشرط (العدل) بين النساء وأمرنا بالاكتفاء بواحدة اذا خفنا عدم الاستطاعة (وان خفتم الا تعدلوا فواحدة) .

فهل نحن عرفنا كيف نتصرف تصرفا عقليا دينيا ، بمقتضى هذا الترخيص ؟ .

---

(١) محمد عبد الله السمان – نحو اسرة مستقرة

ام ترانا عملنا بجانب منه ، واهملنا الجانب الاخر ؟ ..

وهل اولئك النفر من الرجال الذين سولت لهم انفسهم التمتع بهذا الترخيص ، فاستغلوه اسوأ واحط استغلال .. هل فكروا فى استيفاء شرطه الاساسى ، وهو العدل ؟.

هل فكر اولئك الذين لا يسعون الا لاشباع جنسيتهم ، فى معنى هذا الشرط ، الذى يكاد يحرم مع عدمه التعدد ؟.
واذا علمنا (كما هو ظاهر فى الاية الكريمة) ان العدل اساس التعدد

وعلمنا ان النفس البشرية اضعف من ان تتمكن من العدل بين النساء (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ..

فهل نحن بعد ذلك فكرنا تفكيرا جديا فى خطورة هذه الظاهرة المخيفة .. ظاهرة الجمع بين النساء ، ذلك الجمع الذى صرح لنا به الدين ، فى زمن كان فيه الاسلام فى حاجة الى ان يتزوج الرجل باكثر من امرأة واحدة نظرا لكثرة ارامل الشهداء ، وقلة عدد المسلمين ومحاولة لتقوية ضعفهم العددى ؟.. «ان التشريع الاسلامى مضيق فى مسألة التعدد ، تضييقا شديدا ، فالاية التى اباحته ، اشترطت العدل وفى نفس الوقت ناصرت الاكتفاء بزوج واحدة ، منعا للحرج، وتخلصا من الوقوع فى جريمة الجور ..

«والمقصود من العدل هنا ، العدل بين الزوجات من ناحية ومن ناحية اخرى العدل بين الرجل ونفسه ، كأن لا يحملها فوق طاقتها ، اذا كانت ظروفه المادية لاتكفى للانفاق على اكثر من اسرة واحدة ولذلك يجب ان يفسر العدل ـ فى الاية ـ على وجهتين : الجور وكثرة العيال (١) .

اذن العدل ، الذى هو اساس التعدد يجب ان يسود سيادة مطلقة فى حالة الجمع بين النساء لا من حيث خوف الجور فحسب ،

---

(١) محمد بن عبدالله السمان

بل وكذلك من حيث الخوف من كثرة العيال ..

ومن هنا ، نجد من واجبنا ان نفكر تفكيرا عقليا ، يتفق وواقع الحياة الراهنة التى نعيشها ، اليوم ، والتى سنعيشها غدا ..

فكل هذه امور يجب ان نمعن فيها النظر ، قبل ان نندفع وراء ترخيص دينى ، فنستغله استغلالا سيئا لا لشىء ، سوى لارواء ظمأ غريزى ، جنسى محض ..

واذا فعلنا وجدنا انفسنا مضطرين لوضع حد لهذه الظاهرة المزرية ، محافظة على حيواتنا اليومية ، وبيوتنا الزوجية ، وقيمنا الاجتماعية من التلاشى والتداعى والانهيار ..

وهل يعقل ان ينعم انسان ما ، بنوع من حياة استقرارية فى بيت يضم اكثر من زوج واحدة ، وبين اطفال ولدتهم اكثر من امرأة واحدة ؟ ..

اننا نشك .. ونشك كثيرا ... والحوادث تؤيد شكوكنا فى كثير من الحالات .. وهل يعقل ان يطمئن انسان ما ، على حياته ومستقبله وهو يعيش بين امراتين او اكثر منهن من ترى نفسها مهضومة الحقوق لم ينصفها زوجها ولم يعطف عليها ، ولا يحبها ، كما ينصف ويعطف ويحب الاخريات ؟ ..

وهل هناك ما يعصم بيتا من الانهيار وبداخله قوى متضاربة متصارعة تسوقها عوامل الغيرة، وتدفعها دوافع الحسد والخوف .. هل هناك ما يمنع بيتا مثل هذا البيت من الانهيار والاضمحلال ؟..

وهل هناك ما يمنع رجلا يعيش وسط هذا الجو المخنق، من البحث عن اماكن اخرى يقضى فيها اوقات فراغه بعيدا عن هذا الجو المملوء بالمشاحنات المسمم بالبغضاء وانتظار الفرص ؟..

ان ظاهرة التعدد ، او ظاهرة الجمع بين اكثر من امرأة واحدة، ظاهرة اجتماعية مرذولة لم يعد هناك ما يسوغها من عقل او منطق او

دين ، وهى مرض اجتماعى فتاك من شأنه ان يكون سببا فى خراب بيوت وتشتيت اسر وتشرد ابناء ابرياء ، فلا مناص لنا من ان نتعاون على محاربته وطرد شبحه المخيف وليس ما يساعدنا على تحقيق ذلك مثل نشر الوعى الاجتماعى بين سائر طبقات الناس ، ولو استدعى الحال ان نضع الامر فى يدى القضاء فيكون للقضاء وحده حق التصريح بالتعدد اذا رأى ما يبرر ذلك وله وحده ان يمنع هذا التعدد

واما ان نترك المسألة هكذا ، لعبة فى يد العابثين ، يتزوج الرجل متى شاء ويطلق متى شاء ويجمع بين مجموعة من النساء اذا راق له الجمع دون ان يكون عليه رقيب ، ومن غير ان نضع امامه قواعد واسسا ، فان ذلك من شأنه لا ان يضعنا فى مركز اجتماعى منها ر فحسب ، بل انه كفيل ايضا بالقضاء على كل مقوماتنا الحياتية والوجودية ..

وبقدر ما يكون الطلاق عاملا من عوامل تعدد الزوجات ، فكذلك يكون التعدد عاملا من عوامل الطلاق ، وكل هذا يدفع الى ايجاد جيل ضعيف منهار ثلثه جاهل وثلثه مريض وثلثه فقير مشرد ..

والطلاق والتعدد وكثرة النسل ، كلها مظاهر اجتماعية محزنة لا يدفع اليها شىء كما يدفع اليها ، الجهل: الجهل بالحياة ، والجهل بالدين ...

جهل الرجل بالحياة يجعله لا يفكر فى عواقب ما يرتكب من اعمال فى حق نفسه وابنائه ومجتمعه ..

وجهله بالدين يجعله يستغل تراخيصه اسوأ استغلال ..
فانت عندما تسأل رجلا فقيرا مثلا (لماذا لا تضع حدا لعدد اولادك؟) يجيبك بان (الرزق على الله) ... وعندما تسأل اخر (لماذا انت متزوج من امرأتين؟) اجابك وكله فخر وخيلاء بان (الدين اباح الى اربع) وعندما تسأل مغفلا آخرا (لماذا تكثر من الطلاق ؟) اجابك والحنق يتجلى فى كلماته (الم يبح الاسلام الطلاق ؟) ..

وكل هذه الاجوبة لو بحثت عن مصدرها ، لوجدتـــه مصدرا واحدا هو ، الجهل بالدين والجهل بالحياة ..

وتحاول ان تناقش واحدا من هؤلاء الثلاثة ، فتجد انـــك لا تستطيع ان تصل مع ايهم الى نتيجة تقنعك او تقنعه ، حيث انه يحاول ان يناقشك بمنطق (الدين) الذى لم يع منه سوى القشور التى لقنه اياها رجل اطلقت عليه الظروف لقب (شيخ) فى غفلة من التاريـخ وغفلة من الناس وعندها تجد نفسك مضطرا لترك الخوض فى مثل هذه المواضيع ، والا عرضت نفسك لان تنعت من جاهل مغفل بالكفر والمروق والالحاد ..

والنتيجة .. اذا اردنا القضاء على هذه العلل الثلاث : الطلاق، والجمع بين الزوجات ، وكثرة الابناء ، فلا بد لنا من وضـع مفاهيم جديدة للدين على حقيقته كما شاء الله له ان يكون ، لا كـــما اراده المشعوذون والدجالون ، ولابد من العمل على ادخال معايير جـديدة لاوضاع الحياة وقيمتها فى عقول الناس .. وذلك لا يكون ولا يمكن ان يكون الا اذا تعاونت الحكومة والهيئات والشعب والافراد ..

هـدم وبنـاء

قد تعجب لهذا العنوان ، وتتساءل فى حيرة (كماتساءل غيرك عندما وقع نظره على اصل هذا الكتاب) وتقول : هل نحن فـــى مرحلة بناء أم فى مرحلة هدم؟ ..هل نعمل للبنـاء والتكوين ، ام نعمل للهدم والتقويض ؟..

هل لدينا ما نهدمه ، حتى لو فرض وكنا فعلا نقوم بعمليـــة هـــدم ؟ ..

والواقع ... الواقع الموءلم المرير ، الذى يجب ان نؤمن ونسلم ونعترف به .. والحقيقـــة التى يجب الا تغيب عن اذهاننا ، والتى يجب ان نوليها الكثير من عنايتنـا واهتمامنا ...

هذه الحقيقة ، هى ان لدينا الكثير جدا مما يجب ويتحتـــم ان نهدمه وان نقوضه ... ان تقتلع جذوره من منابتها ...

وهذه الحقيقة ، هى اننا لم نصل بعد الى دور البناء والتشييد والغرس والاثبات ...

وان مرحلة البناء ، مرحلة تأتى فى ترتيبها بعد مرحلة الهدم .. لان الهدم دور سابق على دور البناء..ونحن فى هذه الفترة من فترات حياتنا الاجتماعية انما نهدم ...نقوض .. نقتلع ..

اننا نهدم هذا البناء الـــذى اقيم منذ عديد القرون ، على هيكل و (موضة زمان) ، والذى مـرت عليه السنون والاعوام والاجيال ، فلم تبق منه الا هيكلا من بضعة جدران مهشمـــــة متهدمـــة ، يحاول بعض من الخائفين ، والمذعورين ، والمرتعدين ان يستظلوا بها ، ويختبئوا وراءها كلما سلطت عليهم الاضواء ، وعشاهـــــم نور الواقع البراق ، وان يتخذوا منها ملجأ يلتجئون اليه، كلما اصابهم

ريح صرصر ، وخافوا على انفسهم من الموجة العاتية المتمردة ٠٠ وان ينتقلوا من خلف جذار الى خلف جذار ، ومن خربة الى خربة كلما لاحقهم معول الهدامين المنتفضين من الشباب المتوثب الناقم ٠٠ اننا نقوض هذه الاعشاش والمغاير ، التى عشش فيها البوم ، ونعت فى اركانها الغربان وأوت اليها الجرذان بعد ان هجرها عزها الى غير رجعه وبعد ان أتت يد الزمان على من كان يعيش فيها من أشباه الادميين

٠٠ اننا نقتلع هذه الرواسب التى تنخر عقولنا منذ الاماد والاجيال ، بعد أن انتقلت الينا عن طريق الوراثة ، فأورثتنا كل هذا الخوف والهروب ، وأتت على كل عقل سليم فى ادمغة الناس وغطت كل تفكير صائب ، وسحقت كل ارادة فردية فلم تتركنا الا صرعى جراثيم الجبن التى بثتها فى اجسامنا ، ونشرتها فى عقولنا هذه الرواسب التى تمثلها كلمة (عيب) و (الناس) و (مايصحش) ٠٠٠ هذه الكلمات السخيفة التى تحجز على حرية الفرد ، وتحد من ارادته ، وتجعله العوبة فى يدى الناس الذين يخشاهم ، والوالدين الذين لا يمكنه الخروج عن طاعتهما ، ولو كان فى طاعتهما ضرر به ولا نفع لهما ، اللهم الا اتقاء التقولات

اننا نهدم ٠٠٠ ونقوض ٠٠٠ ونقتلع ٠٠

وعملية الهدم والتقويض والاقتراع ، عملية شاقة متعبة ، لا يمكن أن تتحقق الا اذا جندت لها كل القوى والامكانيات ، ولكنها عملية ضرورية تسبق عملية البناء ، والتشييد والغرس ٠٠٠

اننا نريد ان نبنى وان نشيد ٠٠٠ ان نغرس ، وقبل ان نفعل شيئا من ذلك ، لا بد لنا ان نهدم ٠٠٠

فالهدم مرحلة سابقة للبناء ، ما دام هناك بقايا بناء قديم عفا عليه الزمان ٠٠ فأنت اذا أردت ان تشيد عمارة جديدة ، فى بقعة ارض تملكها ، وكانت تلك القطعة الارضية غير ممهدة ولا مبسوطة بل انها مليئة ببقايا جدران قديمة متهشمة ٠٠ جدران من (ضرب الباب) فلا يمكنك تشييد عمارة جديدة من عدة ادوار على أساس من (ضرب الباب) بل لا بد لك من أن تسبق عملية البناء ، بعملية هدم ، وتطوح بتلك لبقايا بعيدا ٠٠٠ بعيدا جدا ٠٠٠ واذن فلا مناص لك فى مثل هذا الحال ، من أن تصرف قواك ،

ومجهوداتك ،وتبذل شيئا كثيرا من الجهد والعرق والمال ، فى عملية الهدم والتطويح ...

ونحن فى هذا المجتمع ..

فى هذا الظرف من ظروف الحياة ..
فى هذه الفترة من فترات تاريخ كفاحنا المرير . نمر بنفس التجربة ونقوم بنفس العمل ..

فالذى يريد ان يبنى عمارة جديدة ، عليه أن يقيمها على أساس متين ..

أساس من اسمنت مسلح حتى لا تكون عمارته عرضة للانهيار

ونحن نريد ان نبنى لونا جديدا من الحياة ، يماشى العصر، ويماشى التطور ويتفق وما نحن عليه الان ، وما سنكون عليه غدا.

فهل يمكننا ان نقيم هذا البناء الشامخ المتشامخ على انقاض هذه الخرائب المنهارة ؟..

هل فى استطاعتنا ان نشيد لونا جديدا من الحياة ، فى مجتمع لا يزال مليئا بالاعشاش ؟...

هل يمكننا ان نقيم صرح مجتمع جديد ، على انقاض مجتمع متهدم ؟...

هل فى استطاعتنا ان ننشىء أسرة جديدة ، اذا لم نقتلع جذور عقليات سخيفة لا تزال تتحكم فى تصرفات الافراد ؟..

هل بوسعنا ان نصلح المظاهر دون ان نصلح قبلها البواطن ..

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، فهل نحن غيرنا ما بانفسنا ، حتى يتغير ما بنا ...

هل يمكننا أن نطالب شخصا ما، بان يتصرف فى شئونه بحرية ، قبل أن نفك الاغلال التى تكبله ..

ايجوز ان نقول لانسان انك انسان وهو لم يشعر بوجود انسانيته هذه قط ..
ايصح أن نقول لشاب مايجب ان تختار حياتك ومستقبلك

بنفسك ، قبل ان نحرره من سيطرة الآباء .. وايصح ان نقول لمواطن افعل ما تمليه عليك ارادتك ما دمت مؤمنا بسمو تفعل ونزاهة ما تقصد ، قبل ان نزيل من أمامه العقبات التى تؤول كل اعماله بالخطأ ، وبشتى الوان المخالفة للقوانين والعادات، الا ان تؤولها بسلامة النية وحسن القصد ؟.

وهل.. وهل .. وهل ..ان شيئا واحدا من ذلك لا يمكن ان يحدث ، ما لم يسبق الجميع الهدم والتقويض فالى الهدم اذن .. الى التقويض . الى الاقتلاع..

فيوم ان ننتهى من ذلك.. يومها فقط يمكننا ان نبدأ عملية بناء جديد .. بناء مجتمع فاضل ، لغد مشرق وضاء ..

واما الان .. واما قبل ان نصل الى شىء من ذلك فالى الهدم **الهدم اولا ..**

خذوا معاول الهدم ، وتعالوا نهدم هذه الخرائب ، ونقوض هذه الاعشاش ، من مخلفات القرون والاجيال .. تعالوا نهدم هذه الاجحار ... التى كانت فى يوم من الايام ، صالحة لايواء من أقامها ، ولم تعد اليوم صالحة ولا لائقة بان نقيم فيها من جديد

.. تعالوا نهدم هذه العقليات السخيفة .. المذعورة المتحجرة.. هذه التى لا تتفاعل مع الحياة والوجود ، لانها لا تؤمن بالحياة ولا بالوجود .. خذوا معاولكم ،وتعالوا ، ننقض بها على هذه السخافات والحماقات.. على هذه الترهات والاكاذيب .. نزيل بها هذه الاغلال التى تكبلنا وتحدمن أعمالنا وتصرفاتنا .. نزيل بها هذه الستائر التى تحجب عناضوء النهار وحرارة الشمس .. تعالوا نحرر العقول من الرواسب ونحرر الناس من الخوف ، ونحرر التصرفات والحريات من القيود .ان عملية تحرير الانسان من اغلاله ، ومن الوان العبودية الاجتماعية والحياتية المفروضة عليه .. من هذه العبودية الاجتماعية التى انتقلت اليه عن طريق الوراثة .. من هذه العبودية الحياتية التى فرضتها عليه الظروف والايام ... .

وان عملية تحرير عقل الانسان من هذه الرواسب المتعفنة المتقيحة التى تسربت اليه مع لبن امه ، وانتقل اليه تاثيرها من حكايات العمات والخالات والجارات.. من هذه الرواسب التى جعلت

من الانسان اشبة بالالة الصماءفي يد الاباء ، والمجتمع ، تسوقه كل هذه العوامل حيث تريد ،وتسيره اينما تشاء ، فلا يستطيع معارضتها ولا يتمكن حتى من مجرد مناقشتها ..

ان عملية تحرير تصرفات الانسان وافكاره من قيود العادات والحماقات ، والتقاليد التى عفا عليها الدهر ، ولم يبق منها الا هيكلها المتداعى واسماءها التى توحى بالذلة والاتكالية ان هذه العملية ...

عملية تحرير الانسان ، لتشبه الى حد بعيد ، عملية الهدم ، والتخريب والتقويض و .. الاقتلاع .

لان الانسان الغير حر فى عقله وتفكيره وتصرفاته لايستطيع ان يتحمل لونا جديدا من الحياةفيه تفكير وآراء وعقليات جديدة، قبل ان تقتلع الاولى لتضع مكانهاالثانية والا كان ما تبنيه من مفاهيم وما تقيمه من معايير غير ذى فائدة ، وغير ذى موضوع لانه عرضة للانهيار ، تماما مثل ان تحاول اقامة عمارة من خمسة ادوار على اساس واه من (ضرب الباب) ..

وان عقل الانسان الذى يكون محشوا بالخرافات والاوهام لا يمكنك ان تحشو فيه شيئا من التحرر والحرية والانطلاق ، قبل ان تجرى له عملية غسيل وتنظيف واستئصال .. تماما مثل قطعة ارض تعلوها الحشائش الطفيلية (من النجم والعفينة والحريق) لاتستطيع ان تزرع فيها وردا وفلا الا بعد ان تصرف قليلا من وقتك وجهدك فى اقتلاع تلك الطفيليات .. وبعد ان تتأكد من انها سوف لن تعود الى الظهور مرة أخرى ، فتأمن عدم مزاحمتها الشجيرات الجديدة النامية واذن فاذا اردنا ان نبنى .. واذا اردناان نتحرر ... واذا اردنا ان نغرس ، فعلينا قبل كل ذلك ان نهدم ونقتلع و.. نخرب علينا ان نهدم هذه الاصنام المعبودة من العادات والافراد .. العادات التى ورثناها عبر العصور والسنين والايام ، وبعض من الافراد الذين نقدسهم اكثر من تقديسنا لله ، لالشيء سوى لانهم يرتدون جلابيب واسعة ويضعون على رؤوسهم عمائم بيضاء او يرتدون الملابس الافرنجية الحديثة ويضعون على رؤوسهم الطرابيش ويغلقون على انفسهم

الابواب فيتصرفون فى شئـــون حياتنا ووجودنا كما يتصرف المالك فى ملكه والسيد فى عبده ، والراعى فى غنمه ، والخالق فى خلقه ٠٠ وبد هى لانقصد كل الافراد ، سواء ممن يضعون العمائم او الطرابيش ولكنا نقصد فئة تجدها منتشرة فى كل مكان ، دأبها محاربـــة العمل ومحاربة الافكار ، والحـــد من الحريات ٠٠

علينا ان نقوض هذه العادات التى خلقت من بيوتنا بيوتا يعيش فيها رجال بلا قلوب ، ونساء بلا ارواح ، واولاد ، اشبه بقطيـــع الاغنام ٠٠ علينا ان نهدم هـــذه الهياكل الشامخة التى نعبدهـــا اكثر من عبادتنا الله ، والـــتى تكـــبلنا وتغلنا ، وتســـتغلنا ، وتحجب عنا ضوء النهار وحرارة الشمس ، ونسمات الهواء ٠٠٠٠ هذه الهياكل من التقاليد الـــتى تعمى ابصارنا وبصائرنا فلا ترينا الحياة الا من خلال منظار اســـودقاتم ، حالك السواد ٠٠ ولا تظهر المرأة للرجل الا فى صورة جسـدولذة ومتعة ، او فى آلة تفريـــخ وتنظيف ٠٠ ولا تظهر الرجـــل للمرأة الا فى صورة فتى الاحلام ذى الصدر العريض والساعديـــن القويتين ، او فى شـــكل (حمار) عمل ، عليه ان يجهد نفسه فـــى سبيل اطعامها واعالتها ٠٠ علينا ان نقتلع جذور العقلية ، الـــتى لا تظهر المرأة للرجل ، الا فـــى صورة شبه الانسانة التى اقل منه عقـــلا وفكرا ودينـــا و ٠٠٠ انتاجا ٠٠ وجذور العقلية ، الـــتى تجعل من الزواج ، عملية اشبـــه ما تكون بعملية تجارية بالنسبة للآباء ، وبعملية (سعدك وبختك) بالنسبة للابنـــاء ، فاذا كنـــت محظوظا صادفتك امرأة ذات جمال ٠٠٠ جمـــال فقـــط ، ولا شىء غير ذلك اما لا سمح اللـــه ، اذا لم تكن صاحب حظ ، وجدتها ليلة الدخلة فاقدة احدى عينيهـــا (عورة) ٠٠ واما العقل ، والتفكير والنضج ، والادراك ، فكلهـــا مسائل فوق مستوى (اليانصيب) التى يجب علينا الا نفكر فيهـــا عندما نقدم على الزواج ٠

وجذور العقلية التى تقول لنا كذبا وبهتانا ونفاقا ، ان النبى صلوات الله عليه، قال **(لا تعلموهن الحرف ولا تسكنوهن الغرف)** ٠

علينا ان نقتلع جذور العقلية التى تقول لنا ، ان ابعد مرحلـــة نسمح بها للمرأة فى ميدان التعلم يجب الا تتجاوز بحال ، مرحلـــة حفظها بعض السور من القران عن ظهر قلب ، تؤدى بها صلواتهـــا الخمس ، واما ان تتعلم كيـــف تربى ابناءها ، وكيف تديـــر

شئون بيتها ، وكيف تمنح زوجها العطف والمودة والحنان، بل حتى ان تتعلم معنى الصلاة ،فكل تلك قشور لا يجب ان نوليها كبير اهتمام ، وكل تلك من علامات المدنية الزائفة ، وكل من يدعو الى ذلك ، انما هو يدعو الى الكفر والفسق والفجور ، لان رسالة المرأة داخل البيت ،والبيت لا يحتاج الى اكثر من انثى فى الفراش وخادم فى المطبخ...

علينا ان نقتلع جذور العقلية التى لا ترينا المرأة، الا حيوانا شهوانيا يسعى لاشباع غرائزه الجنسية ، فلا يجوز لنا ان نثق فيها ، ولا ان نمنحها شيئا من ثقتنا ، ولا ان نحترمها كانسانة تماثلنا فى نواح ، وتقل عنا فى اخرى ، وتفوقنا فى نواح ثالثة ... ولا يحق ان نعطيها قليلا من الحرية ، مهما كان مقدار ونوع هذه الحرية ، حتى ولو كانت حرية الحديث والتعبير عن آرائها وافكارها ورغباتها ومعتقداتها ..

جذور العقلية التى تملى علينا تفضيل ذى المال والجاه والسلطان ، على صاحب الاخلاق والثقافة والعصامية ... هذه العقلية الانهزامية التى تفرض علينا احترام ذوى النفوذ واصحاب السلطة ، مهما كانوا مخطئين فلا يحق لنا ان نقول لهم ، حتى مجرد قول (انكم خاطئون) لان دورنا ومهمتنا وواجبنا ، لا تتعدى مجال المدح والاستحسان و... التصفيق .. العقلية الانهزامية التى تقول لنا ، لا تقفوا فى وجوه آبائكم معترضين او حتى مناقشين مهما اخطأوا ، لا لشىء سوى لانهم آباء ، والآباء معصومون منزهون عن الاخطاء ، شأنهم شأن الرؤساء ، لا يأتيهم الباطل ولا يتصرفون الا بحكمة ، لكأنهم ملائكة منزهون ، وليسوا من طينة البشر المعرضين للخطأ ، تماما كتعرضهم للصواب ..

وهى، هى نفس العقلية التى تطلب منا ان نعيش اتكاليين فى كل اعمالنا وحركاتنا ....متوكلين على الوالدين فى صغرنا وعلى الحكومة فى كبرنا .. نطالب الحكومة بان تفعل كل شىء ، من غير ان نطالب انفسنا بعمل اى شىء..

وهى هى نفس العقلية التى تريدنا ان نتجرد من عقلنا وارادتنا وقدرتنا ، وان نعيش مسلمين مستسلمين للقضاء والقدر ، لكأن الله تعالى قد منحنا هذه العقول التى فى ادمغتنا عبثا ، او لمجرد

انها تكون جزءا من هيكل الانسان واما ان نشغلها .. واما ان نحكمها ، واما ان نتصرف فيها وبها ، فكل ذلك ليس من اختصاصنا ، لان هناك قوى الهية توجهنا ، وقوى ارضية تتحكم في مستقبلنا وحاضرنا وهي ، هي نفس العقلية الساذجة ، التي تطلب منا ان ننسى قوله تعالى **(المال والبنون زينة الحياة الدنيا)** وقوله صلوات الله عليه : **(اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)** تطلب منا ان ننسى كل هذا ، وتريدنا ان نكتفي في هذه الحياة بعيشة الكفاف ، او بما دون الكفاف ، وتحبذ لنا الزهد ، والرهبنة ، والبعد عن جميع متع الحياة المباحة لان هناك جنة تنتظر الزاهدين ، وبذلك تفرض علينا الانهزامية والاتكالية والخوف والجبن ... والهروب ..

فلا نعود نتحرك الا كما تتحرك الالة الصماء في يدي مشغلها ، او تريدنا ان نسلم انفسنا ومصائرنا ومستقبلنا ، الى الزمان والظروف ، تتصرف فينا كما تشاء ، وتسوقنا حيث تريد ، وتعبث بمقوماتنا واماكنياتنا كما تشتهي ، وكما يحلو لبعض المسيطرين على الزمان والظروف ....

وهي ، هي نفس العقلية السخيفة الجبانة ، التي تفرض علينا لونا من الحياة (زمن الحرية والتحرر) كلها ذلة واستكانة ومهانة ، تماما مثل تلك الحياة التي كان يعيشها الاجداد زمن الاضطهاد والاستبداد والاستعمار .

خذوا معاولكم ايها الشباب المنتفض الناقم ، وتعالوا نعمل معا .. يدا واحدة ، لاقتلاع هذه الجذور وهذه النتوآت ، التي تعوق سيرنا ، وتعطل قافلتنا وتحول دوننا ودون اقامة البناء الجديد ..

تعالوا نعمل معا ، على هدم هذه الاكواخ والخرائب من مخلفات الماضي ، التي تمنعنا من ان نشيد بناء جديدا ، نشعر فيه بوجودنا وبانسانيتنا ونشعر فيه بمسئوليتنا المتربتة على هذه الانسانية وهذا الوجود ..

تعالوا نهدم هذه القوانين الاجتماعية الموروثة التي تحول دوننا ودون الانطلاق ، ودوننا ودون التعبير عن ارائنا ، ومعتقداتنا فتخلق منا عبيدا لها نعبدها من دون الله .. نأتمر بامرها ،

ونسير حسب هداها ، ونخضع لسلطانها المطلق ، فى كل حركة من حركاتها ، وكل عمل من اعمالنا ، وكل كلمة من كلماتنا

تعالوا نهدم هذه المعتقدات التى تجعل من معتنقها انسانا على سبيل الاستعارة والمجاز ، والة صماء مسيرة حسب الاهواء والاغراض ، توجهها فى كل ميدان من ميادين الحياة قوى متخفية وراء الدين ثارة والقانون تارة اخرى ..

هذه المعتقدات الوهمية ، التى لا تعترف بانسانية الانسان ولا بحرية الانسان ، ولا تقر بوجود عقل وارادة وادراك فى دنيا البشر ..

هذه المعتقدات الخرافية التى جعلت من نفسها ، او جعل الزمان منها صنما معبودا مقدسا لا يجوز لاى كان ان يحيد عن عبادتها وتقديسها .. هذه التى صنعتها ايدى البشرية ، ثم اعتقد البشر فيها الالوهية ، فخروا لها سجدا معتقدين فيها القدرة ، والارادة والتقديس .. ان العادات والتقاليد المجتمعية ، فى كل جيل ، وفى كل امة وفى كل مجتمع انما هى نظم يضعها الافراد فى فترة من فترات حياتهم لتنظم لهم الحياة فى تلك الفترة التى وضعت فيها .

وهم يتوخون عند وضعها ، ان تكون مسايرة لظروفهم ، متفقة وعقلياتهم متمشية ومستوى فهمهم وادراكهم ..

وهى تكون صالحة فى تنظيم شئونهم الحياتية ، ما دامت متفقة والعقول التى وضعتها ، ومتمشية والظروف التى وضعت فيها ، ومسايرة لنوع الحياة التى وضعت من اجلها .. وهى تستمد عنصر بقائها وصلاحيتها من الظروف ، والاوضاع والعقول ، ومماشاتها لهذه العوامل الثلاثة ..

فاذا فقدت احدى هذه العناصر او اذا تخلفت عن مستوى العقل والظرف والوضع ، اصبحت غير ذات فائدة ، وغير ذات موضوع ... واصبح التخلص منها ، واستبدالها بغيرها أمرا واجبا لا ينكره الا مكابر ، متعنت جاهل ...

وعاداتنا ٠٠ وتقاليـــدنا ،وضعت أغلبها فى ظروف غيـــر ظروفنا الحالية ، وصاغتها عقول تخالف عقولنا ، فاذا كانت صالحة لتنظيم الحياة فى الفترة الزمنية التى وضعت فيها ، فانها لم تعـــد صالحة ولا ملائمة للفترة الزمنيـــة التى نعيشها اليوم، بافكار جديدة ومفاهيم جديدة، واذن فلابد مـــن البحث عن عادات وتقاليد ومعتقدات تساير لون مفاهيمنا وعقلياتنا وتكون جزءا من كياننـــا الانسانـــى وهذا التغيير ، لا يمكن ان يحدث ولا يمكن ان يكون الا اذا هدمت هذه العادات ، وتخلص المجتمـــع من الفاسد الجامد منها ٠٠٠ فالى العادات البالية ٠ الى التقاليـــد الخرافية ٠٠ الى الرواسب المتعفنة بمعاولنا ومعداتنا نهدمها ونقوضها نقضى عليها ٠٠ وبعد ذلـــك ٠٠٠ بعد ان نقتلع كل هذه الجذور ، وعندما ننتهى من هذه المهمة ٠٠٠ مهمة الهدم ، التى قد يظنها البعض عملية بسيطة سهلة، لا تحتاج الى اكثر من السواعد القوية ، والالات والمعاول ، لان الهدم فى حقيقتـــه ايسر من البناء ، والتى نراها نحن فى هذا المجال عملية صعبة شاقة متعبة ، تحتاج الى كثير من الخبرة وكثير من الدراية ، وكثير من الحنكة والاستفادة بتجاريب الاخرين ، لاننـــا فى حقيقة عملنا ، لا نرغـــب ان نكون هدامـــين ، الا بقدر ان نكون بنائين فى نفس الوقـــت ولاننا لا نريد ان نهدم البناء كله وانما نريد ان نكون حذريـــن منتبهين متيقظين فى هدمنـــا وتقويضنا ، فنعرف مواضـــع الطرق ، فلا نهوى بمعاولنا الا على الخـــرائب ولا نضعها الا فـــى الاعشاش ٠٠ فى العادات الفاسدة والتقاليد الجامدة ، والعقـــول الرجعية المتحجرة التى لا تؤمـــن بالحياة ، لان على عيون اصحابها غشاوة تمنعهم من رؤيـــة الضوء والنور ٠٠ واما العادات الحسنة والتقاليد المتطورة، فاننا سنحافظ عليها بعيدة عن مواضع الطرق ٠٠ وعندما ننتهى من مهمة الهدم ٠٠

عندها فقط يمكننا ان نقول:

اننا جادون ، مصممون على اقامة بناء مجتمع جديد ٠٠ بنـــاء بالاسمنت المسلح ، تتحطم عليـــه الاصنام من الناس والعادات ، ولا تحطمه ٠٠ بناء لحمته الفضيلـــة والخلق ٠ بناء ٠٠ قوامه العقـــل والعلم ٠٠ بناء يدعمه الديـــن الصحيح ، لا الدين المزيف كمـــا يصوره لنا المعتوهون والمشـــكوك فى نواياهم ٠٠

وعندها فقط.. عندما نزيل كل أثر لهذه الخرائب والجحور، يمكننا ان نبدأ عملية البناء المحكم الذى سنقيم على اسسه قواعد مجتمع افضل ، لغد مشرق وضاء

.. ثم البناء

وعملية البناء هذه ليست من اليسر والسهولة بحيث يمكننا ان نندفع وراءها دون روية ، ومن غير تفكير وحذر ... ان عملية البناء عملية دقيقة جدا ، لايجوز معها الارتجال والاندفاع .. لاننا عندما نبنى ، نحاول الا نبنى لانفسنا فقط، وألا نبنى لظرفنا الحاضر فقط ، وانما سنحاول ان يكون بناؤنا ، لنا نحن ابناء الجيل الحاضر ، والاجيال التى ستجىء بعدنا .. وسنحاول ان يكون بناؤنا صالحا لظرفنا الحاضر وصالحا كذلك للظروف القادمة .. سنحاول ان يكون بناؤنا (مطاطيا) صالحا لكل زمان ومكان ولا نقبل ان يكون بناء جامدا متحجرا سرعان ما يفقد مرونته امام تطور الحياة وتغير الظروف.ان عملية البناء هذه فى نظرنا وتقديرنا . عملية اشق من عملية الهدم .. فانت عندما تريد ان تهدم ، يكفى ان تهوى بمعولك على الجذار واذا به قد هوى ، واذا به قد تلاشى .. واما اذا اردت ان تبنى ، فعليك ان تمر بمراحل كثيرة ، قبل ان تضع الحجر الاول فى اساس البناء عليك ان تضع التصميم ، وان تكون فى وضع التصميم صاحب ذوق فنى ، حتى لا يكون تصميمك شاذا غير ملائم لـ (موضة) العصر، ولا متنافرا مع التصاميم الحديثة ، واذا انتهيت من مرحلة التصميم ، فانك تدخل مرحلة اختيار المواد الصالحة اللازمة .. ثم ، بعد كل هذا يمكنك ان تباشر عملية البناء ..

وان عملية البناء ، اشق واعسر واصعب الف مرة ، من عملية الهدم ، لان عملية البناء تحتاج الى كثير من الحذق والمهارة الى كثير من العرق ، والجهد والصبر والحكمة والتدبر ، والا كان البناء (خائخا) لا يقاوم الاعاصير ، ولاتصاريف الايام ، ولا تضمن امكانية مواجهته الزوابع والحوادث... وعلينا نحن ، قبل ان نبدأ عملية البناء، ان نختار العناصر.. العناصر الصالحة التى سيتكون منها البناء .. وهذه العناصر انما هى :

الدين والعقل

ولا يمكن ان يكون هناك عنصر ثالث اساسى معهما ، الا ما يتفرع عنهما من اجزاء ... فالدين.. الدين الاسلامى ، دين مرن ،

صالح لكل زمان ومكان ، ومتطورمع كل الظروف والاحوال، وليس دينا جامدا متحجرا ، كما يصفه بعض المغرضين المتاثرين بما يقرأون عنه مما يكتبه انصاره المتحجرون ، وليس ما يحول دون هذا الدين • دين الفطرة ، ودون تفاعله تفاعلا كليا مع حضارة العصر الحاضر ، وعقل الانسان الحديث ، الا بعض العقول الجافة الجامدة ، التى تتحكم فى اتباعه والتى لم تتمكن من فهمه وهضمه على حقيقته كما اراده منزله والمبشر به ، وناشره بين العالمين ان يكون ...

والعقل .. العقل البشرى الذى ميز به الله تعالى الانسان عن الحيوان .. هذا العقل هو قائد الانسان ومرشده الى فعل الخير ، وهو الذى يسيره فى كل حركاته وسكناته ويسيطر على كل خلجة من خلجاته .. وهو الذى يوجه البشرية كلها الى السمو والرفعة .. فاذا اتحد الدين والعقل (وهما متحدان ابدا) امكن للمجتمع ان يسير فى طريقه فيحقق السعادة والرفاهية ويسير بالمجتمع نحو غده المشرق ، للمجموعة باسرها ..

ونحن عندما ننادى باتحاد الدين والعقل ، لا نعتقد ابدا ان هناك ما يحول مطلقا دون هذا الاتحاد والامتزاج بين الدين الاسلامى .. دين الفطرة ، وبين العقل الانسانى ...

وبصراحة : ما فائدة كل من الدين والعقل ، اذا لم يساعد كل منهما الانسان فى خلق السعادة وايجاد الرفاهية ؟؟...

ان الدين الذى يحول دون الانسان ودون الرفاهية فى هذه الحياة ، انما هو دين جامد ، خير للانسان ان يتخلص منه، ليعتنق دينا سواه ، او ليبقى بلا دين ،على ان يعيش داخل اطاره الجامد، كالآلة الصماء ..

وحاشا الدين الاسلامى ان يكون من هذا النوع ..
وان العقل البشرى الذى لا يساعد الانسان على الحياة السعيدة عقل متحجر خير للانسان ان يتجرد منه ويعيش بلا عقل ، على ان يعيش اسيرا له مدى الحياة ...

اننا نربأ بالعقل الانسانى ان يكون حائلا دون سعادة وتقدم البشر ، واننا نربأ بالدين الاسلامى الذى جاء مؤيدا ومناصرا ومتمما للعقل الانسانى ، ومحاولا السموبه الى درجات الكمال المطلق ، ان يقف عقبة فى وجه انطلاق الانسان ....

فكلما كان بناؤنا مشيدا من مزيج هذين العنصرين ، كان أضمن للبقاء والنماء والاستقرار واقوى على مواجهة الزوابع والاعاصير ..

اما تلك المحاولات الصبيانية التى تسعى للفصل بين الدين والعقل ، او تعمل لاعطاء احدهما المرتبة الاولى ، وتفضله على الاخر ، وتمنحه السيطرة المطلقة فى حياة البشر ، انما هى محاولات فاشلة لا يمكنها ابدا ، مهما حاول انصارها ، ان تحقق سعادة البشر او تسمو بالانسان فى درجات الكمال ، ما دامت تعتمد على احد العنصرين ولا تهتم بالعنصر الثانى .. وجمودها ، او التزامها هذا هو ما جعلها تقف عاجزة عن فهم الحياة فهما صحيحا ، مزيجا من الروحانية والمادية ، ويمكنها من مواصلة سيرها ..

اننا عندما ننادى بوجوب مزج الروحانية بالمادية ، واخذ خلاصة هذا المزيج ، لاقامة صرح هذا المجتمع الجديد ، انما يدفعنا الى ذلك عدم ايماننا بجدية فائدة الروحانية ، التى من شأنها ان تسلمنا لقمة سائغة بين يدى الاتكالية البعيدة عن الواقعية ونحن لا نؤمن بالاتكالية ، قدر ايماننا بالواقعية ..

ويدفعنا الى ذلك ايضا، عدم ايماننا بقدرة العقل ، (لان العقل محدود) على تفسير كل الظواهر الطبيعية ، وعدم ايماننا الكلى بجدية المادية الصرفية فى تفسير جميع ما يعترى البشر من تغيرات والحياة من تقلبات .. عدم ايماننا الكلى بالمادية التى من شأنها ان تجعلنا نفسر كل ما يعترى الناس وما يحيط بهم ، تفسيرا عقليا قد لا نتمكن من فمهه وهضمه وتعليله

واذن فالروحانية والمادية، او الدين والعقل ، عنصران متمم كل منهما للاخر ، ولا يمكن لاحدهما مجردا عن الثانى ان يسعد البشر ..

ويكفينا دليلاً ان نلقـــــى نظرة على المجتمعات التى اعطـــت السيطرة المطلقة للعقل ، دون ان تهتم ولو قليل اهتمام بالدين ، كيف انها عجزت عن تحقيـــق السعادة لافرادها تماما مثل بعض المجتمعات الاخرى ، التى اعـــطت الدين مطلق السيطرة ، واهملت العقل اهمالا كليا ، دون ان تحاول المواءمة بينهما ، ومن غير ان تعى ما بين الدين والعقل من ارتباط فوقفت فاغرة فاها ، مشدوهـــة تنظر الى قافلة البشريـــة الدوءب التى تقطع طريقها نحو هدفها فى سرعة واندفاع ..

الدين والعقـل هما اساس صرح مجتمعنا الافضـل لغدنـــا المشرق..

والمزج بين الدين والعقـل ،واستخلاص خلاصة هذا المزيج ، هو الشىء الذى حاولت ان اهتم به فى فصول هذا الكتاب ..

فارجو ان اكون قد وفقت .

وانا لا اريد من وراء مـــاقدمت، جزاء من احد ولا شكورا ، وانما يكفينى اننى ارضيت ضميرى واديت واجبا ، شعرت به فى عنقى ورسمت طريقا لغيرى من الاجيال القادمة ان لم يكن طريقا كلـــه كمال ، فهو لا يخلو من بعض الكمال ، فاذا وفقت بعد كـل هـــذا كان لى اجران ، وان اخفقت كان لى اجر من سعى .. وهذا لا يعنـى ان ما قدمتـه فى صفحات هـــذا الكتاب ، منزل منزه عن الاغلاط والهفوات بل اننى اكرر ، انهـــا محاولة فردية بسيطة «كما أشرت فى المقدمة» قد تكون صائبة موفقة وقد لا يرافقها الصواب والتوفيق ولكنها على كل حال محاولة...

ويكفيها فضل المحاولة..

تصويب

لم يظهر حرف (الالف) فى بعض الكلمات ، نرجو ان ينتبـــه القارىء الى ذلك ، كما وردت بعض الاخطاء الاخرى ، وهى :

ص	س	الخطـــأ	الصواب
٣٣	١٧	اتخصاصها	اختصاصها
٤٥	٤	وحدة	واحدة
٤٧	١٩	بايطليا	بايطاليا
٤٧	٢١	لحمظات	لحظـات
٥٦	٣	ويوصور	ويصور
٥٩	١٦	بالايا	بالايام
٦٦	٤	التربيـ	التربية
٦٦	١٨	لاجيال	الاجيال
٧٥	١	كليهما	كلاهما
٧٥	٧	نسهم	نسهل
٧٦	٦	بصباح	بمصباح
٨٠	٦	الهييات	الهيئات
٨٠	١١	تشجيع	تشجع
٨٣	٩	تمكنم	تمكنهم
٩١	٢٥	حياتا	حياتيا
٩٢	١	الطيبة	الطبية
٩٥	٨	سلما	سلمنا

١٠٣	١٥ رضيا	رضينا
١١٤	١٩ تضح	تتضح
١٢٢	٢٧ الجميع	الجمع
١٢٤	٣٠ السعاعدة	السعادة
١٣١	٢٥ تميله	تمليه
١٣٥	١٨ عهد	العهد
١٣٧	٣٠ شخية	شخصية
١٤٢	١٢ استطاعته	استطاعة
١٤٣	٣٢ الثأثر	الثأر
١٥٠	١٤ صوة	صورة
١٥٠	٢٢ بهام	بمهام
١٥٤	٨ استطاعه	استطاعته
١٦٤	١٣ الزجية	الزوجية
١٧٣	١٠ السعاعدة	السعادة

مكتبة الفرجانى
للطباعة والنشر والتوزيع

لا شك اننا نجتاز مرحلة من مراحل تاريخنا الليبى والعربى ، دقيقة وحساسة جدا ، تحتاج الى كثير من الجهد ، وكثير من العمل ٠٠ وهذا الكثير من الجهد والعمل ، لا ينحصر فى المجال السياسى فحسب، بل انه يكاد ينحصر عندنا هنا فى ليبيا ، حيث هناك رجال اكفاء مهتمون بالمجال السياسى ٠٠يكاد ينحصر مجال عملنا نحن الشباب ، فى الميدان الثقافى ٠

ومكتبة الفرجانى التى اسست سنة ١٩٥٣ ، كانت ولا تزال اول مكتبة تسد فراغنا الثقافى ، لدرجة اننا لم نعد نشكو ، بعد تأسيسها ، عدم وجود غذائنا الثقافى الذى نبحث عنه ٠٠ ان هذه المكتبة التى سدت هذا الفراغ ، تقوم بتوزيع جميع الصحف والمنشورات العربية على اختلاف انواعها ، بالاضافة الى الجهود الوطنية التى بذلتها فى سبيل نشر الكتاب الليبى ٠٠

ان صاحب هذه المكتبة الاستاذ محمد بشير الفرجانى ، الذى احس بضرورة نشر الكتاب الليبى ، والتعريف بالانتاج الليبى ، قد بذل جهودا كبيرة مشكورة حتى حقق هذه الفكرة ، فكانت مكتبته سباقة فى نشر الانتاج الليبى ٠٠

وميزة هذه المكتبة عن سائر المكتبات الاخرى فى ليبيا والعالم العربى ، هى انه يمكنك فى كل وقت ان تجد فيها جميع الكتب العربية المصرية والسورية ، واللبنانية ، والتونسية ، والمغربية ، والكويتية ٠٠٠٠ الخ ٠٠

ومن منشورات هذه المكتبة :

حصاد القلم للاستاذ ابو القاسم كرو

الشابى وجبران للاستاذ خليفة محمد التليسى

الحنين الظامى للاستاذ على الرقيعى

نفوس حائرة للاستاذ عبد القادر ابو هروس

ليبيا والجمعيات التعاونية للاستاذ محمد ابو زيد الشريف

نحو غد مشرق للاستاذ محمد فريد سياله

محمد
فريد
سيالة

نحو غد مشرق

١
٩
٥
٨

الطبعة
الاولى

المطبعة الحكومية
لولاية طرابلس الغرب